

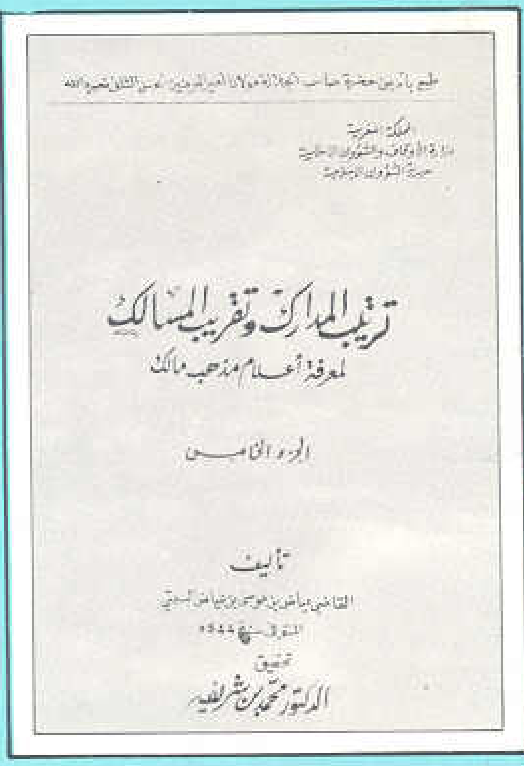

• شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
• تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية. الرباط. المغرب




العدد 3 السنة 22 • رجب 1401 / ماي 1981 • الثمن: 5 دراهم



التمهيد
لما في الموطأ من المعاني والأسانيد
تأليف
أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد
بن عبد البر النمري القرطبي
الجزء الثامن
تحقيق
محمد الفلاح
1400 هـ 1980 م



ترتيب المدارك وتقريب المسالك
لمعرفة أعلام مذهب مالك
الجزء الخامس
تأليف
القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي
المتوفى سنة 544 هـ
تحقيق
الدكتور محمد بن شريفة

**من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية**

تاريخ
الطب العربي

للدكتور لوسيان لوكليرك

الجزء الأول

أعادت طبعه
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية
الرباط - 1980

---

تاريخ
الطب العربي

للدكتور لوسيان لوكليرك

الجزء الثاني

أعادت طبعه
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية
الرباط - 1980

## بيانات ادارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة «دعـوة الحـق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب؛ الهاتف، 03 - 627 و 04 - 627

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل، و 67 درهماً للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة 8 أعداد لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

| العدد 3 | رجب 1401 |
|---|---|
| السنة 22 | مـاي 1981 |


## هذا العدد

حينما فكرت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وأعدت لتنظيم دورة الامام القاضي عياض بمدينة مراكش ، كانت تصدر في ذلك عن شعور بالمسؤولية تجاه تراث شعبنا المسلم ورجاله الافذاذ وأعلامه العظام الذين نفخوا روح الجهاد والتجديد والتطور على مدى العصور وأصلحوا وهدوا وربوا الاجيال المتعاقبة على الايمان بالله وبخصوصية المغرب كبلد اختاره قدره ان يكون مركز اشعاع وتنوير ولا يزال .

ودورة القاضي عياض التي انعقدت في شهر مارس الماضي بمدينة مراكش في اطار ندوة الامام مالك بن أنس ، كانت بحق عملا ثقافيا عظيم الفائدة ، وكانت أيضا ، وبشهادة جمهرة من خيرة العلماء والباحثين والدارسين وأرباب الفكر والثقافة ، مساهمة نشيطة في اثراء الحياة العقلية ببلادنا وتجديد اساليب البحث والحوار وتطوير الوسائل الموظفة حاليا للاستفادة من التراث . ودورة فكرية ثقافية علمية في هذا المستوى من الضبط والاتقان والتحضير والاعداد لا يمكن أن تكون مجرد ملتقى لاصحاب القلم والفكر لا يلبث أن ينفض وينتهي اثره ، ولكنها ، وكما كان مخططا ومرتبا من قبل ، أسفرت عن اطيب الثمار وأحسن النتائج. فلقد القي أزيد من خمسة وأربعين بحثا ودراسة عن القاضي عياض وحياته وعلمه وجهاده ومؤلفاته وعصره وبيئته ، كما جرى نقاش علمي خصب شاركت فيه أجيال مختلفة من العلماء والمثقفين .

هذا العدد ، هو مجرد تقديم لما جرى وسجل في دورة القاضي عياض . في انتظار أن تصدر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الابحاث الكاملة على غرار المجموعات الثلاث التي نشرتها الوزارة لابحاث ندوة الامام مالك بفاس.

ونود ( دعوة الحق ) أن تسجل ابتداء أن اختيار مواد هذا العدد وترتيبها وتبويبها لم يخضع سوى لمقياس العمل الصحافي الصرف .

وبقي ان نقول كلمة صغيرة بين يدي هذا العدد، وهي أن انعقاد دورة القاضي عياض في الوقت الذي يبني المغرب قواعد نهضته ويدافع عن مكتسباته ويحمي وحدته الترابية بالدم والنار ، هو مؤشر على سلامة وقوة كياننا الوطني والحضاري ، الذي يرعاه ويحميه ـ كأوفى ما تكون الرعاية وأخلص ما تكون الحماية ـ أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله بالقرآن العظيم وبحب وتعلق شعبه المسلم .

وان عمل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بهذه المناسبة لهو امتداد لسلسلة أعمالها ومنجزاتها ونشاطاتها الهادفة الى نشر التوعية الاسلامية الصحيحة مستهدية بتوجيهات سيدنا المنصور بالله .

( دعوة الحق )

الثمن : 5 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم



# أزمة الاختيار

انهزمت الراسمالية والماركسية في العالم الاسلامي وقامت الادلة على بوار سوقها وكساد بضاعتها بعد ان اتضح تهافتها وبان عجزها وقصورها عن استيعاب المشاكل المطروحة ومعالجتها واعطاء البديل السليم القائم على العلم والتخطيط والواقعية .

وبانهزام هذه النحل والايديولوجيات والمذاهب السياسية والاقتصادية زال كل ادعاء او زعم او افتراء يحاول به اصحابه اخفاء الحقائق وتجاهل الواقع . ولم يبق هناك من سبب يمنع من العودة الى الاسلام كمنهج متكامل ودستور شامل وعقيدة سليمة وروح تهيمن على مختلف نواحي الحياة .

ويقف المسلمون اليوم امام مفترق الطرق . وقد ابتدات وقفتهم هذه منذ عقود من السنين . ولا يزالون يقفون فيما يشبه العجز عن اتخاذ المبادرة واملاء القرار الحاسم وفرض الاتجاه الذي لا اتجاه سواه . وهذه الوضعية تكرس ما نصطلح عليه ـ نظريا ـ بازمة الاختيار في العالم الاسلامي . وهي ازمة صادرة عن عدة عوامل تتحكم فيها تحكما لا سبيل الى انكاره :

العامل الاول يعود الى التبعية السياسية والولاء الفكري للقوى الاجنبية ، وهو الامر الذي طالما نبه اليه عقلاء هذه الامة وسلطوا الاضواء عليه ولا يزالون الى اليوم يفطنون .

العامل الثاني ينحصر في طبيعة الانظمة التي تسود معظم البلاد العربية والاسلامية ، ويذهب ضحيتها بوسيلة او باخرى العدد غير القليل من المفكرين والدعاة واصحاب الراي . ولا حاجة بنا الى سوق الامثلة احتراما لفكر القارىء وتقديرا لمكانته وسمو مستواه .

اما العامل الثالث فهو ما عبر عنه فقيد الفكر الاسلامي المرحوم مالك بن نبي بالقابلية للاستعمار ، بمعنى ان في اعماق الانسان العربي المسلم استعدادا لتقبل كل نوع من انواع القهر الاستعماري . وليس في هذا القول اي مساس بقدر ومكانة المسلم، وانما هو ضرب رفيع المستوى من ضروب النقد الذاتي الذي يجب ان يكون شعارا لنا في هذه المرحلة الدقيقة من صحوة الاسلام في مطلع القرن الخامس عشر الهجري.

اننا ملزمون بالبحث عن الضمانات الكفيلة بالحفاظ على حوافز الصحوة الاسلامية والابقاء على دوافعها . لان (الصحوة) ، ايا كان الداعي اليها معرضة بطبيعة الحال الى الانتكاس والتراجع ، فتنقلب الى غفوة ، فذهول ، فغياب ، فسبات عميق لا قدر الله .

وليس من شك ان القوى العالمية ( الصهيونية والشيوعية والصليبية ) تتربص بنا الدوائر وتتآمر ضدنا في محاولة ـ جادة وايم الحق ـ لصرفنا عن الغاية التي

## إفتتاحية



الينا على انفسنا الاتجاه في سبيلها . وهي محاولة تؤتي ثمارها - في حقيقة الامر - وتحقق بعض اغراضها هنا وهناك .

وليس من قبيل التهويل او اطلاق الكلام على عواهنه القول بان الاستعمار يوشك ان يكسب الشوط الاول من هذه المعركة الضروس التي وضعنا قدرنا وجها لوجه امامها .

نحن اذن ، مطالبون بالحيطة والحذر والتنبه وبالمزيد من تعميق الوعي وترشيد الفعل الحضاري الذي من شانه أن يضمن لنا البقاء في موقع القوة والردع والمواجهة .

ان المسلمين اقوياء ما في ذلك شك ابدا ، وانه لمن الهذر والهذيان القول بضعف وعجز وتخلف المسلمين . اننا امة - حقيقة وواقعا - قادرة على ضرب معاقل اعدائها، وهذا هو واقعنا الحقيقي ، ولكن الاعلام الاستعماري يوهمنا - في مكر وخداع وخبث - باننا قوم قاصرون وعاجزون وغير مدركين لطبيعة العصر .

ولكن الامر الذي لا ريب فيه أن المسلمين يفتقدون اليوم القدرة على ضبط المسار والاختيار الحر الذي لا يدين بالولاء لا للشرق ولا للغرب .

فهل هي دعوة الى الحياد ؟

لتكن ....

ولكن الامر المطلوب ترشيد حيادنا ليكون اسلاميا جوهرا ومخبرا ، شكلا ومضمونا .

ان بعض المنهزمين يفترون على الناس الحقائق ، ويشككون في قدرتنا كامة ذات رسالة وحضارة ودور انساني عظيم . بيد ان الممارسة والاستمرار والصمود ، كل ذلك كفيل باظهار الحجم الحقيقي لهذه الامة .

هي ازمة الاختيار في العالم الاسلامي ، تتضخم وتتعقد بتصاعد المد التآمري الموجه ضد الشعوب الاسلامية من المحيط الاطلسي الى الخليج فالمحيط الهادي ، والى كل بقعة يوجد فيها اسلام ومسلمون .

والقوة في الاختيار الحر ، وفي الموقف الصلب وفي القرار القوي القادر على تغيير اتجاه التاريخ ...

ونحن لذلك اهل وبه جديرون ، وعليه قادرون ...

ونشهد ، لله ، ثم للتاريخ ان المغرب عرف سبيله واختار طريقه وقال كلمته وسلك الصراط المستقيم نحو القوة والمنعة والصمود والاستعصاء على الذوبان في الكيان الاجنبي .

عبد القادر الإدريسي

في كلمة السيد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية في افتتاح دورة القاضي عياض :

# • الإهتمام بروافد الفكر الإسلامي

## والسعي الدائم لملء الفراغ الذي نشأ عن إغلاق باب الاجتهاد

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين**

— السيد عامل الاقليم

— السيد رئيس المجلس العلمي

— السيد رئيس المجلس الاقليمي

— السيد رئيس المجلس البلدي

— السادة نواب البرلمان

— السادة المشاركون في الندوة

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

يسعدني أن ارحب بكم باسم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، شاكرا لكم تكرمكم بتلبية الدعوة لحضور هذه الندوة ، المخصصة للبحث والمناظرة في الفقه المالكي قصد اثراء فقه هذه المدرسة الاسلامية ، مقدرا فيكم الروح السامية التي تغلبتم بواسطتها على ما تجشمتم من مشقة السفر والتنقل الى معقل المرابطين مدينة مراكش مثوى القاضي عياض الذي اجتمعنا اليوم من اجل الاعتراف بجميل ما اسداه للفكر الاسلامي ، منسقين فكريا مع محصول الندوة الاولى « ندوة الامام مالك » والتي انعقدت في السنة الماضية ، طبقا لاوامر سيدنا المنصور بالله جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله .

وحفاظا من جلالته على استمرارية البحث الجاد لترسيخ قواعد الفكر الاسلامي اصدر اوامره بالابقاء على الندوة مفتوحة تستقبل آراء وافكار علماء نابهين وبارزين في الفقه المالكي ، حتى تسهم الندوة بواسطة انتاجها الفقهي في حل الكثير من المشاكل الملحة التي تنتظر حلا اسلاميا ، وتحافظ بالحلول المستنيرة بهدي الكتاب والسنة النبوية الصحيحة في المحافظة على شخصية الانسان المسلم المغربي ودوره التاريخي في تمثيل حضارة الايمان ونقلها بواسطة الفكر الاسلامي عبر **الامتداد الطبيعي** لدور المغرب الحضاري . لان مقومات المملكة المغربية الفكرية ، نابعة من الحضارة الافريقية ، والعربية الاسلامية ، بامتداداتها المختلفة ولكن طابعها الذي تؤثر به في غيرها هو الاسلام ، عقيدة وشريعة ، فالاسلام عند المغاربة : عقيدة حية في ضميرهم ، ينبثق منه سلوكهم في المجتمع ويقوم عليه نظامهم في الحياة . ويستحيل الفصل بين هذه الجوانب في فكر الانسان المسلم المغربي ، الذي يقوم بدوره الفعال والايجابي في تمثيل منهج الاسلام بين الامم بواسطة الفكر ، في سماحة وسعة ادراك

لطموحات بلادنا الاسلامية تحت القيادة الحكيمة لرئيس لجنة القدس أمير المؤمنين الحسن الثاني .

حضرات السادة :

لا شك في ان الدراسات الفقهية معلمة من معالم الامة الاسلامية واحدى مميزاتها الخاصة ، في عصورها المزدهرة ، وهذه الندوة سبب من الاسباب التي تسعى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية من ورائها الى اذكاء روح النشاط الفكري والثقافي في بلادنا والى اعادة امجاد المدارس الفقهية ، كي تصبح من خلال الابحاث فيها مجالات ارحب امام انظار الباحثين الشباب ، ليحافظوا على الشعلة وقادة ، مهتدين دائما بهدي سلفنا الصالح ، وما يمثله تراث الدعوة الاسلامية التي قادها رواد المدارس الفقهية المختلفة .

ونحن اذ نهتم بروافد التاليف في الفكر الاسلامي ، فاننا نسعى دائما الى ملء الفراغ الذي نشأ عن اغلاق باب الاجتهاد ، وما تراكم عن عصور الانحطاط الثقافي ، وهدفنا من الدراسات المختلفة هو توثيق العلاقات الثقافية بين علماء الاسلام مهما اختلفت مشاربهم ، جاعلين سبيلنا الى ذلك دراسة الفقه المالكي من مصادره الاصيلة دراسة علمية قوامها العرض الصادق ، والحكم العادل ، فلا نتزيد في فضله ، ولا نهضمه حقه .

حضرات السادة :

ان شريعة الاسلام السمحاء لم تأت مفصلة لجميع الاحكام ككل ما نجم او ينجم على مر الزمان وتطور الانسان ، ولكن ذلك لا يضيرها ، لانه لم يكن عبثا بل كان للابقاء على الذاتية الاسلامية ، للانسان ، وعمله الشخصي ، في البحث عن حلول ، لتجدد الحوادث حوله ، « لان النصوص متناهية والحوادث غير متناهية » ، وان كانت الشريعة ترعى مقومات العقل ومقتضيات الفطرة ، فانها تستهدف مصالح البشر ، وتحمل في اطوائها اسباب نمائها واسرار بقائها ... وقد وضع لها الرسول صلى الله عليه وسلم اصلا قويما يمكن المسلمين من الحكم على كل جديد بالقبول او الرد حسبما توحي عقولهم السليمة وتهدي افكارهم القويمة . لقد اباح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان نعمل عقولنا ونجيل آراءنا فيما يعرض لنا فنمثل الوقائع بنظائرها وتشبيهها بأمثالها ونرد بعضها الى بعض في الاحكام ، ونهج لنا سبيل الاجتهاد ورضيه في حياته من المجتهدين ، والامثلة على ذلك كثيرة ... واجتماعنا اليوم هو من هذا القبيل ، فقد أحدث فكر القاضي عياض حركة علمية نشطة لم تقتصر على المغرب أو الشمال الافريقي بل شملت العالم الاسلامي عموما ، وكان للجدل الذي رافق اجتهاداته في حياته وبعد مماته من خلال مؤلفاته العديدة أثر كبير في اثراء المكتبة الاسلامية في جوانبها الفقهية رواية ودراية مثل :

— 1 ) الالماع
— 2 ) مشارق الانوار
— 3 ) الغنية
— 4 ) التنبيهات
— 5 ) الشفا
— 6 ) المدارك ... الخ .

وكذا خلف انشغال الناس به تراثا خالدا يتمثل في انواع متعددة ، من مؤلفات أهلتها طبيعة المرحلة التاريخية التي عاش فيها القاضي عياض ، وظروف المنهجية الجدلية التي اوقف حياته من أجل نشرها بين الناس حركة فكرية ، جلبت اهتمام العلماء في مختلف فنون الرواية والدراية ، فقد شغلتهم شخصيته ، واخباره ، ومدينته سبتة ، حتى افرد بعضهم هذا الجانب بمؤلف سماه « ازهار الرياض في اخبار عياض » .

واذا كان المغرب لا يذكر عند الكثيرين من اهل العلم الا به فقد ذهب بعضهم الى القول عن المغرب الثقافي « لولا عياض ما ذكر المغرب » بل وصفه بعض الراسخين في العلم لما تميز به من شمائل نادرة في عصره ، بانه « آخر المتقدمين » وكفى سبتة فخرا ومفربة انجابها هذا العالم الشامخ .

حضرات السادة :

هذه الندوة لبنة جديدة فى بناء يقوم على اسس سليمة من الماضي الاصيل للحفاظ على كياننا متميزا بين الامم ، غير غافلين متطلبات العصر وفارق الزمن ، مجدين في تدارك ما فات بأسلوب يحمينا من الاغتراب الفكري والغزو الثقافي ويجلب الينا ما نحن في حاجة

اليه مما يجري في عالمنا من احداث ليس في امكاننا الصدود عنها لانها جزء من كياننا الانساني وحياتنا بين الامم ، متوخين خلق انسجام بين ماضينا الحضاري والعقدي ، وحضرنا المادي وقوام حياتنا المعاصرة .

حضرات السادة :

ان اي مؤتمر لا يحالفه النجاح الا اذا استوفى شروط النظام ، من دقة في التسيير وتوفير لاسباب العمل ، في جو من الثقة والاحترام المتبادل ، والحرص على تحقيق الراحة والطمأنينة ، كي يكون العمل الاسلامي في احسن الظروف وامثلها .

ولا يفوتني في هذه المناسبة ان انظر باكبار واجلال لرصيد هذه الدورة من البحوث ، فقد كانت في عددها مشرفة واعطت لتجمعنا هذا قيمته العلمية المستحقة واكسبتنا شرف الاجتماع المفيد ، مستنيرين بالتوجيه السامي لجلالة الملك حفظه الله والذي نص عليه في رسالته الى ندوة الامام مالك حيث قال جلالته :

« اننا على يقين من انكم ستواجهون هذا التحدي باقدام وايمان ، ومن انكم ستفوزون بهذا الرهان . فكل ما تعج به اسواق الكتب والصحف ، والندوات، وأمواج الاثير من شعارات الحرية والديمقراطية ، والاشتراكية ، والعدالة ، والمواساة وحقوق الانسان ، ما هو الا بضاعتنا ردت الينا معنونة بشتى العناوين .

وليست هذه اول مرة يطالب فيها علماء الاسلام بالتكيف بوضع جديد ، فقد كان لهذا الوضع في تاريخ امتنا ما يوازيه . ولم يكن ذلك ابعد كثيرا من عصر امامنا مالك . فقد جاء بعده العلماء من استخدموا منهجه وانتهوا الى غير ما انتهى اليه من نتائج » .

حضرات السادة :

ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بعد اطلاعها على البحوث تقترح على السادة العلماء تقسيمها الى محاور ثلاثة : ربحا للوقت وتوفيرا للجهود التي ينبغي ان تنصرف الى الاهم من تقييم للبحوث العلمية التي ستطبعها الوزارة في كتاب كما فعلت مع محصول ندوة الامام مالك رضي الله عنه .

وهذه المحاور هي :

— أ — القاضي عياض حياته وعصره

— ب — القاضي عياض المحدث والفقيه

— ج — جوانب اخرى في شخصية القاضي عياض .

حضرات السادة :

ما فتىء ملوك الدولة العلوية الشريفة ، يهتمون بالبحث العلمي والاشتغال به للرفع من شأن الاسلام واعلاء كلمته وحفظ كيان امه ، وتوج أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله عملهم بما وهبه الله من سجايا وهبها لترسيخ الفكر الاسلامي .

فأمر جلالته باعادة طباعة كتب التراث المخطوطة فاصدرت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بناء على ذلك : كتاب التمهيد لابي عمر بن عبد البر الحافظ ، والذي ستتم طباعته في غضون هذه السنة ان شاء الله وكذا كتاب المدارك للقاضي عياض ، وأزهار الرياض كاملا للمقري ، وايضاح المسالك ، للونشريسي ، كما انها تقوم بطباعة الكتب الآتية :

1 ) مشارق الانوار للقاضي عياض الذي سيعاد طبعه بعد نفاد طبعة السلطان مولاي عبد الحفيظ رحمه الله .

2 ) دليل الرفاق على شمس الاتفاق : الشيخ ماء العينين .

3 ) الحاشية على القاموس : ابن الطيب الشركي .

4 ) المعيار المعرب والجامع المغرب : الامام الونشريسي الذي صدر منه الى الآن الاجزاء الثلاثة الاولى .

5 ) الناسخ والمنسوخ في القرءان : لابي بكر بن العربي .

6 ) الطب العربي : لنوازل العلمي .




حضرات السادة :

ان علم الفقه الاسلامي له اهميته التي لا ينكرها منكر ، فهو الذي يوضح للانسان المسلم احكام واعمال ما يحدث عنه من عبادات ومعاملات ؛ ولا يستغني عنه مسلم حريص على دينه ؛ لذلك ارجو الله لنا جميعا الفقه في الدين وقدرة الفهم عنه واتني اتمنى لهذا اللقاء الايماني كل النجاح لما فيه صالح الاسلام والمسلمين راجيا من ضيوفنا الكرام ان يحملوا معهم الى بلادهم اجل الاثر لما تاثروا به من خلال جلسات الندوة ، ولا يفوتني ان اشكر كل من ساعد من قريب او بعيد على تنظيم هذا اللقاء الفكري واخص السلطة الاقليمية وعلى راسها السيد العامل والسيد رئيس المجلس العلمي ، ورئيس المجلس الاقليمي ، ورئيس المجلس البلدي ، والنواب البرلمانيين .

ونخص بالدعاء جلالة الملك الحسن الثاني الذي يرعى هذا اللقاء الفكري بالخير والسؤدد والفلاح فيما يسعى اليه من عمل لصالح شعبه الوفي ، ونسال الله ان يحفظه في ولي عهده الامير سيدي محمد وصنوه المولى الرشيد كما نساله ان يحفظ المسلمين وبلادهم من كيد الكائدين وطمع الطامعين .

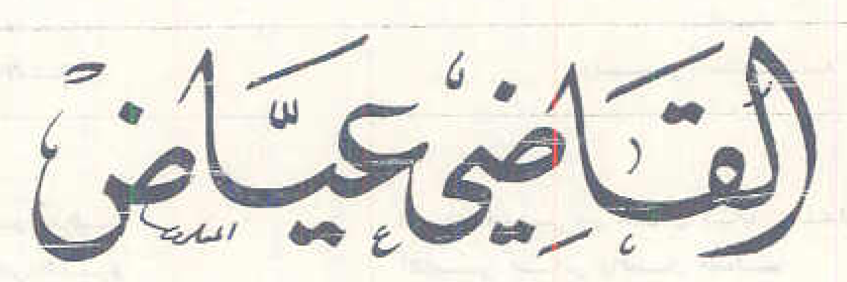
نحمدك اللهم على عميم الائك ، ونشكرك على جزيل نعمائك ، ونصلي على خاتم رسلك وأنبيائك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أتم الله به النعمة للعالمين وكشف به الغمة ، واقام به الحجة ، وعلى اصحابه ومن اهتدى بهديه وسار على سنته الى يوم الدين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

# بحوث دورة القاضي عياض

| اسم الاستاذ | موضوع بحثه |
| --- | --- |
| 1 - عبد الله كنون | عياض اوليته نشاته العلمية ورحلته |
| 2 - عبد العزيز بنعبد الله | سبتة في عصر عياض |
| 3 - احمد سحنون | القاضي عياض من خلال أزهار الرياض |
| 4 - د. عبد الهادي التازي | عياض في فاس |
| 5 - ادريس العزوزي | ابو الفضل عياض : حياته شخصيته العلمية |
| 6 - د. عبد الكبير المدغري | عياض المصلح الاجتماعي |
| 7 - اسماعيل الخطيب | سبتة مدينة القاضي عياض |
| 8 - احمد بغداد | عياض من خلال حياته الطلابية ومحنته السياسية |
| 9 - عبد الكريم التواتي | صفحات من تاريخ ابي الفضل عياض |
| 10 - ابو بكر القادري | نضالية عياض ودفاعه عن عقيدته ومذهبه |
| 11 - د. عبد السلام الادغيري | موقف عياض من المرابطين والموحدين |
| 12 - حيرت منصور | رحلة عياض |
| 13 - سعيد بركبة | مكانة عياض العلمية |
| 14 - الشاعر الزيتوني | القاضي ابو الفضل عياض |
| 15 - محمد حماد الصقلي | حياة عياض العامة |
| 16 - محمد العربي البهلول | مكانة عياض |
| 17 - احمد بنشقرون | مع القاضي عياض في كتابه الشفا |
| 18 - محمد الازرق | عياض خلال تمحيص الرواية الحديثة |
| 19 - د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) | مشارق الانوار ، بحث في التوثيق |
| 20 - احمد الحبابي | موقف عياض من قصة الغرانيق |
| 21 - د. يوسف الكتاني | القاضي عياض المحدث |
| 22 - محمد المنوني | كتاب الشفا من خلال رواته ورواياته ومخطوطاته الاصيلة |
| 23 - محمد الكبير العلوي | كتاب الشفا في الصحراء |
| 24 - محمد الراوندي | أصل السراج من الصفا وما عليه من طرر وسماعات واسانيد |

| اسم الاستاذ | موضوع بحثه |
| --- | --- |
| 25 ـ عبد القادر العافية | الصراع المذهبي من خلال كتاب المدارك |
| 26 ـ مولاي مصطفى العلوي | القاضي عياض واكمال المعلم |
| 27 ـ عبد الهادي احسيسن | عياض خريج مدرسة الحديث المرابطية |
| 28 ـ محمد المختار ولد اباه | منهجية عياض في فقه المصليات |
| 29 ـ د. عمر الجيدي | اثر القاضي عياض في فقه العلميات |
| 30 ـ محمد صالح | فقه عياض من خلال التنبيهات |
| 31 ـ الحاج ماكدسي | دور عياض في الذب عن المذهب المالكي |
| 32 ـ لعبدا الجيلاني | عياض المجتهد والمقلد |
| 33 ـ المهدي الوقشي | منتقيات من آراء عياض من كتابي الالماع والاكمال |
| 34 ـ محمد عبد القادر السلاوي | دور عياض في توطيد المذهب المالكي بالمغرب |
| 35 ـ احمد اكنسوس | عياض في الميدان العلمي |
| 36 ـ د. حسن الوراكلي | القاضي عياض مفسرا |
| 37 ـ محمد الهريم | عياض المجدد |
| 38 ـ رضى الله ابراهيم الالغي | عياض بين سبعة رجال |
| 39 ـ حسن السائح | موقف عياض من الامام الغزالي |
| 40 ـ احمد العدوي | الجانب الرباني من شخصية القاضي عياض |
| 41 ـ عبد الله شاكر | نموذج علم القاضي عياض من خلال كتابه : ( بغية الرائد ) |
| 42 ـ حمداني ماء العينين | القاضي عياض الشاعر |
| 43 ـ د. عباس الجراري | اشكالية الادب في عصر عياض |
| 44 ـ عبد الله الجراري | عياض من خلال أدبه وثقافته |
| 45 ـ علي ابو العكيك | الجانب الادبي في حياة عياض |
| 46 ـ د. عبد الله العمراني | العلامة أبو الفضل عياض كما يراه المشرقيات |
| 47 ـ مولاي الصديق العلوي | ثقافة عياض وورعه وتقواه |
| 48 ـ د. عبد الله الطيب | القاضي عياض الناقد |
| 49 ـ عبد العلي الودغيري | القاضي عياض اللغوي |



للأستاذ عبد الله كنون

**« اوليته ، نشاته العلمية ورحلته ، ولايته للشورى والقضاء ، ثناء الناس عليه ، مكانته الاجتماعية ، ولايته للقضاء بغرناطة ، ترجمته في قلائد العقيان ، الآخذون عنه ، خاتمة حياته ، تاليفه وتحليلها ، مثال من شعره ونثره » .**

بجانب الاصيلي وابي عمران الفاسي يذكر القاضي عياض فيكون ثالث ثلاثة رفعوا راس المغرب في ميدان الدراسات الاسلامية العليا ، ولا سيما علم الحديث رواية ودراسة ، والفقه والخلاف على مستوى المذاهب والائمة ولئن كان اكثر ما بقي من اثار سلفيه العظيمين هو اقوالهما والنقول المعزوة اليهما في امهات الكتب ومراجع هذه الدراسات من شروح السنة ودواوين الفقه ، والاصول ، فان القاضي بخلاف ذلك قد كان محظوظا اكثر منهما ، اذ احتفظت لنا الخزائن العلمية باهم مؤلفاته ، فشارك زميليه في انتشار الذكر والشهرة بالعلم واعتماده في الحفظ والفهم ، وانفرد عنهما ببقاء كتبه شاهدة بعلو كعبه وطول باعه في المعارف والفنون .

ثم هو بعد ذلك يمتاز ببراعته في الادب وصناعتي النظم والنثر ، والخطابة ومعرفته الواسعة بالاخبار والتواريخ الى غير ذلك ، مما جعل منه معلمة محيطة مفتوحة لكل طالب وراغب .

اما صفاته واخلاقه وديانته المتينة ومكانته الاجتماعية فهو مما نتحدث عنه في تفاصيل ترجمته وناهيك بالقداسة التي يتمتع بها لدى عامة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها .

وهو ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن عياض اليحصبي بفتح الياء وتثليث الصاد بعدها باء موحدة نسبة الى يحصب بن مالك قبيلة من حمير السبتي الدار والميلاد ، كان سلفه في القديم بالاندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان وانتقل جده عمرون الى سبتة بعد سكنى فاس .

وكانت ولادة عياض في منتصف شعبان عام 476 ونشأ في صيانة وعفاف طالبا للعلم حريصا عليه مجتهدا فيه ، فحفظ القرءان ثم جود قراءته بالسبع على مشيخة بلده وغيرهم ، واخذ العلم بها من القاضي ابي عبد الله محمد بن عيسى التميمي ، والخطيب ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري ، والفقيه ابي اسحاق ابراهيم بن جعفر اللواتي وجماعة .

وامتلأ وطابه من العلم فقها وحديثا وتفسيرا وعربية وادبا ، ولكنه تاق الى المزيد من التحصيل وسعة الرواية ، فرحل الى الاندلس سنة 507 وعمره احدى وثلاثون سنة فأخذ بقرطبة عن ابي الحسين بن سراج وابي عبد الله بن حمدين وابي القاسم بن

النخاس بالخاء المعجمة وابي الوليد بن رشد وابن عتاب وابي بحر الاسدي وابن العواد وابي القاسم بن بقي وابن الحاج وابن مغيث وغيرهم ثم شخص الى مرسية وقصده أبو علي الصدفي فوجده قد استخفى قبل ذلك بأيام لتبذه خطة القضاء من غير ان يعفى ووجد الرحالين اليه قد نفذت نفقات بعضهم ومنهم من ابتدا اسماع كتاب عليه فلم يتمه ، واخذ اكثرهم في الرجوع الى مواطنهم وتربص بعضهم فمكث هو لا يقع له على خبر سوى الظن بانه هنالك وقابل اثناء ذلك بأصوله وكتب منها ما امكن على يد خاصة من اهله ، ولا يشك ان تصرفه في ذلك لم يكن الا بأمره ، هكذا يقول ابن الابار في معجم اصحاب ابي علي الصدفي .

ثم يزيد قائلا : ولقد شافهه بعد خروجه بما معناه انه لو طال تغيبه لاشعر بالرحيل الى موضع لا يوبه لكونه به فيخرج مختفيا اليه باصوله ويسمع منه ما يرغب فيه لما كان في نفسه من اخفاق رغبته وتعطيل رحلته .

وهذا يدل على مزيد التقدير وعظيم الاحتفال من الصدفي بعياض ، وانه ما قصده الا وهو من اهل العلم المعروفين ورجال هذا الشان الذين لا يخفى امرهم على ذويه .

ومما سمعه عليه كما في فهرسته الغنية ولخصه ابن الابار في معجمه المذكور الصحيحان للبخاري ومسلم والمؤتلف والمختلف ومشتبه النسبة لعبد الغني والشهاب للقاعي والاشارة للباجي وادب الصحبة للسلمي وشيوخ البخاري لابن عدي وعوالي ابي الفوار الزينبي وقراء جامع الترمذي ورياضة المتعلمين لابي نعيم وللشيباني والناسخ والمنسوخ لهبة الله والاستدراكات على البخاري ومسلم والتتبع والالزامات لهما ثلاثتهما للدارقطني والاربعين حديثا لابي نعيم وللشيباني واوهام الحاكم لعبد الغني ، وغير ذلك .

قال ابن الابار : وعندي اصل ابي علي من كتاب المؤتف والمختلف للدارقطني وفيه خط عياض بالمعارضة خاصة .

واجاز له ابو علي جميع رواياته وكتب عنه فوائد كثيرة .

واجاز له ابو علي الغساني وخليص بن عبد الله وابو زيد بن قتال وابن السيد البطليوسي وابو زيد ابن الرواق وخلق غيرهم . على ان شيوخ عياض قد اربوا على المائة ومنهم ابو بكر ابن عطية وابن العربي لقيهما بسبتة وكتب له من المشرق ابن نصر النهاوندي والطرطوشي وابو طاهر السلفي وابو عبد الله المازري من المهدية وسواهم .

وعاد من الاندلس في سنة 508 فلم تطل رحلته اليهما اكثر من سنة ومع ذلك فقد قام فيها بنشاط عظيم ، لان الرجل كان قد اكتمل تكوينه وانتهى تحصيله فلم يكن وكده من لقاء الشيوخ الا توسيع الرواية وربط الصلة باعلام عصره ، ولا سيما مثل الصدفي الذي رحل الى المشرق واخذ به عن بقية من الاكابر علا بهم سنده وتميزت طريقه .. والا فان ما اخذه بسبتة عن شيخه وعمدته ابي عبد الله التميمي فضلا عن غيره كاف ليجعل منه رجل علم ورواية من اعلى طبقة فقد ذكروه في كتابه الغنية انه لازمه كثيرا للمناظرة في المدونة والموطأ وسماع المصنفات قرأ عليه وسمع بقراءة غيره كثيرا واجازه جميع رواياته فما سمع عليه وقراه واجازه به موطأ الامام مالك وصحيح البخاري ومسلم وسنن ابي داود وشرح غريب الحديث للقاسم بن سلام وكتاب اصلاح الغلط لابن قتيبة وغريب الحديث للخطابي وكتاب علوم الحديث لابي عبد الله الحاكم وكتاب الطبقات لمسلم بن الحجاج وكتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي والمدونة لابن القاسم والملخص لمسند الموطأ للقابسي والتقصي لمسند الموطأ لابن عبد البر ومسند الموطأ لابي القاسم الجوهري والرسالة لابن ابي زيد القيرواني ... وكل ذلك مناظرة ورواية وضبطا واجازة فيما فاته ، وبعضه قراه عليه مرارا .

فاذا كان هذا اخذه عن واحد من مشيخة بلده فما الظن وقد تضلع من معين معارفهم جميعا واستوعب ما عندهم درسا وتحصيلا .

ولذلك فانه عندما رجع من رحلته اجلسه اهل سبتة للمناظرة عليه في المدونة ، وهو ابن 32 عاما كما يقول ابنه في الجزء الذي عرف به فيه ، وبعد ذلك بيسير اجلس للشورى – يعني شورى الاحكام – ثم ولي القضاء عام 515 فسار فيه احسن سيرة ، محمود الطريقة ، مشكور الحالة ، اقام جميع الحدود

على ضروبها واختلاف أنواعها ، وبنى الزيادة الغربية في جامع سبتة (1) التي كمل بها جماله وبنى في جبل المنيا الرابطة المشهورة الى غير ذلك من الآثار المحمودة ، والمساعي المرضية فعظم جاهه وبعد صيته .

وكلام ابنه هذا يؤيد كل من ترجم له وهو يدل على ما صاوله من مكانة اجتماعية مرموقة الى مكانته العلمية التي لا ينازع فيها احد .

وقد كثر ثناء الناس عليه وتقريض أهل العلم له بحيث قال فيه ابو محمد ابن ابي جعفر ما وصل الينا من المغرب انبل من عياض ... وقال له ابو الحسين ابن سراج ، وقد أزمع الرحلة الى احد مشايخ الاندلس لهو احوج اليك منك اليه .

* * *

وقال ابن الابار عنه في معجم أصحاب ابي علي الصدفي : ( كان لا يدرك شأوه ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الاثار وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه والتصرف الكامل في فهم معانيه الى اضطلاعه بالآداب وتحققه بالنظم والنثر ومهارته في الفقه ومشاركته في اللغة العربية وبالجملة فكان جمال العصر ومفخر الافق .

ويقول ابن فرحون في الديباج منوها بمشاركته في شتى العلوم : ( كان القاضي ابو الفضل امام وقته في الحديث وعلومه ، عالما بالتفسير وجميع علومه فقيها أصوليا ، عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وايامهم وانسابهم ، بصيرا بالاحكام عاقدا للشروط ، حافظا لمذهب مالك ، شاعرا مجيدا ، ريان من الادب خطيبا بليغا ) .

وهو كلام أصله لابنه في التعريف بابيه ولكنه مما تناقله اكثر الذين كتبوا عن عياض تسليما له واقرارا بالحق فيه . وقد سقطت منه بعض الكلمات مما يتعلق بعمله وخلقه ؛ ونحن ننقله بتمامه بعد ان رأينا اصفاق مترجميه عليه ؛ فالولد كان اعرف بأبيه من غيره . وهو كان ايضا من اهل العلم وتولى القضاء كأبيه ، فشهادته لها وزنها وتقديرها .

يقول رحمه الله : ( نشأ ابي على عفة وصيانة مرضي الحال ، محمود الاقوال والافعال ، موصوفا بالنبل والفهم والحذق ، طالبا للعلم ، حريصا عليه ، مجتهدا فيه ، معظما عند الاشياخ من اهل العلم ، كثير المجالسة لهم والاختلاف اليهم الى ان برع اهل زمانه ، وساد جملة أقرانه فكان من حفاظ كتاب الله تعالى مع القراءة الحسنة ، والنغمة العذبة والصوت الجهير والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه ، وكان أئمة الحديث في وقته اصوليا متكلما ، فقيها حافظا للمسائل ، عاقدا للشروط بصيرا بالاحكام ، نحويا ، ريان من الادب ، شاعرا مجيدا ، كاتبا بليغا ، خطيبا ، حافظا للغة والاخبار والتواريخ، حسن المجلس ، نبيل النادرة ، حلو الدعابة ، صبورا حليما ، جميل العشرة ، جوادا سمحا ، كثير الصدقة دؤوبا على العمل ، صليبا في الحق ، وبلغ في التفنن في العلوم ما هو مشهور وفي العالم معلوم ) .

ولما ترجمه ابن بشكوال في كتاب الصلة قال : قدم الاندلس طالبا للعلم ثم قال وقدم علينا قرطبة في ربيع الاخير سنة احدى وثلاثين وخمس مائة واخذنا عنه بعض ما عنده ... وكلمته الثانية تصحح كلمته الاولى فانه كما قدمنا لم يرحل الى الاندلس حتى تملأ من العلم واشبع نهمته منه ولم يكن قصده الا لقاء الشيوخ والاتساع في الرواية والا لما اخذ ابن بشكوال عنه في رحلته هذه وهي رحلته الوحيدة ليس له غيرها الى أن قدم اليها قاضيا فيما بعد ذلك على ما يأتي .

وعلى كل فان مكانته العلمية التي توطدت بدراسته الجامعة على مشيخة بلده ومن مر بها من غيرهم ، قد زادت تمكنا برحلته الاندلسية ومن لقي بها من الاعلام ، كما تدل عليه شهادات من ذكرنا وغيرهم مما يطول تتبعه .

اما مكانته الاجتماعية فقد كانت متوطدة بأبوته الكريمة ، أن جده عمرون الذي استقر بسبتة كان من اهل الفضل والدين ، حج مرارا وغزا كثيرا وبنى مسجدا واوقف عليه بعض الدور كما اوقف ارضا لدفن الموتى ، ولا شك ان هذه الاعمال قد اكتسبت ولده نباهة وذكرا حسنا ، ثم زاد ذلك بظهور حفيده

1 ) تخضع الاوقاف وتسييرها في الفقه الاسلامي لنظر القضاة فمن هنا كان تصرف القاضي عياض ـ فيما يظهر ـ ببناء هذه الزيادة في المسجد .

وارتفاع درجته في العلم وولايته للقضاء وسيرتـه الحميدة فيه والمشاريع العمرانية التي قام بها مـن الزيادة في المسجد وبناء الرابطة وغير ذلك على مـا المع اليه ابنه في النبذة التي نقلناها عنه ، وهي مما اكده غيره من المترجمين له ، الشيء الذي جعلـه الشخصية المرموقة ان لم نقل الشخصية الاولى في البلـد .

وعظم شان عياض فدعي الى تولـي القضـاء بغرناطة فكسر العادة التي كانت تجعل القضاة ياتون من الاندلس الى المغرب ، ولنستمع الى احد علماء غرناطة وهو ابو زيد عبد الرحمن ابن القصير يصف دخول عياض الى هذه المدينة فيقول : « لمـا ورد علينا القاضي عياض غرناطة خرج الناس للقائه وبرزوا تبريزا ما رايت لامير مؤمر مثلـه ، وحزرت اعيـان البلد الذين خرجوا اليه ركابا نيفا على مائتي راكب ، ومن سواد العامة ما لا يحصى كثرة ، وخرجت مـع ابي رحمه الله تعالى في جملة من خرج فلقينا شخصا بادىء السيادة منبئا عن اكتساب المعالي والافادة ».

وكانت ولايته لقضاء غرناطة في أيام تاشفين بن علي اللمتوني المرابطي اول يوم من صفر سنـة 531 قال ولده في كتاب التعريف : فنهض اليها وتقلـد خطة قضائها ، على المعتاد من شيمته السنية واخلاقه المرضية ، مشكورا عند جميع الناس ، لكن تاشفين ضاق به ذرعه وغص بمراقبته ، وصد أصحابه عـن الباطل ، وخدمته عن الظلم ، فصرفه عنها في رمضان سنة 532 ، يعني ان ولايته لم تدم الا سنة وبضعـة اشهر ، وذلك لما اخذ نفسه به من الجد والاستقامـة والضرب على ايدي اهل العبث والفساد وتقدم عـن ولده في ولايته لقضاء سبتة ، انه احسن السيـرة واقام الحدود ، وهنا يحضرنا ما روي عنه انه اقـام حد الشرب على الكاتب الشهير الفتح بن خاقـان ، صاحب القلائد والمطمح ، فانه دخل عليـه وهـو سكران ، فامر باستنكاهه فوجدت منه رائحة الخمر فنفذ فيه الحد ، ولما خرج اتبعه بصلـة ، وذلـك منتهى التشرع والمجاملة للاديب الاندلسي اللامع ، في آن واحـد .

ويقال ان هذا عزم على حذفه من كتابه القلائد، فقيل له ان ذلك ادعى لاشتهار هذه القضية ، وتساؤل الناس عن عدم ذكره للقاضي عياض وهو من هو علما وادبا وجاها ، فعدل عن ذلك .

والقصة لعمرى مما يذكر في مغربات الاخبار ، وهي تدل على ان ما وصفه لـه ولـده في كتـاب التعريف ، دون ما كان عليه من الصرامة في الحـق والقيام بواجب الخطة ، لان من فعل هذا مع شخصية معروفة لها وزنها وقيمتهـا في الاوساط الادبيـة والفكرية ، احرى ان يكون مع غيرها بالوصف الذي ذكره به ، ولذلك فان تأخيره عن قضاء غرناطة مـن قبل تاشفين بن علي هو كما قال ولده لشدته على اهل الظلم والباطل من رجاله واتباعه بدون شك ولا ريب.

وهنا يحسن ان نورد ما كتبه عنه الفتح ابـن خاقان في القلائد ، وهي فذلكة جمعت ما وصف بـه من اصالة ورسوخ وتفنن في عبارات معجبة ، وفقر مطربة ، هذا نصها : الفقيه الحافظ القاضـي ابـو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله تعالى ، جاء على قدر ، وسبق الى نيل المعالـي وابتـدر ، واستيقظ لها والناس قيام ، وورد ماءها وهم حيام ، وتلافى المعارف ما شكل واقدم على ما احجم عنـه سواء ونكل ، فتحلت به للعلوم نحور ، وتجلت لـه منها حور ، كأنهن الياقوت والمرجان ، لم يطمسهـن انس قبله (1) ولا جان ، قد الحقه الاصالة رداءهـا وسقته انداءها والقت اليه الرياسة اقاليدها ، وملكته طريفها وتليدها ، فبذ على فتائه الكهول سكونا وحلما وسبقهم معرفة وعلما ، وازرت محاسنه بالبدر اللياح، وسرت فضائله سرى الرياح ، فتشوقت لعلاه الاقطار، ووكفت تحكي نداه الامطار ، وهو على اعتنائه بعلوم الشريعة ، واختصاصه بهذه الرتبة الرفيعة ، يعنـي باقامة اود الادب ، وينسل الى اربابه من كل حدب ، الى سكون ووقار كما رسا الطود ، وجمـال مجلس كما جليت (2) الخود ، وعفاف وصون ما علمـا (3) فسادا بعد الكون ، وبهاء لو راته الشمس ما باهـت باضواء وحفر ولو بان للصبح ما لاح ولا اسفر ... » واستقر عياض بعد ذلك ببلده معززا مكرما ، يخـدم

(1) في الاصل : قبلهم على لفظ الآية والمناسب هنا افـراد الضميـر .

(2) في الاصل : حليت بالحاء ونظن صوابها جليت بالجيـم .

(3) في الاصل : علمنا والصواب ما اثبتنـاه .

العلم بالدرس والتأليف ، وكان حسن الالقاء للمسائل كثير التحرير للنقول ، وقد انتفع به من العلماء ما لا يحصى ، كأبي زيد ابن القصير المتقدم الذكر ، وأبي جعفر بن مضا وابن بشكوال على ما سبق عنه وابن غازي السبتي وأبي جعفر بن حكم ، ومن طريقهم تروى كتبه وغيرهم ، وكان كثير الاعتناء بالتقييد ، بارع الخط ، يقول ابن خاتمة في كتاب المزية على ما نقله عنه المقري في أزهار الرياض :

وقفت على خطه رحمه الله فرايته خطا رائعا ، وكان سريع الوضع (4) ، ويدل على ذلك كثرة أوضاعه وكتب من ذلك كتبا كثيرة بيده .

وكانت هذه حاله الى ان ولي قضاء سبتة ثانية في عام 539 ، قدمه ابراهيم بن تاشفين بن علي ، فابتهج أهل بلده بذلك ، ثم بادر بالدخول في أمر الموحدين اثر ظهورهم فأقره عبد المومن على ما كان عليه ، وصرف أمور بلده اليه ، وخاطبه بالتنويه وحظى عنده ، واجتمع به بمدينة سلا عند توجهه الى محاصرة مراكش ، فلقي منه برا واقبالا وتأمينا ، الى أن اضطربت امور الموحدين عام 543 والثابت حاله معهم بثورة اهل بلده عليهم ، فنقلوه الى مراكش حيث توفي في جمادى الاخيرة وقيل في رمضان سنة 544 .

وقيل انهم ولوه قضاء بلدة داي بتادلا وهي بلد الصومعة ، ويروى له شعر مما قاله فيها يشكو الغربة ويتشوق الى بلده سبتة .

وكثرت الشائعات حول موته ، فقيل ان المهدي ابن تومرت أمر بقتله ، وقيل انه مات فجأة في الحمام بدعاء الغزالي عليه لانه ممن أفتى بحرق كتاب الاحياء، وقيل انه مات مسموما سمه يهودي ، ولا صحة لذلك كله .

والثابت انه مات ميتة طبيعية بعد مرض قصير مغربا عن بلده بسبب تورطه في الثورة على الموحدين ــ وان هؤلاء عاملوه معاملة خاصة ــ نظرا لعلمه وفضله ، وانه دفن بمراكش بباب ايلان داخل المدينة حيث يوجد قبره الآن رحمه الله ورضي عنه .

* * *

الف القاضي عياض عدة كتب كلها جليلة ومفيدة ، وبعضها لا نظير لها ولم يسبق بمثله ، ومنها كتاب الشفا ، في التعريف بحقوق المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي طار به صيته في العالم الاسلامي وتلقته الامة بالقبول ، واصبح احد الكتب التي تحظى بالتقديس من لدن اهل المعرفة وعوام المومنين ، يقول ابن فرحون في حقه : ( ابدع فيه كل الابداع وسلم له اكفاؤه كفاءته فيه ولم ينازعه احد في الانفراد به ولا أنكروا مزيته في السبق اليه ، بل تشوفوا للوقوف عليه وانصفوا في الاستفادة منه وحمله الناس وطارت نسخه شرقا وغربا .

وقد مدح بشعر ونثر كثير ، وطعن الحافظ الذهبي فيه بكونه محتويا بالاحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية لم يسلم له ،، فما فيه من الموضوع قليل جدا وكذلك ما فيه من الضعيف .

ومن المقرر ان الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل ، والحق أن بناء كتاب الشفا على آيات الذكر الحكيم وصحيح الاخبار واقوال العلماء ، والنقول الثابتة عن ائمة التفسير ، ورواة السيرة ، وما تخلله من الضعيف وما قيل فيه انه موضوع انما ياتي به بعد ذلك للاستيناس والاعتبار ، وقد خرج أحاديثه الحافظ السيوطي في كتابه مناهل الصفا ، وبين ما فيها فلينظر ، وما احسن ما قيل في هذا المعنى من قصيدة للشيخ ابي محمد بن عبد النور العمراني ، مدح بها الشفا ومؤلفها :

شفا بالشفا ما في النفوس فلم يدع
مقالا لذى قول بجهر ولا سر

فقسم اقساما وبوبها معا
وفصلها مقبولة العلم والذكر

وقدم آيات الكتاب التي بها
سما قدره فوق السماكين والنسر

وثنى باخبار صحاح شهيرة
كما اتبعت شمس السموات بالبدر

(4) سريع الوضع اي التأليف ، والاوضاع : التآليف .

وكم غاص في بحر المعارف ينتقي
من الدر ما قد غاب فى غامض البحر

فجود منها كل قاص وشـــارد
وما ضله الحفاظ في سالف الدهر

وكل غريب النقل صحت طريقــه
وكل طريق المتن عار عن النكــر

والحق منها كل نـوع بجنســه
ورتبها مثل الجمـان على النحـر

واجرى علوما بين ذلــك جليلــه
فيا حسـن ما يروى ويا حسن ما يجري

وقد كتبت على الشفا شروح كثيـرة يطـول تتبعها ، وذلك مما يزيد دلالة على اهميته والاحتفال به من علماء جميع العصور التي تلت عصر مؤلفه .

ومن كتبه الحفيلة القيمة كتاب مشارق الانوار على صحاح الاثار فسر فيه غريب حديـث الموطـا والبخاري ومسلم وضبط الالفاظ واسماء الرجـال ونبه على مواقع الاوهام والتصحيفات ، قال فيه ابن فرحـان : ( وهو كتاب لو كتب بالذهـب او وزن بالجوهر لكان قليلا في حقه وفيه انشد بعضهم :

مشارق انوار تبـدت بسبتــة
ومن عجب كون المشارق بالمغرب

وهذا البيت مما كان ينشده ابـو عمـرو بن الصلاح ، قال ابن الابار اخبرني بذلك من اصحابنا من سمعه ، وكان بعض العلماء يقول عنه :

( لا احتاج في كتب الحديث الا للمشارق فاذا كان عندي فلا ابالي بما فقدت منها ) ، وهو يعنـي ولا شك شروح الحديث ، فان المشارق يقوم مقـام الكثير منها بما فسر من الفاظ الحديث الواقـع في الاصول الثلاثة المذكورة وبين من معانيها وما ضبط من اسماء الرواة ونبه على مشتبهها وما اصلح مـن الاوهام والاغلاط التي وقعت في اسانيد تلك الكتـب او متونها الى غير ذلك مما اذا حققه القارىء المعنى بكتب الحديث وروايته والنظر فيه ، وهو من اهـل العلم والفقه فانه يستغنى بالمشارق عن الرجوع الى الشروح والتعاليق التي كتبت على امهات كتب السنة واصولها مما هو موضوع المشارق وغيره ، لان غالب احاديث الصحاح الثلاثة مذكورة في غيرها بروايتهـا فعليها المدار ، ولذلك كثر النقـل عن عيـاض في كتابات ائمة الحديث وشروح السنن كما قال الشيخ محمد الامين الحصراوي في كتابه المجـد الطارف والتليد : ( وانظر الى عياض فلا ترى تاليفا معتبرا من تواليف اهل الحديث ولا اصحاب السيرة والفقهاء الا وجدته مشحونا بكلامه ، مع انه لم يرتحل الى المشرق) يعني والنقل عنه والاعتماد عليه مما يتساوى فيـه اهل المغرب والمشرق بـل في المشرق اكثـر ، وبالجملة فان قيمة كتـاب المشارق لا تعـرف الا بالوقوف عليه وممارسته وقراءة مقدمته .

ومن كتبه الحديثة المهمة كتابه اكمال المعلم ، اكمل به شرح شيخه المازري المسمى بالمعلم بفوائد صحيح مسلم ، ذكر في اوله ان طلبته رغبوا اليه في كتابة شرح عليه يبين مشكله ويقيد مهمله لانه لـم يؤلف في شرحه الا ما ذكره شيخه ابو علي الجياني في تقييد المهمل من الكلام على مشكل اسانيده مـع مشكل اسانيد البخاري وكتاب المـازري ... قال لكن الاحاطة على البشر ممتنعة ومسارح الاذهـان والالباب للبحث متسعة ، وكثيرا ما وقفنا في الكتاب المذكور على احاديث مشكلة لم يقع لها هناك تفسير وفصول محتملة تحتاج معانيها الى تحقيق وتقدير .. ثم قال انه راى ان تاليف كتاب جامع لشرحه لا معنى له ، مع ما تقرر في ( المعلم ) من فوائد جمة لا تضاهي فياتي الكلام في ذلك ثانية كالحديث المعاد ، ولذلك قر رايه ان يكون شرحه ذيلا لشرح شيخه ، يبدأ بما قاله ثم يضيف اليه ما زاده عليه ، ومن ثم سمـاه اكمال المعلم اعترافا فضل السبق للامـام المازري وهذا الكتاب هو ايضا مما افضل بـه على علمـاء الحديث ونشر له ذكرا عاطرا بينهم ، وقد اتم به مـا بداه في الكتاب قبله بخصوص صحيح مسلم كما المع لذلك في مقدمة المشارق .

ومنها كتاب الالماع الى معرفة اصول الروايـة وتقييد السماع ، وهو في علوم الحديث فريـد في بابه ، جمع ما في كتب الفن قبله ، واضاف اليه نكتا غريبة من مقدمات علم الاثر واصوله وفصولا هامة في اقسام الرواية والتحمل ، مع مزيد مـن الضبـط والاتقان ، والتحري في السماع والاداء ،وفيه يقـول الدكتور اسد رستم : ( على الرغم من مرور سبعـة قرون عليه ، فانه ليس بامكان رجال التاريخ في اوربا

وامريكا ان يكتبوا احسن منه ، وان ما جاء فيه من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج في باب تحري الرواية والمجيء باللفظ ، يضاهي ادق ما ورد في الموضوع نفسه في أهم كتب الافرنج في المانيا وفرنسا وامريكا وانكلترا ) .

ومن كتبه في الفقه على مذهب الامام مالك كتاب التنبيهات المستنبطة على المدونة والمختلطة ، حل فيه الفاظ المدونة وضبط مشكلاتها وحرر رواياتها وسمى رواتها ، فصار عليه المعمول في شرحها لانه جمع بين طريقة اهل العراق الذين يجعلون مسائل المدونة كالاساس ويبنون عليها تفريعات المذهب من غير نظر في تصحيح الروايات ومناقشة الالفاظ ، وطريقة اهل القيروان الذين يبحثون الالفاظ ، ويحققون الروايات وذلك لقوة عارضته وسعة اطلاعه ، فوضع بذلك منهجا جديدا للفقهاء والباحثين في أصول المذهب ممن اتى بعده.

ومن كتبه العظيمة الفائدة في الطبقات والتراجم كتاب ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، المشهور باسم المدارك، وهو كتاب سد به فراغا عظيما في هذا الباب ولم يقم قبله ولا بعده من فيه ، وانما حسب كتاب التراجيم والطبقات ان ينقلوا عنه ويلخصوه ويذيلوا عليه ، ومع ذلك فانهم لم يحاكوه او يقاربوا ، فاحرى ان ياتوا بمثل نفسه العالي ، وقد كان قدوة لغيره من اتباع المذاهب الاخرى فالفوا في طبقات علماء مذهبهم كتبا تختلف باختلاف مداركهم ومشاربهم .

وقد استهله بمقدمة ضافية في ترجيح مذهب مالك وبيان القواعد التي بني عليها والمقارنة بينه وبين المذاهب الاخرى ، ثم اتبع ذلك بترجمة واسعة للامام مالك لم يترك فيها شاذة ولا فاذة مما يتعلق بحياته الشخصية والعلمية الا اتى بها ، وبعدها شرع في ذكر تراجم علماء المذهب مرتبا لهم على الطبقات، فاتى بالعجب العجاب في ذلك لا سيما في تراجيم الكبار منهم والمشهورين سالكا في ذلك المنهج العلمي النقدي مطبقا قواعد النظر المتبعة عند ائمة الحديث في الرواية والرواة ، مما بينه في كتابه الاعلام السابق الذكر ، توثيقا وتوهينا ، وبيان وهم وتصحيح خطأ وما الى ذلك .

يقول في ترجمة ابراهيم بن حماد : وزعم ابن كامل انه كان يتهم بالنصب وان القاضي أبا الحسين كان يحقق عليه ذلك وانه خرج حديث مواخاة النبي ( ص ) لعلي من كتاب عمه اسماعيل وابن كامل كثير الحمل على آل حماد بن زيد متتبع لعثراتهم الخ .

ويقول في الامام الاشعري : ( وقد روي في امره حديث لا أعلم له أصلا ولا رويته فلا اذكر ، ومن راى انه كان ابتداء امره معتزليا ثم رجع الى هذا المذهب فهذا لا ينقصه ، فقد كان من هو افضل منه اولا كافرا ثم اسلم ، بل هذا ادل على ثبات قدمه وصحة يقينه في التزام السنة ، اذ لم يلتزمها لانه نشأ عليها ولا اعتقدها تقليدا الا بما نور الله قلبه وايده بروحه .

ويقول في محمد بن يحيى بن لبابة ابن اخي ابن لبابة الكبير ، قال بعضهم : ولم يكن له علم بالحديث وكان ينحرف عنه ، قال عياض : اما قلة علمه بالحديث فظاهرة واما انحرافه عنه فلا ، بل يميل اليه في تواليفه ، واذا اعتمد على نظره في مسالة او ضعف فيها قول المدنيين ، كثيرا ما يقول : الا ان ياتي بذلك اثر صحيح .

ويقول في ترجمة البرادعي وذكر كتابه التهذيب : على ان ابا محمد عبد الحق الف عليه جزءا فيما وهم فيه على المدونة ، وانا اقول ان البرادعي بنجوة عن انتقاد عبد الحق ، فان جميع ما انتقد عليه لفظ ابي محمد رحمه الله ( يعني ابن ابي زيد ) .

ويقو في ترجمة عبد الله بن مسرور : اشهد انه رجع في اجازته لقوم ساءت حالهم ، قال عياض : مثل هذا لا يضر الرواية ، وقد فعله بعض من لقيناه ببعض من سخطه من اصحابه ، ولعله لم يخف عليهم ان الرجوع فيها لا يصح لكنه كالردع .

ويقول في ترجمة ابن غافق ، وزعم الشيرازي انه تفقه بعلي بن زياد وهذا وهم ، لان ابن غافق ولد بعد موت علي بن زياد بأزيد من عشرين سنة .

هذه امثلة قليلة من طريقة عياض في كتابه التراجم وتحريره لها ونقده لما تضمنه من خطا او

وهم بسبب تساهل الرواة او غفلتهم او غير ذلك من الاسباب ، ومنها يعلم ان الكتاب عظيم القيمة والنفع جليل الفائدة والقدر .

ومن كتبه في التراجم ايضا كتاب الغنية ، وهو فهرسة اشياخه وما اخذ عنهم بقراءة واجازة مع ذكر اسانيدهم ان كانت لهم رواية وقد بلغ بهم عدد المئة وقال انه ترك جماعة ممن لقيهم وذاكرهم وحضر مجالسهم من الفقهاء والرواة ولكنه لم يحمل عنهم من الكتب والحديث شيئا .

وباقي كتبه هي بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد ، ومعجم شيوخ ابي علي الصدفي ، والاعلام بحدود قواعد الاسلام وسر السراة في ادب القضاة ونظم البرهان في زجم الآذان ، والفنون الستة في تاريخ سبتة ، لم يكمل ، وغنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسيل ، ومجموعة خطب واجوبة عن المسائل التي رفعت اليه ، وتاريخ يشير اليه كثيرا في كتاب المدارك وذكره بعض مترجميه بجامع التاريخ وغير ذلك ، من مشروعات كتب لم تكمل .

وقد طبع من هذه الكتب كتاب الشفا ، طبعات لا تعد ، وكتاب المشارق ، وكتاب المدارك ، وكتاب الالماع ، وكتاب قواعد الاسلام ، وباقيها بعضه يوجد مخطوطا وبعضه الآخر يعد في حكم المفقود ، وله رحمه الله قلم سيال في النثر الفني والمرسل ، وشعر بديع ، وبهذه الصفة الادبية ترجم له الفتح في القلائد وقال : وقد اثبت من كلامه البديع الالفاظ والاغراض ، وما هو اسحر من العيون النجل والجفون المراض . فمن ذلك رقعة حملناها للرئيس ابي عبد الرحمن بن طاهر رحمه الله وهي :

( عمادي ابا نصر مثنى الوزارة ووحيد العصر هل له في منة تفوت الحصر تخف محملا وتبلغ املا وتشكر قولا وعملا تترنم بها الحداة حميلا ورملا اذا بلغت الحضرة العلمية مستلما ولقيت الطاهر ابن طاهر فخر الوزارة مسلما وحللت من قنائه الارحب حرما ولمست بمصافحته ركن المجد يندى كرما فقف شوقي بعرفات تلك المعارف وانسك شكري بمشاعر تلك العوارف واطلف اكباري بكتة ذلك الجلال سبعا وبوى لودي في عز ذلك الكمال ربعا وابلغ عني تلك الفضائل سلاما يلتقم بصريح الحق التثاما ويحسن عني بظهر الغيب مقاما ويسير عني بارج الحمد انجادا او اتهاما ) .

وهي كما ترى قطعة بليغة لا تقل عن نثر ابلغ الكتاب من ارباب الصناعة والملتزمين بهذا الفن الرفيع ، اما نثره المرسل ففي كتبه نماذج منه ولا سيما في كتاب الشفا تشهد بتصرفه وطول نفسه .

واما شعره فمن أرفعه نسجا واشفه عن نفسه تعبيرا قوله يودع قرطبة :

اقول وقد جد ارتحالي وغردت
حداتي وزمت للفراق ركائبي

وقد غصت من كثرة الدمع مقلتي
وصارت هواء من فؤادي ترائبي

ولم تبق الا وقفة يستحثها
وداعي للاحباب لا للحبائب

رعى الله جيرانا بقرطبة العلا
وسقى رباها بالعهاد السواكب

وحيا زمانا بينهم قد الفته
طليق المحيا مستلان الجوانب

اخواننا بالله فيها تذكروا
معاهد جار او مودة صاحب

غدوت بهم من بربهم واحتفائهم
كاني في اهلي وبين اقاربي

ومنه يتشوق الى بلده ويشكو الغربة وهو قاض بداي :

أقمرية الادواح طارحي
اخا شجي بالنوح او بغناء

لقد ارقتني من هيلك وقة
تضعضع منها زفرة الصعداء

لعلك مثلي يا حمام فاني
غريب بداي قد نقلت لداء

فكم بين داى من فلاة وسبتة
وخرق عظيم الخافقين خـراء

لعل الذي كان التفرق حكمه
بجمع منا الشمل بعد تنـاء

وله في خامات زرع بينها شقائق النعمان هبت عليهـا ريـاح :

انظر الى الـزرع وخاماتـه
شقائق وقد ماست امام الرياح

كتيبة خضـراء مهزومـة
شقائق النعمـان فيها جـراح

وله وقد جنسه جناسا كاملا لطيفـا :

يا من تحمل عني غير مكتـرث
لكنه للضنا والسقم اوصى بـي

تركتني مستهام القلب ذا حرق
اخا جوى وتباريح واوصـاب

اراقب النجم في جنح الدجـى
سهرا كأنني راصد للنجم اوصابي



# سبتة في عصر عياض

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

ان الكشف عن تاريخ بلد ما يستلـــزم التعرف على مجالات جوهرية تتصل خاصة بمعطيات الفكـر والاقتصاد والاجتماع وهي اهم العناصر الحضاريـة التي تشكل بنية او هيكل مجتمع من المجتمعـات ، وقد نحاول عبثا استشفاف هاته المقومات مجموعة في بعض كتب التاريخ فلا نجد منها الا نتفا مبعثرة لا ترتسم فيها صورة متكاملة عن الوجـــه الحضـــاري الصحيح فلذلك انكب الباحثـــون ـ وخاصـــة في المغرب ـ على استخلاص العناصر التكوينية لذاتيتنا وكياننا من كتب التراث سواء منها الفقهية من نوازل وفتاو الى رسائل السير والتراجم والمناقب لما قد تحتوي عليه من سمات وشارات حيـــة من خـــلال الماجريات الفردية او الاحداث الجماعية وتنطبق هذه الظاهرة على عصر القاضي عياض الذي لـم تصلنـــا المؤلفات التي افردها لتاريخ ( سبتة ) والتي منها :

1 ) ( الجامع في التاريخ في اخبـار ملـــوك المغرب والاندلس وخاصة سبتة ) أشار اليـه عياض نفسه في ترجمة عبد الله بن ياسين كما اشار اليـــه غيره (1) على انه هو نفس ( تاريخ المرابطين ) الذي انتهى فيه الى عام ( 540 هـ ) مستوعبـــا أخبـــار ( سبتة ) ورجالها وما جرياتها .

2 ) ( العيون الستة في اخبار سبتة ) (2) لم يكمل غير ان هنالك رسائل ودراسات أخرى من بين المفقودات هي مظنة لاحتواء معلومات هامة عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في ( سبتـــة ) مثـــــل :

1 ـ كتـــــاب خطبـــــه ( سفر ) .

2 ـ ( مسالة الاهل المشترط بينهم التزاور ) ( جـــزء ) .

3 ـ ( المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان ).

4 ـ ( الاجوبة المحبرة على الاسئلة المتخيرة )

5 ـ ( سر السراة في آداب القضـــاة ) .

---

(1) الذهبي في تذكرة الحفاظ ج 4 ص 97 نقلا عن تلميذ عياض محمد بن حمادة البرنسي السبتـي ( أزهار الرياض ج 2 ص 239 ) .

(2) هذا هو عنوان أسمه حسب ( كشف الظنون ) ج 2 ص 1186 و ( هدية العارفيـن ) ج 1 ص 805 وسماه صاحب ( الاحاطة ) ص 183 ( الفنون الستة ) وكذلك ولـــده في ( التعريـــف ) ص 133 والمقري في ( أزهار الرياض ) ج2 ص 239 .

6 ـ ( مذاهب الحكام في نوازل الاحكام )(3) لمحمد بن عياض ولعله اقدم وثيقة حول النوازل بالمغرب بعد « نوازل القرويين » (بالقيروان) ونوازل ابن رشد الجد وابن الحاج القرطبي ، وتعطينا صورة عن جوانب كثيرة من تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي وبالرغم عن كون جامعها هو ولد القاضي فان الاصل هو بطائق جمعها عياض نفسه تحت عنوان ( اجوبة القرطبيين ) ادرج فيها بعض النوازل التي اعترضته في مدة قضائه ، وقد وصف القاضي عياض من خلال النوازل والفتاوي مجالات مختلفة تشكل مدونة العمل السبتي (4) كابتكار رائد للعمل الفاسي والعمل الرباطي والعمل السوسي والعمل التطواني (5) كما تضيف معطيات لا تستوعبها عادة كتب التاريخ فهي لا تعوض ما ضاع من المصنفات التاريخية للقاضي عياض فحسب بل هي مكملة ومحققة للشمولية المتوخاة في مثل هذا المجال ، ويتجلى ذلك في ( اجوبته فيما نزل في ايام قضائه من نوازل الاحكام ) (6) او في ( الاجوبة المحبرة عن المسائل المتخيرة ) (7) وهي معان شاذة فيما اجاب عنه القاضي من مسائل تتبلور فيها بعض الجوانب الخاصة التي تلقي ضوءا زائدا على الخلفيات القائمة في اللوحة وقد برزت خلفيات اخرى في كتابه ( التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة (8) و ( مطامح الافهام في شرح الاحكام ) (9) .

وكانت النوازل تشمل الابواب التي احتواها ( كتاب التعريف ) من اقضية وشهادات ودعاوي وايمان وحدود وجنايات وازيد من اربعين بابا آخر نجد فيها فتاوي وأجوبة للقاضي عياض وابن رشد الجد وابن سهل وابن ابي زيد القيرواني وابن الحاج القرطبي ونوازل القرويين وهي فذلكة يمكن ان نستخلص منها جوانب ظلت في الغالب غامضة في ثنايا التاريخ المغربي وفي ( كتاب التعريف ) معلومات شيقة طرية حول العلائق التجارية برا وبحرا مع مدن مغربية واندلسية في عصر القاضي عياض على ان القاضي عياضا لم يغفل بعض مجالي الحياة في سبتة عند ترجمته لشيوخه المائة في ( الفنية ) (10) و ( المعجم في شيوخ ابن سكرة (11) فقد اشار الى كثير من أحوالهم ومن هؤلاء الشيوخ ابو الوليد ابن رشد الجد ومحمد بن احمد بن خلف التجيبي الشهير بابن الحاج قاضي قرطبة ( صاحب نوازل الاحكام ) وابو بكر بن العربي المعافري وابو بكر بن عطية وعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي وابو علي الجياني

---

(3) توجد نسخة في الخزانة الملكية بالرباط خم 4042 ( 78 ورقة ).

(4) ربما اقتبسه هو نفسه من ( العمل القرطبي ) ودونه في ( أجوبة القرطبيين ) التي جمعها ولده مع أجوبة غير القرطبيين .

(5) الفقيه ( الحايك ) من اولاد الحايك اشراف من دسكرة أولاد ( بني صالح ) قرب تطوان له ( نوازل في الاحكام الشرعية بتطوان ) أدمجها سيدي ( المهدي الوزاني ) الفاسي في نوازله الصغرى وطبعت في المطبعة العامة في أربعة اجزاء استنسخها منه واضافها الى نوازله وهو يحكي عنه باسم ( الحايك ) .

(6) لم يكمله وهو جزء حسب (الاحاطة ) ص 183 و( التعريف ) ص 134 او جزءان تبعا لرواية المقري ( ازهار الرياض ج 2 ص 239 ) .

(7) لم يكمله عياض وضمه ولده ( التعريف ص 133 ) الى بطائق ابيه .

(8) قدره ولده بعشرة أجزاء حل فيه الفاظ المدونة ومشكلاتها ورواياتها .

(9) ذكره في ( كشف الظنون ) ج 2 ص 1718 وفي ( هدية العارفين ج 1 ص 805 .

(10) فهرسة في اصطلاح الحديث وسماعه ( مكتبة مدريد 307 / نسخة بالخزانة الاحمدية السودية بفاس / الخزانة العامة بالرباط ( خع 1807) ( 132 ص ) ( خع 1732 ) ( 158 ص ) / خزانة القرويين ( 1732 ) وتوجد فهرسة لعياض فيمكتبة الكلاوي ، وللقاضي ايضا ( غنية الكاتب وبغية الطالب ) في التصدير والتذييل وفهرسة اخرى هي ( الالماع في ضبط الرواية وتقييد السماع ( الاسكوريال ـ أيا صوفيا ) .

(11) هو حسين بن محمد الصدفي قاضي مرسية ( 514 هـ ـ 1120 م ) .

حسين بن محمد الغساني رئيس المحدثين بقرطبة وهو صاحب ( تقييد المهمل وتمييز المشكل في رجال الصحيحين ) وأبو علي الصدفي وهشام بن احمد الهلالي المعروف بابن بقوى ( وهو من حفاظ الحديث المعتنين بالتنقير عن معانيه واستخراج الفقه منه توفي عام 530 هـ ) وابن شبرين محمد بن عبد الرحمن ، ومن شيوخ عياض الذين اجازوه ابو بكر الطرطوشي ( صاحب مختصر تفسير الثعالبي ) ومحمد بن علي المازري ( من صقلية ) وابو الطاهر السلفي امام المحدثين الخ . (12)

وقد انتشرت معلومات شيقة عن ( سبتة ) في ثنايا ما كتبه القاضي عياض وولده من غير كتب التاريخ او ما صدر من تعاليق وشروح على تصانيفهما أو ما ورد في مصنفات لاحقة ربما اقتبست من الاصل المفقود ، ومن هذه المعطيات التي تملأ بعض اللبنات الشاغرة والحلقات المفقودة في هذا الهيكل ما ترويه من أن عياضا بنى في ( سبتة ) الزيادة الغربية في جامعها ( الذي شاده شيخه القاضي محمد بن عيسى بأمر من يوسف بن تاشفين وزيد فيه الى ان اشرف على البحر ) (13) وكذلك الرابطة المشهورة بجبل الميناء (14) كما أشرف على انشاء طالع سبتة المعروف بالناظور (15) و ( المينة ) مدينة قرب سبتة بنيت اسوارها في اعلى ( جبل الميناء ) في عهد محمد بن أبي عامر وظلت خالية لعجز أهل سبتة عن الانتقال اليها (16) والمينا هي غير الميناء او المرسى التي كانت جزءا من المدينة قائما بنفسه حيث كان مضرب الميناء سوقا يتخذها ( حاكم الميناء ) لبيع ما يستخرج من السمك ونحوه وكان للمضارب عامل ينظر في فوائدها وما تحتاج اليه من نفقة وآلة (17) وقد ظل التبادل موصولا بين ميناء سبتة وبعض مراسي المغرب حيث حدثنا ولد القاضي عياض عن احد تجار سبتة وهو ( سفيان بن يعقوب بن مرو المصمودي القصري ( نسبة الى قصر مصمودة او القصر الصغير أو قصر المجاز ) كن قد اوسق عنده سليمان الصنهاجي بمرسى مازيغن ( الجديدة اليوم ) قمحا وشعيرا .. (18) ولعل بحر سبتة كانت له خواص جعلت منه مركزا اقتصاديا هاما منذ عهد القاضي عياض ولم يكن ما وصفه الانصاري في اختصاره سوى امتداد لهذا الدور الطلائعي فان بعض انواع الياقوت كانت تستخلص من اعماق مياهه فهنالك مكان بسبتة يسمى ( التوتة ) به كثير من الياقوت الاحمر وكان بساحل جبل موسى على تسعة اميال من المدينة مغطس للمرجان (19) . وقد كثر الحديث في عصر القاضي عياض عن قرية ( بليونش ) حيث ورد ان القاضي عياضا كان له مسجد بقرية بليونش يجلس كل عشية على دكانه فيتوارد عليه طلبته (20) وتناثرت هنا وهناك شارات عابرة تصف لنا بعض مظاهر هذه القرية التي كان لها دور كبير كمصطاف بحري للمنطقة وبلوح ان منتزهات الاصطياف هذه كانت تجلب الكثير من الناس حيث كان بعض اهل فاس يقتنون رباعا بسبتة مثل ( محمد بن حماد ) الذي اشترى له وكيله محمد ابن حسون بن مشرق بسبعمائة مثقال غير عشرين رباعا وبنى له بنايات كثيرة دون ان يتحمل في ذلك كله اكثر من ثلاثمائة دينار وتسعين (21) وهذه المعلومة تقيم لنا الدينار الذهبي الذي كان لا يزال في العهد الموحدي قريبا من قيمته الاصلية في عهد الخلفاء الراشدين وهي اربعة غرامات من الذهب ونيف على ان هناك اماكن شتى عرفها القاضي عياض اشار اليها ابو عبد الله في ( مذاهب الحكام في نوازل

---

(12) ( ازهار الرياض ج 3 ص 59 – 282 ط. وزارة الاوقاف ) .
(13) البيان لابن عذاري ج 4 ص 58 .
(14) التعريف ص 10 ( ط. وزارة الاوقاف ) .
(15) ( اختصار الاخبار ) لابي القاسم الانصاري السبتي ( ص 5 3) .
(16) راجع نزهة المشتاق والاستبصار .
(17) ( ازهار الرياض ج 1 ص 43 ) .
(18) التعريف ص 140 وهو ملحق مقتبس من كتاب (مذاهب الحكام فى نوازل الاحكام) لمؤلف التعريف.
(19) ( ازهار الرياض ج 1 ص 35 ) .
(20) التعريف ص 108 .
(21) ملحق التعريف ( مقتطفات من مذاهب الحكام .. ص 150 ) .

الاحكام ) (22) مثل مقبرة زقلو (23) ومسجد ابن الخنشبة ودار ادريس بن عطاف وحومة مسجد ابن علا وجنان المساكين ودار ابن وشقون والزقاق الكبير وباب الدرب ودار الذهبلي ودار ابن الحائية ودار ورثة البطليوسي ومسجد يوسف بن ابي مسلم ودار ابن القرطبي وحمام ابن القرطبي ومقبرة السوق وسوق الحجامين وفندق احمد بن ابراهيم الزيات وسوق الشقاقين وسوق العطارين .

وكانت روضة الشرفاء بسبتة تضم نحو ثلاثين قبرا بالجانب الشرقي من ( رابطة الفصال ) وهؤلاء الشرفاء من ذرية أبي الطاهر الذي خرج من جزيرة صقلية (24) ، ومما يدل على وجود جنان وعرصات حول الدور بسبتة رغم ضيق جنباتها ما ورد ايضا في ( مذاهب الحكام في نوازل الاحكام ) (25) في وصف حدود بعض الدور وانها « ملاصقة مع الجنينة التي في ظهورهم » مع ذكر « جنان المساكين » قبلة الخ وهي من البادرات المعمارية التي عرفها المغرب طوال عصوره التاريخية حيث كان لكل دار بمختلف حواضر المغرب عرصة أو جنينة تعد جزءا من السكن يتوسطها منتزه وتشع على البيت خضرة يانعة ونقاوة هواء وسعة منظر علاوة على انعزالها كنزل للضيوف ، أما الخطط التي كانت سائدة في عصر عياض والتي مارسها جميعا فهي : عقد الشروط والشورى والقضاء والفتيا والاحكام والنوازل والخطبة وتسميع الحديث الخ . بينما كانت امهات القضايا العلمية تدور حول الحديث وفقهه والاصول والكلام مع حفظ مسائل مختصر ابن ابي زيد القيرواني والمدونة (26)

وكانت النزاهة والعدل السمتين البارزتين في شمائل أصحاب هذه الخطط ، اذ لما طالت مدة القاضي عياض في خطة القضاء اتلف اكثر ما ورث عن ابيه حتى احتاج الى بيع بعض رباعه بمدينة سبتة في ثمن ضيعة اشتراها بخارج مدينة مالقة (27) .

وقد ذكر ابو عبد الله في التعريف ( ص 112 ) ان « من نوادر اخباره التي اضطره الشرع اليها اقامته حد الخمر على ( الفتح بن خاقان ) » .

وذكر انه لما « جاز الى الجزيرة الخضراء في زمن علي بن يوسف . . ازال ما كان بها من مظالم وقبالات» ( ص 115 ) وهي المكوس والرسوم غير الشرعية .

وقد ولد القاضي عياض بسبتة عام 476 هـ(28) وتوفي عام ( 544 هـ — 1149 م ) (29) .

وهو مدفون بمراكش وهذا هو المعروف لدى مؤرخي المغرب وغيرهم كابن بشكوال في ( الصلة ) وابن الابار في ( معجم أصحاب الصدفي ) وابن خلكان في تاريخه وابن فرحون في طبقاته وابن الخطيب في ( الاحاطة ) واليفرني وابن الطيب الشرقي في

(22) ملحق التعريف ص 142 — 144 .
(23) مقبرة الزقلو وردت بنفس الاسم ( مقبرة زكلو ) في اختصار الاخبار ص 22 — 39 — 54 .
(24) ازهار الرياض ج 1 ص 42 .
(25) ملحق التعريف ص 143 .
(26) التعريف ص 4 و 10 وقد ولي خطة الشرطة احد شيوخ عياض وهو ابو بكر محمد بن البراء ( الغنية ص 24 ) .
(27) التعريف ص 113 .
(28،29) بغية الملتمس ص 425/ الصلة ص 447/ الوفيات ج 1 ص 407 / السلوة ج 1 ص 151 / العبر للذهبي ج 4 ص 122 / الاحاطة ص 427 / الصلة ص 446 / المعجم ص 294 / تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 230 / الجذوة ص 277 / الاستقصا ج 1 ص 145 / شجرة النور ص 140 / المطرب لابن دحية ص 137 / الديباج ص 177 / معجم البلدان ج 7 ص 36 / تذكرة الحفاظ ج 4 ص 96 /معجم ابن خير ص 289 / النجوم الزاهرة ج 5 ص 285 / تاليف في ترجمة لولده محمد بخزانة سيد عبد الحفيظ الفاسي / قلائد العقيان ص 255 / ابن بشكوال ص 472 / اتحاف النبلاء ص 329 / ازهار الرياض في اخبار عياض لاحمد بن محمد المقري ( مخطوط بمكتبة الزيتونة والقاهرة 21 و 7 / الاعلام للزركلي ج 5 ص 282 .

فهرسته ولكن ابن خلدون ذكر في تاريخه ( ج 6 ص 230 ) أن عياضا لما تولى كبر دفاع عبد المومن ابن علي عن سبتة وكان رئيسها يومئذ بدينه وابوته ومنصبه سخطته الدولة آخر الايام حتى مات مغربا عن سبتة بتادلا مستعملا في خطة القضاء بالبادية وقد أكد القاضي ابو عبد الله محمد بن عياض في الجزء الذي عقده لترجمة ولده ان والده دفن بباب ( ايلان ) داخل سور مراكش ، ونستشف من ترجمة القاضي عياض نفسه ملامح للعصر الذي عاش فيه وللمناهج الدراسية ومجالات الاختصاص والميزات التي طبعت حاضرة ( سبتة ) بطابع خاص اذا قورنت بمثيلاتها في العدوتين فاذا استعرضنا المراحل التي قطعها القاضي في حياته الدراسية والتي كانت تشكل صورة لمقومات الثقافة والمشاركة في ذلك العصر — لاحظنا ان عياضا أحكم قراءة كتاب الله بالسبع (30) وبرز في الحديث وحمل راية الراي وراس في الاصول وحفظ أسماء الرجال وتقب في علم النحو وقيد اللغة واشرف على مذاهب الفقهاء وانحاء العلماء واغراض الادباء فكان له الحظ الوافر من تفسير كتاب الله وجميع علومه وكان حافظا للمسائل عاقدا للشروط بصيرا بالاحكام دؤوبا على العمل « سمع الصحيحين على ابي علي الصدفي الذي جلس للتسميع وكان له به اختصاص » فحصل له سماع كثير وبعد رحلته الى الاندلس حيث لقي ابن مضاء في ( المرية ) عاد الى ( سبتة ) عام ( 508 هـ ) فأجلسه أهل بلده للمناظرة عليه في المدونة وهو ابن اثنين وثلاثين عاما ، وبعد ذلك بيسير أجلس للشورى ثم ولي القضاء عام 515 هـ فاقام جميع الحدود .. ثم نقل الى غرناطة عام 531 هـ حيث تقلد خطة القضاء لكن تاشفين ضاق ذرعه وغص بمراقبته فسعى في صرفه عن قضاء غرناطة .. ثم ولي قضاء سبتة ثانية آخر 532 هـ قدمه ابراهيم بن تاشفين ابن علي ثم بادر بالدخول في نظام الموحدين فاقره امير المؤمنين .. ثم رحل اليه فاجتمع به بمدينة سلا وقد وصف ابن القصير دخوله الى غرناطة عام 530 هـ (31) فذكر ان الناس خرجوا للقائه وبرزوا تبريزا ما ريء لامير مؤمر مثله ، وقد سكن ابو الفضل بمالقة وتمول بها املاكا وكان طوال حياته حسن الالقاء للمسائل كثير التحرير للنقول .. ربما تقع منه دعابة كما تصدر من الفضلاء امثاله ، كثير الاعتناء بالتقييد والتحصيل .. اذا عدت رجالات المغرب فضلا عن الاندلس حسب فيها صدرا ، وكان معظما للسنة قوالا للحق بارع الخط المغربي عليه المعول في حل الفاظ المدونة وضبط مشكلاتها وتحرير رواياتها وكان مسلكه في ذلك بين اصطلاح العراقيين وهو مسائل المدونة التي بنوا عليها فصول المذهب والاصطلاح القروي وهو البحث عن الالفاظ وتصحيح الروايات ، وقد بلغ درجة في علوم الحديث دراية ورواية جعل منه حافظا في مصاف كبار المحدثين لا في المغرب والاندلس فقط بل في العالم الاسلامي وربما كانت هذه اللمحة عادية في سيرة عالم مثل ( عياض ) غير أنها لم تغفل أية خلفية في اللوحة التي ترسم لنا المجالي الهامة للحياة الفكرية في القرن السادس بالنسبة للكثير من رجالات هذا العصر وتبرز هذه المعالم بوضوح أجلى اذا ما قورنت بالاتجاهات الثقافية التي بدات تتجدد تحت تاثير بادرات الاجتهاد الموحدية حيث شملت كل شعب العلم والمعرفة من فلسفة وطب وكلام وحديث وتفسير وادب حتى النحو الذي كان فيه لابن مضاء جولة عارمة حالت دقائق الفن تحليلا نقديا وقد ظلت علاقة عياض بحواضر الجنوب كاغمات ومراكش مستوثقة وكذلك بفاس مسقط راس أجداده بعد الاندلس حيث كان انتقال والد جده عمرون الى مدينة فاس ثم سبتة بعد دخول بني عبيد المغرب فاشترى ارضا معروفة بالمنارة بني في بعضها مسجدا وفي بعضها دارا حبسها على المسجد وحبس باقي الارض للدفن وانقطع بالمسجد الى أن مات ( عام 397 هـ ) (32) وهذا المسجد كان منسوبا الى القاضي الى عهد ولده أبي عبد الله وقد أشار اليه في التعريف ( ص 3 ) ولا ندري هل هو المسجد الموجود الآن والذي يحمل زقاقه ايضا اسم عياض ، وعلى كل فقد كانت فيه داره ومقر تدريسه الى عهد المرينيين ( بلغة المنية ص 10 ) . وعياض في الحقيقة بطن من اليحصب مواطنهم بادية افريقية انتقلوا الى جبل ( قلعة

---

(30) ( أزهار الرياض ج 3 ص 9 — ط. وزارة الاوقاف ) .
(31) الصحيح 531 هـ كما عند ولده .
(32) أزهار الرياض ج 1 ص 28 — ط. وزارة الاوقاف .

بني حماد ) ومنهم المهاية وربما شكلوا عنصرا حميريا كالذي يجمع البربر عامة بالعرب البائدة في ارض اليمن وتنتمي أسرة عياض فعلا الى قبيلة حمير من عرب اليمن التي قامت بدور اساسي في تعريب المغرب تمهيدا للفتوح الاسلامية ، وقد انتقل ال عياض الى بسطة على بعد 123 كلم من غرناطة من حيث انتقلوا الى فاس وهذا هو المسار الذي نهجه الكثير ممن هاجروا من الاندلس منتجعين عاصمة المولى ادريس التي ظلت قرونا العاصمة الفكرية لمجموع القارة الافريقية (33) للانسياق في شتى التيارات التي كانت تؤدي آخر المطاف الى حواضر الشمال كالشاون والقصر الكبير وسبتة ، وقد انساقت سبتة فيما أنتاب حواضر المغرب من تيارات منذ انبثاق ثورة الموحدين فسار عياض منجذبا في صيبها مرتئيا ما ارتآه الكثير من معاصريه لا في الحقل السياسي فقط بل حتى في ادق القضايا العلمية كوجوب فصل ( أحياء الغزالي ) عما حشر فيها من مكاشفات والاقتصار منها على ( العلم الخالص ) (34) وقد غرب الموحدون عياضا عن بلده لانه لم يساير افكارهم في العصمة والامامية فجزع اشد الجزع لفراق مسقط راسه وكابد الامرين من جراء هذه اللوعة الموصولة ولكن مركزه كعالم رائد لم يسمح له بالتساهل في مجال يتصل بصلب العقيدة لا سيما وان القاضي عياضا أصبح في عصره قدوة واسوة شرقا وغربا ، لذلك يمكن اعتبار حركات وسكنات هذا العالم الفذ مجالي لما كان العصر يقتضيه من سمو في السلوك ومثالية في المواقف ، وكان لذلك ثمن لم يتقاعس عياض عن تحمله ولم تكن ( سبتة ) تختلف عن باقي كبريات الحواضر في مختلف مظاهر اختياراتها سواء في منهجية الدراسة ونوعية الكتب او المراجع وتوافر الافذاذ من العلماء مما كان يضمن لها الاكتفاء الذاتي دون الشعور بالحاجة الى المزيد عدا المقارنة والتوفيق ، وقد اشعرنا القاضي عياض بذلك مبرزا اكتمال شخصيته العلمية قبل اللحاق بالاندلس لتطعيم روافده كما سرد لنا القاضي لوائح الامهات التي ظلت مشتركة النبع في مختلف الاعصار والامصار بالمغرب والاندلس لغة وفقها واصولا وجدلا وحديثا وتفسيرا وزاد هذه البوتقة تركيزا وتجميعا للعطاءات المختلفة في شتى المجالات مرور كبار رجالات الفكر الاسلامي بها ، ولكن القاضي (35) درس بالاندلس كتبا جديدة لم يقرأها ببلده وقابل كتبه بالاصول الصحيحة فكانت عنايته بلقاء الشيوخ (36) لموازنة افكارهم بما تلقاه في بلده فقط لا انتجاعا للجديد شعورا من القاضي بشمولية عطاءات بلده ، غير ان الكثير من رجالات الاندلس كانوا يفدون على ( سبتة ) ايضا للاخذ عن علمائها الافذاذ وفي طليعتهم عياض ، ومن هؤلاء الوزير عبد المجيد بن عبدون ( المتوفى عام 527 هـ) الذي لم يقصد سبتة الا للقياه (37) وهكذا كانت ( سبتة ) مهبط العلماء الواردين من الشرق يمرون منها الى الاندلس او القادمين توا الى المغرب رحالين أو مقيمين فكانت ( حاضرة البوغاز ) في كلتا الحالتين ملتقى الثقافات العربية الاسلامية الافريقية الاندلسية مما لم يتوفر دائما لغيرها ، وقد أوضح عياض في مقدمة ( ترتيب المدارك ) الاصول العلمية التي كانت مقررة بسبتة في عصره مع أساليب تطبيقها وشمولية مراجعها في وصف كاشف وتمحيص ناقد ، ومما يدل على عناية القاضي عياض بمناهج وأساليب الدراسة في عصره أنه تولى بنفسه تثقيف ولده ووضع خطة لتدريب وتكوين صغار المتعلمين في كتابه ( الاعلام بحدود قواعد الاسلام ) وكانت الصلات آنذاك وثيقة بين كبريات حواضر الشمال وخاصة البصرة والقصر الكبير وطنجة وتكور من جهة ، وفاس ومراكش واغمات من جهة اخرى ، كما استوثقت الوشائج فكريا وحضاريا انطلاقا من سبتة مع المراكز الجنوبية لعدوة الاندلس لا سيما اقربها كجبل طارق ومالقة ، وممن اخذ عنهم القاضي عياض من اهل البصرة ابراهيم بن احمد البصري السبتي

---

(33) راجع بحثنا المنشور في مجلة ( المناهل ) وفي مجلة ( القدس ) باللغتين في هذا الموضوع .

(34) الشفا ج 2 ص 267 / التعريف لولده ص 106 .

(35) الفنيـــة ( ص 142 – 155 ) .

(36) الصلـة ص 446 / الوفيات ج 1 ص 497.

(37) الفنيـــة ص 167 .

ناظر عنده في المدونة (38) وقد اشار ايضـا ( في المدارك ص 83 ) الى عالم البصرة احمد بن حذافة ومن اهل طنجة محمد بن مفرج الصنهاجي ( صنهاجة طنجة ) ناوله وانشده (39) ومروان بن عبد الملك بن سمجون اللواتي ، ومن الفاسيين ابن الصيقل محمد ابن علي الشاطبي (40) كما أمدت حاضرة ( نكـور ) سبتة بقاضي الجماعة أبي محمد عبد الله بن محمد بن منصور اللخمي النكوري الذي سكن سبتة وولـي قضاءها وقضاء الجماعة بمراكش في عهد علـي بـن يوسف بن تاشفين ( المتوفى عـام 513 هـ ) (41) ، ومن اغمات يوسف بن موسى الكلبي المراكشي شيخ عياض ( 520 هـ — 1126 م ) (42) وكانت اغمـات آنذاك مقصد رواد التحقيق في اصول الدين والفكر من الصحراء المغربية ومن المغرب العربي كتونس (43) وحتى من الاندلس وذلك في بحبوحة عصر الموحدين بالرغم عن مزاحمة مراكش لها ، وابراهيم بن احمد ابن عبد الرحمن . . . بن عمارة المتوفى عام (579 هـ / 1183 م ) وقد اخذ عن ابن رشد وابن مغيث وقـرأ القرءان بالسبع على ابن الوراق والموطـأ على ابـن موهب والحديث المسلسل في الاخذ باليد مرة بعـد الاخرى على ابي محمد اللخمي سبط ابن عبد البـر باغمات وايام قضائه بها عام 526 هـ كما اخـذ عـن الطرطوشي والمازري وهـو مشارك في الحديـث والفقه والشروط ( له مختصر فيه ) ولي القضـاء بكور غرناطة ثم قضاء ميورقة (44) وممن اشترك مع عياض في التلمذة للامام الصدفي يعقوب بن حمـاد ( وقيل حمود ) الاغماتي وهـو من تلمسان واصلـه من اغمات رحل الى مرسية فسمع بها من ابي علـي الصدفي ( جامع الترمذي ) وغير ذلك ( عام 411 هـ / 1020 م ) (45) وقد قال عيـاض متغنيا بأمجـاد اغمـات :

اذا الاخلاء لـم تحمد غيوبهـم
وخان ميثاقهم في البعد اوحـالا

فلي باغمات خـل لا اذم لـه
مدى الحياة وان شطت نوى حـالا

وفي مراكش يعتبر الشيخ ميمون الصحراوي المتوفى بمراكش عام 506 هـ (46) من شيوخ القاضي عياض وقد اخذ الحديث بمكة عن الشيخ حسن بـن علي الطبري (47) على ان الامام الفخار هو من أصحاب القاضي عياض ومن شيوخ ابي العباس السبتي الذي كان له ضلع في تركيز الفكر الصوفي بالمغرب ولعل لهذه الصلة اثرا في بلورة بعض السمات الصوفيـة لدى مسند المغرب وامامه عياض الذي امتاز بذوق خاص في التوفيق بين الشريعة والحقيقـة ، وقـد ختمت بهذا العصر اي القرن السادس وجهة سلفية في التصوف على نسق القرون الاولـى الثلاثـة في الشرق كما يتجلى ذلك مما كتبه صاحب (التشوف) كما دخل المغرب تحت تأثير فلاسفة الانـدلس في عهد جديد اتسم بشيء غير قليل مـن المناقضـات والمفارقات نظرا لبروز علماء من طراز ( بني زهـر ) الذين جمعوا بين علوم الحديث وعلوم اللغة والعلـوم الدقيقة حتى بذ أحدهم في الطب سلفه ابن سينـا ، وقد ظلت سبتة آنذاك تستقطب مع فـاس كبـار المفكرين من الاندلس والمغربين الاوسط والادنـى فهـذا :

(38) التعريـف ص 121 / الغنية ص 68 .
(39) التعريف ص 125 — 127 / التكملة ج 1 ص 438 / الغنية ص 42 — 44 .
(40) التعريف ص 126 / التكملة ج 1 ص 408 / الذيل والتكملة ج 6 ص 174 / الغنية ص 48 .
(41) التعريف ص 8 / الغنية ص 85 / المعجم لابن الابـار ص 204 .
(42) الغنية ص 215 / الاعلام للمراكشي ج 8 ص 339 / الصلة ( عدد 1509 ) / التشوف (عدد 11)
(43) راجع في كتاب ( التشوف ) لابن الزيـات ترجمة عدد من علماء تونس الذين هاجروا الى اغمات .
(44) التكملة ( رقـم 400 ج 1 ص 155 ) / الاعلام للمراكشي ط . 1974 ج 1 ص 150 .
(45) التكملة ص 393 / الذيل والتكملة ص 205 / معجم الصدفي ص 321 / الاعـلام للمراكشي ج 8 ص 318 . ( خ )
(46) ذكر ابن الابار انه توفي باشبيلية عام 530هـ.
(47) الاعـلام للمـراكشي ج 7 ص 239 ( خ ).

— ابن زرقون محمد بن سعيد بن احمد بن سعيد الانصاري مسند الاندلس المتوفى عام ( 586 هـ / 1190 م ) قد استقضي في سبتة وشلب . وقد صنف :

1 ) « الانوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار في شرحي الموطا » ( للباجي وابن عبد البر ) يوجد المجلد الرابع بخزانة القرويين (ق 145).

2 ) « كتاب في الجمع بين الترمذي وابي داود » ( فهرسة ابن خير ص 86 / التكملة ص 329 او 256 ) .

وهذا ايضا ابراهيم بن يوسف بن ادهم ( او ابن ابراهيم ) بن القائدي الوهراني الحمزي المعروف بابن وسلا المتوفى عام ( 569 هـ / 1173 م ) بفاس قد ولد بالمرية ( عام 505 هـ ) وانتقل الى سبتة وهو صاحب ( مطالع الانوار على صحاح الآثار في غريب الحديث ) ( راجع مطالع الانوار لعياض بمكتبة القرويين اعداد 594 – 624 – 1641 ) / مكتبة القاهرة ( 149 و آ / احمد تيمور 340 ) ( السلوة ج 3 ص 151 ) تكملة الصلة 185 / بروكلمان ج 1 ص 370 / الجذوة ص 96/الاستقصا ج 1 ص 186/ ابن خلكان ج 1 ص 16 / الروض لابن عيشون .

وقد ظلت روابط علماء المغرب موصولة الى آخر عهد المرينيين بزملائهم بالاندلس عن طريق سبتة بوتقة الانصهار ومجمع التيارات الفكرية المختلفة وهذا من العوامل التي اضفت على سبتة سمة المركزية كصلة وصل بين العدوتين انطبعت طوال قرون بطابع الوحدة العضوية الحضارية وقد امتدت ذيول هذه السمات الى اوائل القرن التاسع الهجري قبل الاحتلال الاجنبي دون ان تختلف معالمها في مختلف العصور فلذلك نجد في كل ما كتب خلال هذه الفترة عن سبتة صورا صادقة لما امكن القاضي عياض ان يرسمه عنها في عصره بحيث يمكن ربطها مع ما كتبه أمثال محمد بن عبد المهيمن الحضرمي ( في الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعباد ) وابن الخطيب في ( معيار الاختيار ) (48) ومحمد بن القاسم بن عبد الملك الانصاري في ( اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ) (49) و ( بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب (50) ونلمس مجالي هذه الانطباعات والارتسامات الوحدوية الموصولة في تراجم من تعاقب في ثنايا هذه العصور على سبتة من علماء استطاعوا لا الحفاظ على السمة العلمية الراسخة لحاضرة البوغاز فحسب بل امدادها بفيوض طريفة من التاثيرات المغربية والمشرقية وصلا لما عرفته في القرون الاولى منذ الحكم الاموي الاندلسي حيث كان محمد بن عيسى بن زوبع ( او زوبعة ) آخر قضاة بني امية في سبتة (51) ويلذ لنا ان نشير الى جملة من العلماء السبتيين الذين حفظوا لمسقط راسهم مركزيته الحضارية مع الاسهام في توجيه مناهج الدراسة والبحث في الشرق الاسلامي وذلك حسب التسلسل التاريخي للدلالة على الاستمرارية العلمية الراسخة في سبتة الى اواخر القرن الثامن الهجري :

— عمر بن الحسن بن علي ابو الخطاب ابن دحية الكلبي ( 633 هـ / 1264 م ) الذي تولى قضاء ( دانية ) ثم انتقل الى سبتة مسقط راسه ثم فاس ومراكش حيث تتلمذ للسهيلي واستقر بعد في ( بجاية ) طويلا ثم رحل الى مصر والشام والعراق والحجاز وفارس وتولى رياسة دار الحديث الكاملية.

وهو صاحب ( انوار المشرقين في تنقيح الصحيحين ) و ( شرح احاديث الشهاب القضاعي ) و ( مصنف في رجال الحديث ) (52) .

---

(48) طبعة شبانة ص 144 .

(49) نسخة خطية في خع / طبع في المطبعة الملكية بالرباط عام 1974 ( راجع مجلة هسبريس 1928/ 1955 .

(50) مجلة تطوان عدد 9 ص 173 ( 1964 ) .

(51) المدارك 3 و 4 ص 628 / الصلة لابن بشكوال ج 2 ص 562 .

(52) عنوان الدراية ص 160 ( الطبعة الاولى ) .

ــ ابن الخضار محمد الكتامي التلمساني السبتي الذي سمع علوم الحديث عن ابن الصلاح بدمشق عام 634 هـ / 1236 م (53) .

ــ ابن عبد الملك الجذامي أحمد بن محمد الطبيب المحدث السبتي المتوفى بمراكش عام 650 هـ / 1252 م (الاعلام للمراكشي ج 1 ص 354) ( ينسب لابن عبد الملك السبتي اختصار الاخبار عما كان بسبتة من المزارات / خزانة الكتاني ــ الرباط) .

ــ عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمد بن مسعود السبتي ضياء الدين الانصاري ابو الهدى الحافظ المتوفى بالقاهرة ( عام 696 هـ / 1296 م ) ( ولد بسبتة عام 613 هـ ) ( تذكرة الحفاظ ج 4 ص 262 و 286 / درة الحجال ج 2 ص 407 ) . ( طبعة الرباط 1354 هـ ــ 1936 م ) .

( اعيان العصر للصفدي ) لقيه ابن رشيد واخذ عنه بالقاهرة عام 684 هـ / 1285 م .

له كلام في المعاني كان يستحضر اكثر كتاب الترمذي وصفه ابو حيان بانه محدث حافظ (54) .

ــ ابن ابي جمرة عبد الله السبتي ( 710 هـ / 1312 م ) خطيب غرناطة .

( شذرات الذهب ج 6 ص 23 / الدرر ج 2 ص 360 ) .

وهو غير ابن ابي جمرة عبد الله بن سعد الاندلسي المتوفى بمصر ( 695 هـ / 1296 م ) . ( البداية والنهاية ج 13 ص 346 / النيل ص 140 ) ( وفاته عام 699 هـ ) .

ــ ابراهيم بن احمد بن عيسى بن يعقوب الغافقي الاشبيلي ثم السبتي ولد باشبيلية سنة 641 هـ وحمل صغيرا الى سبتة سنة 646 هـ لما تغلب الفرنج على اشبيلية شرح ( كتاب الجمل ) ونزل سبتة فصار شيخها وساد اهل المغرب في العربية الى ان مات ( سنة 716 هـ / 1316 م ) ( الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج 1 ص 13) .

ــ عبد الرحمن بن ابي طالب عبد الله العزفي ابو القاسم الفقيه المحدث الحافظ توفي بفاس عام ( 718 هـ / 1318 م ) وكان يسكن بالدرب الطويل بها وله اخ اسمه احمد توفي بغرناطة ( عام 708 هـ ) .

الف لابن الحكيم ذي الوزارتين كتاب ( الاشادة بذكر المشتهرين من المتاخرين بالافادة ) ( أو الاشادة بذكر المشهورين من المتاخرين بالاجادة ) (55) .

ــ ابن رشيد محمد بن عمر بن محمد السبتي محب الدين الفهري الاندلسي كبير مشيخة المغرب توفي بفاس ( 721 هـ / 1321 م ) (56) .

( الدرر الكامنة ج 3 ص 280 و ج 4 ص 111/ الاعلام للمراكشي ج 3 ص 250 / شجرة النور ص 216 / السلوة ج 2 ص 191 / درة الحجال ج 1 ص 201 / الجذوة ص 280 / بغية الوعاة ص 85 / الذيل ص 355 / الوافي بالوفيات ج 4 ص 284 ) .

ومن مؤلفاته :

ــ السنن الابين والمورد الامعن في المحاكمة بين الامامين في السند المعنعن (الاسكوريال ــ 1806)

ــ افادة النصيح بالتعريف باسناد الجامع الصحيح ( الاسكوريال : 1732 ــ 1785 ) .

ــ ترجمان التراجم في ابداء وجه مناسبة تراجم صحيح البخاري ( لم يكمل كما في كشف الظنون ) .

---

(53) ( درة الحجال ج 1 ص 282 ) .
(54) ( رحلة ابن رشيد ج 3 ورقة 95 ) .
(55) ( ازهار الرياض ج 2 ص 357 ط. وزارة الاوقاف ) .
(56) هو صاحب الشرح على قواعد عياض المسماة بالاعلام في قواعد الاسلام ( شجرة النور ص 235/ نيل الابتهاج ص 52 / الجذوة ص 60 / السلوة ج 3 ص 244 / الديباج ص 57 / بروكلمان ج 2 ص 346 / مجلة تطوان عدد 9 ص 183 ــ 1964 ) .

ـ رحلته المسماة : ملء العيبة ( خمسة اجزاء مصورة بمعهد مولاي الحسن بتطوان ـ نسخة بالاسكوريال ) .

ـ احمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي المعروف بالقباب كان قاضيا لجبل طارق ومشاور الدولة وخطيب القرويين ( 779 هـ / 1377 م ) .
غير أن ( سبتة ) امست الى اواخر القرن الثامن الهجري بحكم موقعها الجغرافي ـ أولى الحواضر التي تأثرت بالاحداث الاندلسية الجارفة فما فتئت تكافح متأرجحة بين تيارات سياسية مختلفة تخللتها اضطرابات طبيعية كالتي وقعت فيما يسمى بـ :

عام سبعة ) : ( 637 هـ / 1239 م ) حيث وقعت مجاعة عظيمة بسبتة واحوازها من جراء الشرق ( أي الريح الشرقية ) وقلة الامطار وعيث عرب رباح في مكناس وفاس (57) .

وقبل ذلك بخمس سنوات ( اي في عام 632هـ/ 1234 م ) وجهت جنوة 28 مركبا لاغاثة سبتة ضد مراكب الصليبيين الاسبان (58) وبدات سبتة تتضايق من كل الطوارىء والطوارق حتى من لاجئي العلماء حيث رحل ابن خميس ( المتوفى عام 708 هـ ) من تلمسان فاستثاره الطلبة واحرجوه بالاسئلة فحار عن الجواب واضطر للهجرة الى مالقة (59) وكاتب بالحافظ ابن تيمية وهو معتقل في سجن الاسكندرية في العام التالي ( 709 هـ / 1309 م ) قد احس بهذا الخطر الذي داهم بوغاز العلم والمعرفة بين العدوتين فاجاز ( وهو الضنين باجازاته ) صاحب سبتة بجملة من اسانيده في عشر ورقات (60) وقد هب العزفيون في ثورة عارمة ضد من اهتبل فترة الضعف والاضطراب في سبتة فامسك بزمامها كالحفصيين الذين قاومهم ابو القاسم محمد بن احمد العزفي (عام 647 هـ / 1249م) بطرد واليهم على المدينة ابن الشهيد الهنتاتي (61) وذلك في دولة المرتضى الخليفة بمراكش وقتل والي سبتة ابا عثمان بن خالد (62) وتوفي بسبتة عام 677هـ فملك اكثر من ثلاثين سنة وقد ولد عام 607 هـ ، ويقول ابن الخطيب انهم غير لخميين ( نسبة الى قابوس بن النعمان بن المنذر ) بل من قبيلة مجكسة من البربر وكان فقيها محدثا عارفا بالرواية ولما توفي قام بالامر ابنه ابو حاتم احمد ثم خلع وتولى ابوه ابو طالب عبد الله عام 678 هـ وخلع عام 705 هـ وكانت دولته 27 سنة وتوفي بفاس مخلوعا عام 713 هـ خلعه الامير فرج بن اسماعيل بن يوسف ابن الاحمر ثم تولاها يحيى بن أبي طالب عام 710 هـ سنة ونصفا وبويع ثانية عام 714 هـ وولي بعده ولده ابو القاسم محمد بن يحيى عام 719 هـ وخلع عام 720 هـ وتوفي بفاس وهو كاتب الحضرة المرينية عام 768 هـ وقد ولد في سبتة عام 699 هـ .

وشبت عام 743 هـ / 1342 م وقعة ضد الافرنج حول مدينة سبتة قتل فيها ابن عبد الملك محمد بن محمد الاوسي (63) وانصبت على المنطقة آثار الصراع بين بني الاحمر وبني مرين ـ بدافع من ادعياء الملك الوالغين في المياه العكره فكانت (سبتة) مرة اخرى هي الضحية الاولى حيث اقتطعت من تراب المغرب رسميا لاول مرة ( عام 786 هـ / 1384 م ) عندما ولي الخلافة موسى بن أبي عنان المريني

---

(57) البيان المعرب ق 3 ص 348 .
(58) ( وصف وتاريخ المغرب ـ كودار ج 1 ص 345 ) .
(59) ثم غرناطة حيث بقي بها الوزير ابن الحكيم الى ان مات (ازهار الرياض ج 2 ص 298 ـ 304 ـ طبعة وزارة الاوقاف المغربية ) .
(60) فهرس الفهارس ج 1 ص 199 .
(61) البيان لابن عذارى ج 4 ص 454 .
(62) ( أزهار الرياض ج 2 ص 377 ـ ط. وزارة الاوقاف المغربية ) .
(63) ( النفح ج 8 ص 198 / الاعلام للمراكشي ج 3 ص 261 ) .

مرشحا بهذا الشرط من طرف بني الاحمر (64) وقد سبق لابي الحسن المريني خلال حصاره للمدينة أن اسس معقلا سمي « سبتة العتيقة » وبرجا في المرسى وقد كان لانفصال سبتة عن المغرب لصالح النصريين اثر قوي في تقليص التبادل الفكري بين العدوتين مما أدى قبل احتلال سبتة من طرف البرتغاليين الى نوع من الجمود تمخض عما لاحظه ابن خلدون خلال المائة الثامنة من انقطاع ملكة التعليم وغياب منهج النظر (65) وقد وقع احتلال سبتة ( عام 818 هـ / 1414 م ) فكانت أول سبة للمغرب في تاريخه الوطني حيث لم يعرف من قبل وقوع اي جيب من جيوبه أو ثغرة من ثغوره في يد الاجنبي (66) فقد احتفظ المغرب باستقلاله ووحدة كيانه منذ الفتح الاسلامي في حين خضعت الدول الاسلامية الاخرى للحكم العثماني حتى المغربين الادنى والاوسط فكانت الصدمة عنيفة ، وهكذا اتقد حماس الشعب المغربي عن بكرة ابيه فهب من اقصى الجنوب لتحرير قطعة من التراب الوطني كانت تتارجح بين امراء العدوتين فلم ير الشعب العربي المسلم في ذلك غضاضة نظرا للوحدة العامة بين شقي البحر المتوسط الغربي في ظل الاسلام ولكن الشعب المغربي شعر بمرارة بأن سقوط ( جوهرة الشمال ) في قبضة البرتغال كان الطفرة الاولى لانتفاضة الصليبية في شبه جزيرة ( ايبيريا ) في حملة عارمة هي حملة مضادة للاغارة على المغرب ( Reconquista ) فلذلك كانت الهزة عنيفة والالم ممضا لا سيما وان ( سبتة ) كانت قد بلغت آنذاك الاوج في مسارها التطوري الحضاري حيث وصفها قبيل الاحتلال وبعده بقليل مؤرخان من اصدق الوصافين هما ابن الخطيب السلماني ومحمد بن القاسم الانصاري ، فقد اشار ابن الخطيب لسبتة في ( مقامة وصف البلدان) فوصف بيض اسوارها وجبل ( بليونش ) شمامة ازهارها والمنارة منارة انوارها ودار الناشبة (حيث كان القوم يرمون بالنشاب أي النبل ) والحامية المضرمة والاسطول المرهوب ، ثم وصف المدينة بانها ( بصرة ) علوم اللسان و ( صنعاء ) الحلل الحسان ومحشر انواع الحيتان ومحط قوافل العصير والحرير والكتان ، ثم قال : « وكفاها السكنى ببليونش في فصول الازمان ووجود المساكن النبيهة بارخص الاثمان وخزانة كتب العلوم ... الا انها عديمة الحرث فقيرة من الحبوب » ، ثم ذم اهلها

---

(64) وكان لاجئا بقصر الحمراء بغرناطة مع جماعة من الادعياء وكان الذي تولى كبر ذلك هو الوزير مسعود بن ماساي الذي ما لبث ان راجع نفسه بعد تولية الواثق بالله أبي زيان محمد بن أبي الفضل ابن أبي الحسن المريني عام 788 هـ فطالب باعادة سبتة الى المملكة المرينية وحدثت النفرة لذلك بينه وبين بني الاحمر فجهز ابن ماساي العساكر لحصارها فاستولى عليها فسرح ابن الاحمر السلطان ابا العباس المنتصر بالله فاستولى على سبتة وعلى الملك للمرة الثانية عام 789 هـ . ( الاستقصا ج 2 ص 138 ) .

(65) لاحظ ابن خلدون اننا لم نشاهد في المائة الثامنة من سلك طريق النظار بفاس بل في جميع هذه الاقطار لاجل انقطاع ملكة التعليم عنهم ولم يكن منهم من له عناية بالرحلة بل قصرت هممهم على طريق تحصيل القرءان ودرس ( التهذيب ) فقط ، نعم اخذوا شيئا من مبادىء العربية من أهل الاندلس القادمين عليهم من سبتة وغيرها باستدعاء ملوك بني مرين ، قال : ولهذا لم يتصدر من الفاسيين من يقرىء الكتاب كما هو متداول بين اهل الاندلس مثل ابن أبي الربيع والشلوبين وغيرهما لوجود ملكة النحو في قطر الاندلس بسبب رحلة علمائهم الى تلقيه من أربابه بالمشرق كما ارتحل أعلامهم الى بغداد في تحصيل الفقه.. مثل يحيى ابن يحيى الليثي عن مالك وكذا علوم الحديث كرحلة أبي بكر المعافري ( ازهار الرياض ج 3 ص 27 ط. وزارة الاوقاف المغربية ) . ( راجع قضية أبي عنان عند بناء مدرسة المتوكلية بفاس واختيار الصرصري الحافظ لقراءة ( التهذيب ) وانقطاعه عن تحقيق ما اورد عليه من مسائل وتدخل الامير الذي قصد من ذلك تعليمه ان دار الغرب هي كعبة كل قاصد ) .

(66) في عهد عثمان بن احمد بن أبي سالم المريني( المتوفى عام 823 هـ / 1420 م ) ( الاستقصا ج 2 ص 144 ) .

فلاحظ أنهم مفتونون ببلدهم لا يفضلون على مدينتهم مدينة ، الشك عندي ، في مكة والمدينة (67) وقد وصف ابن الخطيب بليونش فقال :

بليونش اسنى الاماكن رفعة
واجل ارض الله طراشانا

هي جنة الدنيا التي من حلها
نال الرضا والروح والريحانا

قالوا القرود بها فقلت فضيلة
حيوانها قد قارب الانسانا (68)

ومدحها محمد بن أبي عبد الرحمن الميلي قاضي ازمور بقوله :

بليونش كلها عذاب
فالمشي في سبلها عقاب

يكنفها شامخ منيف
كأنه فوقها عقاب

وينقل ( المقري ) في ( ازهار الرياض ) ج 1 ص 33 عن كتاب « الكواكب الوقادة في ذكر من دفن في سبتة من العلماء والصلحاء القادة » فيصف بساتين الشريف احمد بن محمد صديق ابن الخطيب في المصيف بقرية بليونش كمنية العبا وجنة الحافة بقبتها السامية المطلة على البحر ومصانعها (69) وهذا أبو الحسن المريني يجل هذا الشريف ويستدعيه كل سنة الى حضرته فاس لحضور المولد السعيد الذي سنه ببلاد المغرب الشيخ ابو العباس العزفي (70) وقد عينه السلطان ناظرا على سبتة وقد كان بسبتة عام 825 هـ / 1421 م أي بعد احتلالها من طرف الاسبان بسبع سنوات :

1 ) الف مسجد ومدرسة منها مدرسة ابي الحسن الشاري الغافقي ومدرسة أبي الحسن المريني.

2 ) اثنتان وستون خزانة علمية منها خزانة موقفة على مدرسة الشاري وهي أول خزانة وقفت بالمغرب (71) .

3 ) سبع وأربعون زاوية ورباطا أعظمها (رابطة الصيد ) وهي قائمة في الهواء على اثني عشر عمودا ومنها زاوية أبي عنان المريني للغرباء .

4 ) ثمانية عشر من المحارس علاوة على ناظور المرابطين باعلى الجبل المشرف على بادس ومالقة ومجموع الزقاق .

5 ) عدد الازقة مائتان وخمسون تحمل اسماء سكانها من العلماء كزقاق عياض وزقاق العزفي وزقاق ابن الشاط .

6 ) الحمامات : اثنان وعشرون حماما علاوة على عشرة في القصبة وبكل دار من ديار سبتة حمام ومسجد الا القليل ، وكان بمنزل المؤلف نفسه حمامان ومسجد .

7 ) الاسواق عددها مائة وسبعون منها اثنان وثلاثون في الارباض الثلاثة .

8 ) الحوانيت عددها أربعة وعشرون الفا وكانت فيما مضى أكثر وعدد ( التربيعات ) (72) احدى وثلاثون للحرارين والخرازين وغيرهم وكانت اعظمها عبارة عن معقل او قلعة على ثلاث طباق وفي صحنها مسجد .

9 ) المنجزات المعدة — لعمل القسي اربعون .

---

(67) ازهار الرياض ج 1 ص 31 .
(68) وقد أشار صاحب ( الاستبصار ) الى جبل عظيم على قرية بليونش فيه القردة .
(69) جمع مصنعة وهي شبه الحوض يجمع فيها ماء المطر أو هي المباني والقصور .
(70) ازهار الرياض ج 1 ص 39 .
(71) محمد بن القاسم الانصاري في كتابه « اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار » الذي صنف عام 825 هـ ( نشر المطبعة الملكية بالرباط ومجلة هسبريس ج 12 — 1931 ) .
(72) ما زالت الكلمة مستعملة في المغرب الى الآن وهي عبارة عن ( قيسارية ) غير مسقوفة ومربعة خاصة بحرفة ما .

10) الفنادق عددها ثلاثمائة وستون اعظمها الفندق المعد لاختزان الزرع يحتـــوي على اثنيـــن وخمسين مخزنا من بناء أبي القاسم العزفي ويشتمل ( فندق غانم ) على ثلاث طبقات .

11) الافران عددها ثلاثمائة وستـــون .

12) السقايـــات خمس وعشرون .

13) الميضاءات العمومية اثنتا عشرة .

14) ديار الاشراف أربع : الديوان والقاعـــة والبناء والنجارة والسكـــة .

15) المطامير اربعون الفا مفترقة في الدور والحوانيـــــت .

16) الطواحيـــن مائـــة وثلاث .

17) الاربـــــاض ستـــة .

18) الابـــــواب خمســــون .

19) المصليــــــات ستـــــة .

20) المرامي واماكن السبق اربعة واربعون.

21) المقاصير عددها خمسة وعشرون مـــع ابراج لصيانـــة الامتعـــة .

22) المراسي ثلاثون فيهـــا دار الصناعـــة و 299 مصيدة للحـــوت .

23) مدينة ( افراك ) حيث القصر الملوكي الذي أعده بنو مرين لنزولهم .

24) قرية ( بنيونش ) الكثيرة العيون والانهار والتي بلغ عـــدد حماماتهـــا 126 وارحيتهـــا 50 ومساجدهـــا 19 .

25) صادرات سبتة من الفواكه الى المغرب والاندلس خمســة وستون نوعا من العنب وثمانيـــة وعشرون نوعا من التين وخمسة عشر نوعا من التفاح وستة انواع من الخوخ واربعة من السفرجل وستـــة عشر من الرمـــان .

26) قـــــرى كثيـــرة اخـــرى .

وكانت سبتة دار صناعة وتصدير قبل الاحتلال تصنع أواني النحاس المنحوتة والمرصعة وتصدرها الى البلاد الايطالية (73) .

كما تنتج من انواع الخضر والفواكه ما بذت به بقية الحواضر علاوة على ما امتازت به من جمـــال العمران واجهزة الحضارة واذا استثنينا ما وقـــع التصريح به من تشييدات ومنشآت حديثة في العهد المريني فان اغلب المؤسسات الحضارية الموصوفة في القرن الثامن والتي تأخذ حيزا في نطاق المدينة الضيق يمكن أن تكون قديمة العهد قد انبثقت منـــذ العهود الاولى في القرنين الخامس والسادس لا سيما وأن بعضها قد اشير اليه لماما في ثنايا ما كتبه عياض وابنـــه كما رأينـــا .

تلك فذلكة مقتضبة عن سبتة في عصر القاضي عياض كما تتراءى من خلال المصنفات غير التاريخية التي الفها عياض واكملها ولده وقد تجلى من دراسة مقارنة بين ما كتب عن ( حاضرة البوغاز ) في مختلف العصور مدى صحة ما اوردناه من نقل مباشر عـــن مصادر هي كل ما بقي من تراث عالم المغرب ومسنده القاضـــي عيـــاض .

---

(73) الحسن الوزان : ( المغرب في أوائل القرن السادس عشر ) ماسينيـــون ص 8 8.

# عياض في فاس

للدكتور عبد الهادي التازي

نحن الآن مع قاضي سبتة الاسبق وهو في طريقه الى الجنوب المغربي ، نحن معه في حاضرة فاس التي عرفها من قبله الشيخ عمرون جد والده موسى ، الشيخ عمرون الذي شارك في المعارك التي كانت تدور رحاها بين الفاطميين والعامريين من اجل السيطرة على مدينة فاس ، لقد كان من انصار فاس السنة وليس من انصار فاس الشيعة (1) .

وكان من الممكن ان يظل عمرون بفاس ، بل كان من الممكن ايضا ان يكون عياض من مواليد فاس لولا ان عمرون اضطر اضطرارا للانتقال الى سبتة بسبب ان يبقى على صلة باخبار اخويه عيسى والقاسم اللذين اخذا الى الاندلس في جملة الرهائن السياسية !

وبالرغم من ان القاضي عياض لم يزر مدينة فاس من ذي قبل لكن المدينة لم تكن بعيدة عن حسه ومعناه ، فعلاوة على ما كان يعرف عنها ، فانه يعد من شيوخه المنتسبين اليها ممن اخذ عنهم في سبتة الفقيه ابا اسحاق ابراهيم الفاسي (2) .

وانا على مثل اليقين من ان طموحاته هي وحدها التي دفعت به الى استزادة العلم في قرطبة وليس في فاس او في المشرق ، فقد كانت الاولى (3) ارحب وانشط واشهر ، فبالرغم من وجود امثال اللخمي والشارقي والطليطلي والتميمي وابن اللبانة في فاس مثلا ، الا ان نظائر ابن عتاب وابن حميد وابن بشكوال وابي الصدفي (4) والجياني وابن شبرين كانوا يستحقون زيارتهم في قرطبة على كل حال فقد ادخر له القدر زيارة فاس فيما بعد،اي عندما يمسي اسيرا غريبا لا اهل ولا ولد ، ولا مال ، ولا نسب ، وبعد ما لحق مدينة فاس من دمار وخراب بسبب الحصار الذي ضربه الموحدون عليها .. فكيف كان استقبال فاس للقاضي ، وهل دخل من باب عجيسة وخرج من باب الفتوح كما يقولون ؟

لقد اعتاد اهل فاس ترديد هذه العبارة في حق الوارد على بلدتهم ممن لا يستوعب آثارهم ومآثرهم، ولا يستقصي ظروفهم واحوالهم ، فهو انما اضطر

---

(1) ابو عبد الله محمد بن عياض : التعريف بالقاضي عياض ، تقديم وتحقيق : د. محمد بن شريفة منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ـ مطبعة فضالة ـ المغرب ، ص 3 .

(2) المقري : ازهار الرياض ج 3 ، ص 157 ـ 158 .

(3) عبد الهادي التازي : جامع القرويين ج 1 ، ص 159 .

(4) عبد الهادي التازي : صحيح البخاري بخط الحافظ الصدفي ـ مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 19 الجزء الاول ربيع الآخر 1393 هـ ـ 1973 م ، دعوة الحق ـ مارس 1973 .

لشق المدينة من بابها الشمالي باب عجيسة الى بابها من الجهة المقابلة : باب الفتوح ...

لقد ظل الظرف الزمني الذي قضاه القاضي عياض في العاصمة الادريسية مجهول الكم .. وهكذا فبالرغم مما نقرأ عن بعض تحركاته في المدينة الا اننا لا نستطيع لحد الآن ان نقوم بتقدير ما ... فان تلك التحركات جميعها يمكن أن تتم في يوم واحد نظرا لتقارب نقاطها ، كما انها من الممكن ان توزع على ايام كذلك .

مهما يكن فلقد نزل القاضي عياض في الحي الذي كانت تتبارى على سكناه عيون البلاد ، وهو الحي الذي يجاور جامع القرويين وضريح الامام ادريس : حي زنقة حجامة معقل الاشراف (5) ، وقديما ردد الناس في معرض تباهيهم بامتلاك عقار في هذه الناحية ، قولهم : « كان عنده دار في زنقة حجامة أو السبع لويات ... » وبالصدفة كان المكان الاول سكنى لآل الفرديس ، وكان المكان الثاني سكنى لآل الملجوم ، وكلا الاسرتين كانتا تضيفان القاضي عياض ...

« صور من دار الفرديس حيث نزل عياض »

فمن هم آل الفرديس الذين قصد عياض بيتهم ؟

كل الذين كتبوا عن البيوتات الشهيرة بفاس تحدثوا عن أسرة الفرديس التغلبيين على انها عريقة في المغرب ، وان بيتهم بيت علم وفقه وكتابة ، وان جدهم بكار بن مرهون بن عيسى كان بسجلماسة قبل ان يدخل الى المغرب ، ويدل على مكانة بكار العلمية ان ابن الصيقل ( المتوفى سنة 500 ) رحل الى سجلماسة ليسمع منه (6) ...

وحسب ظهير توقير من السلطان مولاي عبد الله بن امير المومنين السلطان مولاي اسماعيل يرجع لتاريخ 17 رمضان 1143 — 26 مارس 1731 ، يتعلق بأولاد الفرديس ، وجدنا نعتهم بقرابتهم بالمصاهرة مع نجل البضعة النبوية مولانا ادريس ، وهو الامر الذي يحمل على الاعتقاد بانهم عاصروا فعلا بداية ظهور الدولة الادريسية (7) .

« ظهير يرفع آل الفرديس لايام مولاي ادريس »

وسنرى ان اسم هذه الاسرة ظل بارزا بصفة خاصة منذ زيارة عياض لفاس ، حيث نجد ذكر القاضي ابي عبد الله محمد بن محمد الفرديس الذي كان يشغل في نفس الوقت ناظر احباس القرويين والذي كانت له علاقة فيما يظهر بابن الفرديس الذي كان في جملة من حضر مجلس ابن تومرت ...

لقد نزل عياض ضيفا على قاضي فاس في داره التي تقع في منتصف الدرب الصغير الاول الذي يوجد عن يسار الداخل للدرب الكبير المجاور لمسجد اللبارين بزنقة حجامة ، حيث كان الفرديس يتوفر على مكتبة وجد فيها عياض بعض سلواه ...

وقد احتفظت التقييدات المتعلقة باوقاف جامع القرويين ، باسم بعض العقار الذي كان محبسا على اعقاب آل الفرديس على ما يفيد الجزنائي في جنى زهرة الآس ، ويتعلق الامر برائقة ابن الفرديس حيث كانت تقع دكاكين الخرازين قريبا من باب خزانة القرويين ، قبل عمليات التوسعة الجديدة (8) وقد ظهر من بين الذين تعاطوا لمهنة القضاء لواخر القرن التاسع ابو عبد الله محمد بن محمد ابن الفرديس ( ت 899 ) على ما يذكره ابن القاضي في الجذوة .

وقد تحدث التاريخ عن الرئيس الشهير ابي العباس احمد الفرديس كاتب المامون ابن المنصور الذهبي وشيخ كتاب الانشاء بحضرة فاس المتوفى سنة 1020 ، وهو الذي مدح المامون بقصيدة يقول فيها من جملة ما يقول :

---

(5) القادري : لمحة البهجة العلية في بعض اهل النسبة الصقلية ، نشر المستشرق الايطالي ريزيطانو
(6) التكملة ص 142 رقم 503 — الجذوة ص 151 كتاب البستان لابن مريم طبع الجزائر ص 4 5.
(7) وقفت على هذا الظهير ضمن ما وقفت عليه من وثائق الاسرة التي اجدد الشكر على مساعدتها .
(8) القصد الى التوسعة التي دشنها الملك محمد الخامس عام 1359 هـ — 1940 م ، الجزنائي جنى زهرة الآس،طبعة تلمسان ص 71 — 153 ، التازي : جامع القرويين ص 96 ، 99 ، 105 .

اهدى النسيم تحية المشتــاق
واذاع ذكر الشوق في الآفـاق (9)

وفي اعقاب السطو الذي تعرضت له أوقـاف القرويين أواخر دولة السعديين ، أصدر السلطـان مولاي رشيد 1075 – 1082 هـ / 1664 – 1672 م امرا بضم سائر عقار فـاس الى احباس القرويين باستثناء ما تثبته التقاييد للناس ، تلك التقاييد التي وجد من بينها تقييد يتضمن لائحة بالاوقاف التـي حبسها ابو عبد الله السيـد محمد الفـرديس على اعقابه واعقابهم على ما يوخذ من سجل للاوقاف يرجع لتاريخ ربيع الثاني 994 – 1586 .

وتحتفظ الاسرة الى الآن بعـدد من الرسوم والظهائر التي تترجم عن المركز الاجتماعي للعائلة ، سواء لدى الخاصة او العامة ، وقد كان في جملة ما اثار الانتباه عقـد زواج فاخر بتاريـخ سادس ذي القعدة 1094 يتعلق بزواج سيدي الكبير بن احـد اعيان حضرة فاس سيدي احمد الفردیس السالـف الذكر بالسيدة رقية بنت سيد احمد الشباني ...

**( عقد مصاهرة الرئيس الفرديس مع أسرة الشباني )**

هذا الى عقد آخر لا يقل عنه بهاء ورواء وهـو يرجع لتاريخ 30 جمادى الاولـى 1115 ، ويتعلـق بالسيد الطيب بن المهدي الفـرديس الذي تـزوج السيدة الزهراء بنت القاضي المفتـي خطيـب القرويين سيدي احمد بن ناجي (10) ...

**( عقد زواج الفقيه الفرديس مع اسرة القاضي الشهير ابن ناجـي )**

هذا الى ظهير اسماعيلي للتوقير يتعلق بسيدي الطيب السالف الذكر ويرجع لتاريخ 26 ربيع الثاني 1138 وظهير عبدلاوي بتاريخ 17 رمضان 1143 وهو يعم سائر « اولاد الفرديس أصهـار مولانـا ادريس المعرف بهم في الفهارس » ... على حـد تعبيـر الظهير السالف الذكر .

**( ظهير توقير من السلطان مولانا اسماعيـل لاسرة الفرديس لمكانهم من القاضي عياض )**

وما من شك في ان كل هذا التكريم كان مـن بركة القاضي عياض الـذي اقتـرن مقامـه باسم الفرادسة الذين عرفوا بدورهم كيف يحافظـون على صلة أجدادهم بالقاضي عياض ، حيث نجدهم الى الآن يفتحون بيتهم لكل من يريد ان يؤدي زيارة للبقعـة التي كان يرقد فيها عياض قبل ما يزيد على ثمانيـة قرون ونصف القرن ! وهي البقعة التي اهتمت بهـا احاديث الخاصة والعامة اكثر مما عنيت بدار ابـن خلدون او لسان الدين ابن الخطيب .. !

وقد اقترن اسم عياض في فـاس باسم أسرة اخرى تأرجت بذكرها المعاجم والفهارس ، ويتعلق

---

(9) نزهة الحادي ، تاليف اليفرني ، تصحيح هوداس ص 200 . العباس بن ابراهيم : الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعـلام ج 2 ص 282 ، المطبعة الملكية الربـاط .

(10) كان الشيخ احمد ابن ناجي من المشايـخ الذين يقولون بأن « علم التاريخ يضـر جهلـه وتنفـع معرفته » ، وهو الذي اكتشف في جملة من اكتشفوا زيف ظهير قديم أدلى به يهود فاس الجديد يتضمن اعفاءهم من الجزية وان النبي ( ص ) عقد لموسى بن حي بن اخطب اخي صفية رضي الله عنها ولاهل بيت صفية الامان لا يطأ ارضهم جيش ولا عليهم نزل ولهم ربط العمائم ...

وكتب علي بن ابي طالب وشهد عتيق بن ابي قحافة وعبد الرحمان بن عوف ومعاوية بن ابـي سفيان ، و « تاريخ شهادتهم في ذي القعدة سنة تسع من الهجرة » فظهر للشيخ أحمد بن ناجي ولعلماء العصر ان ذلك زور وافتراء لان التاريخ بالهجرة انما حدث زمن عمر سنة سبع عشرة .. ولان الظهير الذي استظهروا به انما هو نسخةمن الاصل الذي فيه خطوط الصحابة وقـد أرخوا الاستنساخ من الاصل عام 723 أيـام السلطان أبي سعيد عثمان .. وكيف يتوصل في المائـة الثامنة لمعرفة خط الصحابة ؟ ولما رفع أمر هذا الظهير الى السلطان مولاي اسماعيل عاقـب اليهود عقابا شديدا ، وهكذا قام ابن ناجي أيام مولاي اسماعيل العلوي بمثل ما قـام به رئـيس الرؤساء ايام القائم بأمـر الله العباسي – الاستقصـا 1 – 4 – 5 – 6 .

الامر بآل الملجوم الذين يرتفعون بنسبهم الى عمير بن مصعب الازدي وزير الامام ادريس الاول ... والذين آوى اليهم عياض ايضا وزار مكتبتهم الخاصة واجاز بعضهم كذلك ...

لقد كانوا يسكنون غير بعيد عن زنقة حجامة انهم حسب حوالة وقفية قديمة كانوا يسكنون في الدرب المنسوب اليهم ضمن « السبع لويات » التي تجاور جامع القرويين .

وحتى لا يلتبس علينا بنو الملجوم ، ينبغي ان نأخذهم ابتداء من ابي الحجاج يوسف بن عيسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن قاسم بن عيسى بن محمد ابن قبتروس بن مصعب بن عمير ابن مصعب الازدي، ثم الزهراني . **وقاسم جدهم** هو الذي لقب بالملجوم اللثغة في منطقه لازمته من صغره .

لقد راح ابو الحجاج يوسف مخلفا من الابناء ممن عرفنا : عيسى الملقب بابي موسى ، وعبد الرحمان الملقب بابي القاسم .. ومحمد الملقب بابي عبد الله ... وقد ترك محمد هذا ابنه يوسف الذي انجب عبد الرحمان الملقب بابي القاسم كعم ابيه ، وقد خلف عيسى من البنين عبد الرحيم الملقب كعمه وحفيد عمه محمد ـ بابي القاسم .

وهكذا فان هناك الجد ابي الحجاج الذي تحدث التاريخ عنه على انه هو الذي استفتاه السلطان يوسف ابن تاشفين لما اراد الجواز الى الاندلس لينزل ملوكها المتظاهرين بعضهم بعضا بالاجنبي والضاربين على المواطنين ما يطاق من المغارم والمكوس ...

وهناك ابو موسى عيسى ابن يوسف ( 476 ـ ت رجب 543 ) وقد تولى القضاء بفاس ومكناس ، وكان عارفا بالنوازل وكان ممن يراسلهم ابو علي الصدفي حيث وجدنا آثار مراسلة بتاريخ 501 واخرى بتاريخ 513 ، وقد سمع من ابيه ابي الحجاج ودخل الاندلس فلقي بقرطبة ابن الطلاع وكان جامع للدواوين ... (11)

وهنا ابقوه مع ابو القاسم عبد الرحن بن يوسف ( 482 ـ 544 ) من اهل مدينة فاس كذلك ، وقد حدث ـ عند دخوله للاندلس ـ ابن اخيه ... وقد كان يتوفر على خزانة علمية تتمتع بشهرة واسعة في المغرب على ما تتضافر عليه النقول (12) .

كما ان هناك ابا القاسم عبد الرحيم بن عيسى ( 524 ـ 604 ) الذي سمع من بلده ( فاس ) عن ابيه ابي موسى كما سمع عن عمه ابي القاسم عبد الرحمان وأبي عبد الله محمد بن احمد الخزرجي الجياني ، وهذا هو الذي لقي بفاس ابا الفضل عياض وابا مروان ابن مسرة ، وابا الحسن الزهري وابا بكر بن الجد وابا يونس مغيث ، واجاز له جميعهم ، وناظر على ابي بكر بن طاهر في نحو الثلث من كتاب سيبويه ، وقد رحل الى الاندلس فلقي بقرطبة ابا القاسم بن بشكوال واخاه ابا عبد الله ، ولقي باشبيلية ابا بكر بن خير ، وبمالقة ابا زيد السهيلي ، وقد ولي القضاء بعد والده الجياني مع جلالة القدر ونباهة السلف ورفع الشأن على ما يقول ابن الابار (13) .

واخيرا فان هناك حفيد ابي عبد الله محمد ، وهو اي الحفيد يحمل اسم عبد الرحمان ويكنى كذلك ابا القاسم ( 535 ت 612 ) تماما كاسم وكنية عم والده يوسف بن محمد ... فعبد الرحمان هذا هو ابن يوسف بن محمد بن ابي الحجاج يوسف الذي افتى ابن تاشفين حول العبور .

وعبد الرحمان هذا هو بدوره من العلماء المهتمين باقتناء الكتب ، وقد شيد لخزانته غرفة كان يقصدها كبار البلد واعيانها ، وقد جمع بها من الدواوين الشيء الكثير ، حتى صارت اكبر مكتبة في المغرب ... وقد وهبها لابنته التي لم يكن له عقب غيرها فباعت خرومها بعد وفاته باربعة آلاف دينار وناهيك بهذا المبلغ على ذلك العهد ... وقد ميز الناس بين عبد الرحمان ( الصغير ) هذا وبين عبد الرحمان ( الكبير ) بان الصغير كان معروفا عند العامة باسم ( ابن رقية ) ... ورغم ما قيل عنه من

---

(11) ابن الابار : التكملة ج 2 ص 689 ـ المعجم ص 290 رقم 272 ـ زمامة : مشاهير فاس ، مجلة البحث العلمي ـ دجنبر 1964 .

(12) ابن الابار : التكملة 2 ص 590 ـ 601 ـ الجذوة ص 253 ـ 254 ـ 267 ـ 268 .

(13) ابن الابار : التكملة 2 ص 601 ـ ابن القاضي : الجذوة ص 267 ـ 268 .

انه كان دون ( الكبير ) علما واطلاعا ، فاننا نجد ان من جملة الآخذين عنه أحد أبناء الاسكندرية أحمـــد بن عمر الانصاري الاندلسي الذي تحـــدث عن خـــروم المكتبة التي يبعث بذلك المبلغ (14) ، كما نقـــرا في التكملة انه سمع على ابي القاسم عبـــد الرحمـــن عـــم والـــده ...

ولقد امتد ذكر بني الملجوم الى القرن التاسع، حيث تحدثت الحوالات الحبسية التي ترجع لتاريخ 893 هـ عما كان معروفا عن درب الملجوم الـــذي لا يبعد عن « السبع لويات » كما أشرنا بل ان احـــد افرادها استرعى انتباه ابن القاضي في الجـــذوة ، ويتعلق الامر بأبي زيد عبد الرحمن ابن الملجوم الذي توفي بفاس بتاريخ سادس ربيع الثاني 917 (15) .

وقد كان يهمنا من بني الملجوم أبو القاسم عبد الرحيم ( 524 — 604 ) الذي قال بالحرف على مـــا نقله المقري في ازهار الرياض : « اجتاز علينا عياض عند انصرافه من سبتة قاصدا الى الحضرة ( يعني مراكش ) زائرا لابي ( عيسى 476 — 543 ، وكان في آخر ايامه ) عشية يوم الاثنين الثامن لرجب سنـــة ثلاث واربعين وخمس مائة ( 15 نونبر 1148 ) وفي هذه العشية استجزته وسألته عن نسبه ، فقال : لي: انما « احفظ عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض .. »

والى جانب ذلك المكانين اللذين غشيهما ابـــو الفضل سمعنا عن مكان ثالث كان يجد فيه راحتـــه ، ذلك جامع صغير يقع قبالة درب حجر النار الذي لا يبعد عن ساحة الصاغة القريبة من زنقة حجامـــة ، بحيث يكفيه ان يقطع الممر الذي يقع قبالـــة درب زنقة حجامة ثم يعرج ذات اليمين ليجد الجامع الذي يحمل اسمه منه ذلك الوقت في نهاية الطريق ، وكما قلنا مقابل درب حجر النار ...

وقد اعترضني اسم هذا المسجد وانا اقوم في الستينات بجرد لسائر جوامع فاس ، اعترضني في كثير من الحوالات الحبسيـــة وأثار انتباهي كما كان الامر بالنسبة لمسجد سيدي الشعراني ، بزقـــاق الحجر قبالة درب اكومي ... فهل النسبة تعني ان العالمين الجليلين كانا يدرسان في هذين المسجدين؟ ام ان قراءة كتبهما بالمسجدين المذكورين هي التي سببت النسبة ، أم ان هناك أمرا ثالثا يكمـــن وراء تلـــك النسبـــة ؟

مهما يكن فقد كان من اقدم تلك الحوالات الحبسيـــة زمام مبارك حرر بتاريخ 994 وجدد على التوالي أيام الملوك العلويين ابتداء من السلطان مولاي اسماعيل.

ويذكر صاحب السلوة اول من اشتهر انه نزل بالمسجد وتعبد ابو الفضل عياض ...

وتوجد عن يمين قاعة المسجد حجرة صغيرة يقال ان القاضي عياض آوى اليها وتعبد فيهـــا ... وممن كان يأوي لهذا المسجد ويدرس فيه ويؤم الفقيه سيدي محمد ميارة الاصغر المتوفى في 15 المحرم 1144 (16) .

وممن كان يدرس في هذا المسجـــد الفقيـــه سيدي محمد بن عبد السلام البناني المتوفى في ذي القعدة من عام 1163 وقد كان يفتح نشاطـــه فـــي التدريس كل يوم بمجلس الحديث الـــذي يعطيـــه بمسجد عياض قبل ان يلتحق بمجلسه الفقهـــي في الصف الاول من جامعة القرويين ... على ان ينهي يومه بدرس بين العشاءين حول صحيح الامام البخاري ورسالة بن أبي زيد في المدرسة المصباحية (17) .

وآخر من أدركه صاحـــب السلـــوة يأوي الى المسجد المذكور ويتعبد فيه أبو عبـــد الله سيدي

---

(14) نرى ان المتحدث عن الخروم هو الانصاري وليس الطرطوشي هو المتحدث بذلك ، فانه توفـــي سنة 520 ، وهكذا فان ما كتبه دبلفان في كتابه عن « فاس وجامعتها والتعليم العالي » ، نقلا عـــن الجرشاوي يحتاج الى تحقيق ... هذا وقد فضلت رواية النسخة التي اشار اليها هامش الجذوة والتي تقول أن عبد الرحيم ( الصغيـــر ) توفي عام 612 وليس عام 605 حتى اميـــز بين الاول والثاني — التكملة ج 2 ص 590 — الجذوة ص 253 — 254 .

(15) الجـــذوة : 260 — السلـــوة : 3 ، 178 .

(16) ما تزال اسرة ميارة الى اليوم تعيش بفاس وقد نبغ فيها عدد من الشباب .. السلوة 1 ص 167.

(17) السلوة 1 ص 151 ، الكتاب الذهبي لعيد القرويـــن ص 172 .

محمد بن محمد الحفيان المدعو خملـيش .. وعلى قياس هذا اذكر ان آخر من عرفت انه يعطي دروسا خاصة بهذا الجامع القاضي سيدي عبد الرحمـان الفريسي رحم الله الجميـع ...

## ( صومعة جامع سيدي عياض بفاس )

تلك هي النقاط الثلاث التي اقترن وجود عياض فـي فـاس بذكرهـا : دار الفرديـس ، دار الملجوم مسجد الصاغة ... وصحيـح انها تعكس جميعها هوايات عياض المحببة فهو الى جانب زميل له في المهنة في دار القاضي الفرديس وهو مع ذلك على صلة باشهر واوثق واجمع خزائن علمية عرفـت على ذلك العهد .. خزائن أهل الملجوم الـذي كان بيتهم بمثابة أكاديميـة يتردد عليهـا المطالعـون والمراجعون ... وهو بعد هذا في جامع يلتقي فيه من يرد للصلاة وللقراءة ...

ومع ذلك فان السؤال الذي يطرح نفسه : هل ان هذه الامكنة المحدودة كانت في حجم شخصيـة علمية بارزة من اعلام الحركة المذهبية ... عيـاض الذي صحبته الى الاندلس وهو طالب رسائـل التوصية به من الامراء المرابطيين ووزرائهم وكبرائهم ... عياض الذي جلس للمناظرة في بلده سبتة وهو ابن اثنين وثلاثين سنة .. عياض الذي ولي قضـاء سبتة فبرز في وظيفه .. عياض الذي عرفته غرناطة في سلسلة قضاتها اللامعين .. عيـاض المفسـر المحدث المؤرخ بطريقته الخاصـة في التأليـف والتـدريس ...

هل لم يكن بفاس كلها غيـر ابي القاسم ابـن الملجوم يستجيزه ويساله عن نسبه ؟ ! هل لم يكن بفاس كلها غير القاضي ابن الفرديس .. هل يوجـد بفاس كلها غير جامع الصاغة الذي يكون جـزءا في الف من مساحة جامع القرويين ؟

هناك اسطورة تروج على السنة بعض الذيـن كانوا يلازمون مجالس الوعظ بمدينة فاس ، وهـي تدخل في اطار المأثور الشعبي الذي ابى الا ان يملا الفراغ الذي شعر به أهل فاس وهم يسمعون عـن مرور القاضي بديارهم .. وقد كان يهمنا من هـذه القصة ان عياضا ربما مارس مهنة القضـاء بفـاس بعـض الوقـت .. ؟

ويتعلق الامر بما يرويه بعض الطلبة عن احـد المشايخ في باب غيرة الزوجات من انقطاع ازواجهن للدرس والمطالعة .. !

لقد قالوا : ان القاضي عيـاض كان يتصرف كلية لقراءاته الى حد ينسى فيه ليس فقط واجباته البيتية ، ولكنه كذلك يهمل تموين من كان عليـه ان يعولـه !

وقد تضايقت زوجته من هذه الحال بفاس ... وحتى تعبر عن احتجاجها بشكل يحرك القاضـي ، ويجعله يفكر في ( المائدة ) قبل ان يفكر في (الكتاب)، عمدت الى مخطوطات مجلد كان عزيزا عليه ، فجعلته في كسكس كان يشقه البخار الحار المتصاعد مـن المياه الساخنة تحته على نحو ما يفعل عند ما يراد تبخير اللحوم !

وعندما عاد القاضي من درسه داعبت روائـح الجلود المبخرة حاسة شمه وكان يعتقد انها مائـدة نزلت من السماء .. ! فسأل زوجته : ترى من أيـن اتاك اللحم ؟ ولكنها صدمته وهي تكشف الكسكاس عن « المجلد » الذي كان ينقطع اليه القاضي ! الامـر الذي دفع به الى هجر زوجته ، وترك فاس واتجه الى مراكش ... تلك قصة مطرفة تناقلتهـا المجالس ولكنا لم نجد لها مصدرا فيما تتوفر عليه من مراجع ، وبذلك يظل تساؤلنا قائما حول الصمت المخيم على مقام القاضي عياض بفاس !

الواقع ان ذلك السكوت هو وحده يترجم عـن الجو المتوتر الذي كان يسود علاقات القاضي السابق بالحكم الموحدي ، والا فبماذا نفسر انكماش الناس عن أبي الفضل وانكماشه هو عنهم ... لقد كان في الامكان ان نسمع عن صلة له بالامام عيسى المومناني الذي كان القاضي عياض ينقل عنه ناعتا اياه بفقيـه اهل فاس . لعل هذا المؤمناني كان يعيش ظروفا على نحو ظروف أبي الفضل ؛ فقد كان هو الآخر ممن لهم راى غير رأي السلطة انذاك .. ! (18)

---

(18) الجـذوة ص 281 .

ولقد كان في الامكان ان نسمع عياضا يسال عن ابن جامع البغدادي الذي جلس لتدريس الفقه بقربي جامع القرويين منذ سنة 515 وكان في جملة من اخذ عنه ابو القاسم بن الملجوم الذي استجاز القاضي عيـــــاض ...

وكان في الامكان ان نسمع عن صلة القاضي عياض بأبي الحسن علي بن حرزهم الذي تحدث التاريخ عن ( انقباضه هو الآخر عن السلطة ) منذ ان اتخذ موقفه المناصر لكتاب احياء العلوم أيام علي بن يوسف بن تاشفين .

الواقع ان فاس كانت جميعها تعيش اياما كئيبة لا تقل كآبة عن الايام التي يعيشها قاضي سبتة ، او لم نسمع عن فقهاء فاس وشيوخها عـام 540 هـ - 1145 م وهم يتسلقون السلاليم ليصلوا الى اعالي البلاط الاوسط في جامع القرويين حتى يلمسوا الفنون الجميلة التي خلفتها ايادي الدولة المرابطية وذلك خوفا من انتقاد عبد المومن الذي قامت دعوته على التقشف والبساطة ؟ الم نسمع عن الموحدين وهم يدشنون فتحهم لعاصمة الادارسة بتنحية الخطيب الامام ابي محمد مهدي بن عيسى ، وهو من اقطاب القرويين وعلمائها ، لماذا ؟ لانه لم يكن يعرف اللسان الامازيغي .. وكان شرطهم فيمن يخطب على الناس في ايام الجمع ان يكون ملما باللسان المذكور ..

اريد أن أقول ان التفسير الصحيح للنشاط المحدود للقاضي عياض بفاس يكمن في الجو العام الذي كانت تعيشه البلاد ، بل يكمن في الرعب والخوف اللذين كانا يهيمنان على كل شخص تحدثه نفسه بترديد قضية عياض واسم عياض !

كنت أتمنى ان اعرف حديث ابن صاحب الصلاة عن مصير عياض وهو يعالج ظروف قيام عبد المومن

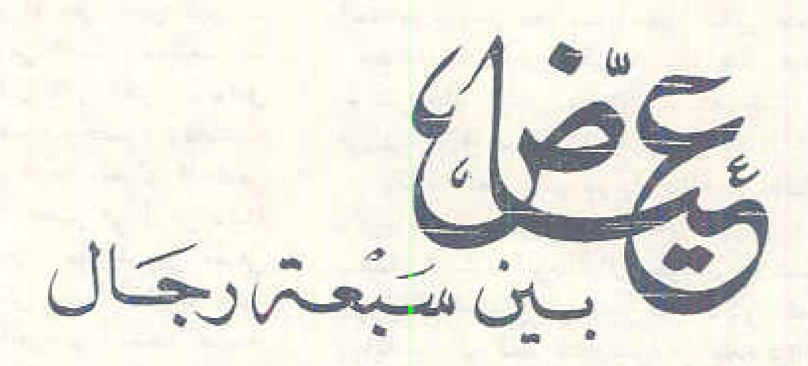
... وكنت اتمنى ان يكون موقف عبد الواحد المراكشي غير موقف الصمت الذي اتخذه في كتابه المعجب ! وحتى حديث ابي القاسم ابن الملجوم عن عياض كان حديثا حذرا اكبر ان يسمي الاشياء باسمائها الحقيقية ، فان « النفي » من سبتة اصبح « انصرافا » فقط ... وافهم انت مداول كلمة الانصراف .. !

لقد استمر الحديث عن عياض ايام الموحدين خاضعا لرقابة ملحوظة حتى فيما كتبه ابنه ابو عبد عبد الله سيدي محمد ... لقد كان ( تعريفه ) بوالده مختصرا الى حد الاجحاف ، لانه كان يعرف ما قد يتعرض اليه لو انه اطلق العنان لقلمه - بالرغم مما لقيته الاسرة فيما بعد من اعتبار عندما نصب الموحدون صاحب ( التعريف ) قاضيا على دانية وغرناطة .. وعندما اولوه من حظوة لحفيده عياض.. ثم لابنه ابي عبد الله محمد الذي غدا بدوره قاضي الجماعة لواخر العهد الموحدي ...

كل ذلك لم يجعل احدا يجرؤ على وضع محنة القاضي عياض على المشرحة ، فالتعريف به مبتور ، وملاحقته في مراحله نحو الجنوب غير مسموح بها للجمهـور .

واننا مع تحفظنا ازاء القولة التي ترددت على لسان صاحب المرقبة العليا : سم ابن العربي وخنق اليحصبي » ، نؤمن بأن سمعة القاضي عياض كانت من الشهرة بحيث انها اسهمت، دون شك في جعل عبد المومن يبقى على حياة القاضي عياض ، ويكتفي بفرض الحصار عليه ، وتطويق الاخبار التي تتعلق به، ومن ثمت اقتصرت معلوماتنا على ما نرى ، وما كان حديثنا يفتـرى ! .

**د. عبد الهادي التازي**




للأستاذ رضا الله ابراهيم الألفي

اذا كان ولا بد من تقديم فذلكة بين يدي هــذا البحث المتصل بموضوع التصوف ورجاله أصحاب عياض في وقته .. فهي :

ـــ ان معظم الذين بحثوا في الملل والنحل ومقارنات الاديان ( امثال الدكتور احمد شلبــي في كتابه المقارنــات ) اطبقوا على التصوف بمعنــاه الواسع عريق الجذور وعميق الاصول والمنابع بين الامم .. مما جعله نزعة انسانية مشتركة تنبثق مــن اعماق الانسان الكامل الادراك المتهيىء لاستعمــال النظر والفكر لاستكشاف ما وراء مظاهر الطبيعة من عالم علوي وقوة روحية خارقة تخلص نفس الانسان من ادران الحيوانية واغلال الشهوات المادية السفلى .. الا ان هذا التصوف البدائي وان تربى في احضان بعض الاديان السماوية الاولى فانه قد علقــت بــه شبهات وطقوس لا تخلو من اعمال الوثنية وشوائب الهرطقة وشظايا من الامم الخوالي .

ـــ وان التصوف الحق هو الاخلاص في عبادة الاله الحق والاحسان في مناجاته والتوجه اليه : ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يــراك ـ الحديث الشريف .. « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين » .. الآيــة الكريمــة .

ـــ وان التصوف الاسلامي ( كما نــراه في كتاب حلية الاولياء لابي نعيم ) لم يظهر دفعة واحدة وعلى حال ثابت جامع .. بل هو وليد فترات متعاقبة ابتدات بعهد النبوة ثم امتدت عبر القرون والاجيال .. ففي كل فترة يظهر التصوف الاسلامي في حلة مغايرة او مشابهة للتي قبلها والتي بعدها .. غلبت عليه في العصر الاول حالة الزهد والورع ايــام الصحابــة والتابعين وتابع التابعين .. ثم شاعت فيه تيــارات ووجدانيات ومعتقدات لم تكن شائعة في الصدر الاول ..ثم جاء عصر المشايخ الكبار الذين قعدوا التصوف وجعلوه مذهبا متميزا بين المذاهب الاخرى ودونــوا ما يجب له من شعائر واخلاق وتبعات ..

ـــ وفي المغرب عرف التصوف نفس الاطوار على ما اشار اليه ابن خلدون في مقدمته وبسطه ابن الزيات التادلي في كتابه التشوف الى رجال التصوف والغبريني في كتابه عنوان الدراية .. هؤلاء وغيرهم سجلوا ما كان عليه التصوف ورجاله في هذا الجناح المغربي منذ اقدم عهوده الى العصر الــذي ادركوه وهو يبتدىء بالدولة المرابطية وما بعدها الى عهــد المرينيين .. اذ ان حظ المغرب في مقام التصوف كان مضرب الامثال في تلك الفترات المتتابعة ، فلقد كان المغرب يوصف بأن ارضه تنبت الصالحين كما تنبت الكلأ .. وأن بعض مدنه وقراه هي مقر الصالحين كمدينة سلا ومدينة مراكش وجبــل العلــم وأزمور ودكالة وغيرها .. حسبما اطنب فيه وابدع احمد بن الخطيب المعروف بابن قنفذ في كتابه ( انس الفقيــر

وعز الحقير ) وهو الذي تقصى بقدمه اقطار المغرب مدنه وقراه باحثا عن رجال التصوف ونسائه .. يلقاهم شخصيا ويتحدث اليهم او يلقى من لقيهم ويحدثه باخبارهم .. وسجل في ذلك معلومات وتراجم واخبار قل ان توجد في كتاب آخر .. ولعل اعظم ما فيه هو ما شاهده بنفسه وحضره وعاينه بعينه .. وذكره في ص 71 ( طبعة المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط ) من انه حضر في ارض دكالة في مكان معين على ساحل البحر المحيط بين آسفي وازمور موسما صوفيا ينعقد كل سنة بمناسبة شهر ربيع النبوي .. وانه حضر الموسم المنعقد عام 769 هـ وقت قضائه بدكالة قائلا : وحضر من لا يحصى عدده من الفضلاء ولقيت هناك من اخيارهم وعلمائهم وصلحائهم ما شردت به عيني بسبب كثرتهم، وان مما يدل على كثرتهم ان احد الدكاليين اشترى لهم عنبا بثلاثين دينارا ذهبا ( وهو مبلغ كبير جدا ) ولم يكفهم لكثرتهم .. الى ان قال : ورايت في ذلك الجمع العظيم والمشهد الجسيم غرائب وعجائب ( ذكر بعضها ) لا يرى مثلها ابدا .. وفي فصل آخر ذكر عدد الطوائف ومشايخها واخبارها ..

واجمالا فان هذه الفترات من تاريخ التصوف المغربي تعد من اخصب عهود التصوف الاسلامي على الاطلاق ، يكفي ان نلقي نظرة على ما تضمنته المؤلفات المشار اليها لنعلم مدى قوة المتصوفة ونفوذ اشياخها على عامة الناس وخاصتهم بما في ذلك الامراء والسلاطين وسائر الحكام .. اذ كانت زياراتهم متأكدة وشفاعاتهم مقبولة ونافذة ..

واني في غنى عن تسطير اسماء مشاهيرهم الاوائل كابن حرزهم وابي بنور وابي يعزى وابي شعيب السارية وابن مشيش وابن العريف والهزميري وامغار وابي محمد صالح وابن عباد وابن غالب وغيرهم وغيرهم ...

واكتفي بالاشارة الى ان جماعة عياض السبعة الذين يساق اليهم هذا الحديث ظهروا كلهم في هذه الفترات الخصبة ما بين القرن الخامس والقرن العاشر رضي الله عنهم اجمعين .

**وبعد :**

الملاحظ قبل كل شيء ان هناك فراغا في ترجمة الامام القاضي عياض ، وذلك ان الذين تناولوا مراحل حياة عياض العائلية والعلمية والادبية والوظيفية ... بينوا باسهاب اصل آبائه الاولين المنحدرين من يحصب احدى قبائل حمير باليمن وانهم تنقلوا ما بين القيروان وبسطة وفاس قبل ان يستقر جده الادنى عمرون بسبتة حيث ولد عياض في عام 476 هـ من والده موسى بن عياض بن عمرون .. ونشأ وتعلم ونال درجة عالية في العلم والاخذ والرواية عن شيوخ بلده وهم كثيرون من طبقات متعددة ثم شد الرحلة الى حواضر الاندلس ليستكمل الرواية والسماع من شيوخها الاكثر علما والاغزر رواية .. ثم قعد للتدريس في بلده وتاليف كتبه العديدة والمتنوعة التي لا نظير لها في الاسلام ككتابه ( مشارق الانوار ) وكتاب ( المدارك ) وكتاب ( الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى ) .. الذي لم يبق بيت في المشرق والمغرب الا دخله هذا الكتاب .. كل ذلك بينه الكاتبون عن عياض بما يكفي ويشفي كما بينوا وظائف القضاء والامامة والخطابة التي تولاها ببلده وبغرناطة .. الى غير ذلك مما افاضوا فيه .. ولكنهم سكتوا .. أو كادوا عن المرحلة الاخيرة من حياته المتعلقة بانتقاله طوعا او كرها من بلده سبتة الى مدينة مراكش .. وكل ما قالوه ، او بالاحرى اشاروا اليه ، ان الموحدين نكبوه وازعجوه بالخروج من بلدته الى عاصمتهم ، دون ان يبينوا بوضوح كمؤرخين الاسباب المباشرة والقاضية بذلك الاخراج .. هل كان من جملة اهل بلده الذين انتقدوا وثاروا ضد عبد المؤمن وحكامه ؟ هل كان من زعماء هذه الثورة والداعين والمناوئين بالفعل وبالسلاح هذه الدولة الجديدة .. مع ان من الثابت انه وفد على عبد المومن وهو نازل بسلا في بعض حركاته .. وما هي بواعث هذه الثورة ، هل تعود الى تمسك اهل سبتة بالولاء والبيعة والوفاء للمرابطين الذين ما زالت بعض فلولهم تقام هنا وهناك .. أم انها راجعة الى شعارات التشيع : الامامة والعصمة والمهدوية، التي جعلها ابن تومرت ركائز دعوته واساس دولته .. وهل صدر حكم بات او امر نافذ ضد عياض في هذا الشأن ، ام هو نفسه آثر ان يخرج الى مراكش من تلقاء نفسه ريثما تهدأ العاصفة او يتاح له ان يسوي الامر في عين المكان بنفسه مع أولي الامر .. انني اميل شخصيا الى هذا الاحتمال الاخير لاننا نرى من بروي انه مر في هذه الوجهة بفاس واقام بها زمنا في دار ما زالت معروفة بالعين بها كما اكده غير واحد..

وان طلبة اجتمعوا به وسالوه عن مسائل يتعلق بعضها بحقيقة نسبه .. وانه مر ببلدة داي ( وهي بلدة الصومعة اي بني ملال في ارض تادلا ) ونظم فيها قطعة مؤثرة جاء فيها :

لعلك مثلي يا حمام فانني
غريب بداي قد نقلت لدائي

فكم بين داي من فلاة وسبتة
وخرق عظيم الخافقين خواء

وقيل انه كان قاضيا بداي اذاك ، لذلك قال : نقلت ... ولكن هذا لا يتفق مع مجريات الاحوال ومع قصر المدة التي بين خروجه من سبتة ومماته بمراكش وهي ما بين 543 و 544 هـ .

وكذلك موته ، فان غموضا كثيفا يكتنفها .. قيل انه مات فجاة بالحمام ، وقيل مات مسموما او مخنوقا ، وقيل ان سبب موته هو دعاء الغزالي عليه لما بلغه مشاركته في احراق كتابه الاحياء .. واشياء اخرى قيلت في هذا الصدد كما قيلت في سبب موت معاصره ابي بكر بن العربي الذي وافته منيته عام 543 هـ وهو في طريقه من مراكش الى فاس في ظروف غامضة مشابهة لظروف عياض الذي وافته هو ايضا منيته عام 544 هـ اي بعد موت ابن العربي بقليل .. الامر الذي يفترض معه ان هناك يدا خفية كادت للعالمين الجليلين معا اللذين كانا محظوظين أيام الدولة المرابطية وخانهما الحظ في الدولة الجديدة، ولعل هذا ما قصده من قال يلمز الموحدين « سموا ابن العربي وخنقوا اليحصبي » .. وجوانب اخرى بقيت خفية ومجهولة في حياة عياض الاخيرة ..

الا ان الذي يحز في النفس ولا نجد له مبررا معقولا هو سكوت ولده محمد في كتابه « التعريف بأبيه » من هذه المرحلة المراكشية سكوتا تاما .. وهو قد افاض القول في سائر المراحل غير هذه التي تعنينا نحن بالذات ، فلم يزد على ان اشار اليها في سطور بانها نكبة .. ولكن كيف كانت هذه النكبة وكيف تمت ونفذت ، وما اعقب عنها ، وما اخبار ابيه لما حل بمراكش ، وما سبب موته ، وهل كان اهله او بعض اصحابه وتلامذته معه .. وما مصير عائلته ومخلفاته بعده — كل هذا لا ذكر له في كتاب التعريف بأبيه — فكل ما نعرفه ان عائلة عياض انتقلت الى مالقة بالاندلس وان ولده المذكور تولى القضاء هناك وان مؤلفاته ودفاتره وأصول كتبه وبطائقها وتقاييدها كلها بقيت في سبتة تحت يد ولده المذكور وعند تلامذته .. مما يدل على ان اباه لم ياخذ اهبة السفر عند خروجه ولا انه اخذ ما قد يحتاج اليه العالم المسافر من دفاتر وكتب جرت العادة بمصاحبتها في السفر..

ولم تنسحب جريرة ذلك السكوت على الذين اتوا بعد عياض مباشرة ، بل اننا نرى ذلك الاهمال يسري الى الاجيال بعده .. بما في ذلك احمد المقري صاحب ( أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ) الذي جزأ كتابه الى روضات ، خص كل روضة بناحية من نواحي عياض ، وكانت الروضة السادسة هي التي في ترتيب كتابه لذكر نكبة عياض وما اعقبها من احداث .. ولكنها — وبالاسف — بقيت بيضاء لم يسطر فيها المقري حرفا واحدا .. فياليت تلك الاستطرادات والاطنابات التي عرف بها المقري قدمت نفسها فداء لفقدان المواد الضرورية الخاصة بالروضة السادسة .

ليت التي قد فدت عمرا بخارجة
فدت عليا بمن شاءت من البشر

وحتى قبر الامام عياض الواقع عند باب ايلان بعيدا عن امكنة العمران في ذلك الحين ، فانه بقي مغمورا ومهملا ايام الموحدين كما نص عليه غير واحد .. الى ان جاء المرينيون فانتشلوه من وهدة الاهمال واحيوه وميزوه بما يليق به من بناء وعمارة وترحم وكان بعض العارفين بقدره يقصده بقراءة كتاب الشفا حياله .. مما جعل العامة يقصدونه للاستشفاء من الامراض — وفي عهد السعديين والعلويين صار مزارة كبرى ولا سيما ان ضريحه مجاور لضريح مولاي علي الشريف جد الملوك العلويين الذين بنوا عليه قبة مماثلة للتي بنوها على جاره جدهم بعناية السلطان المولى رشيد .

وعلى اي حال فان حلول عياض بمراكش كان خيرا وبركة على مراكش وعليه هو نفسه ، اذ كرمته وعززته واحلته المقام اللائق به بين صلحائها واوليائها الاكرمين ، اولئك الاصفياء الاتقياء المعتبرين كانهم اوتاد البلد او مصابيح الهدى والنور المعروفين بالسبعة الرجال ..

ولكن لماذا لفظة السبعة بالذات ؟

ولماذا الرجال السبعة على التحديد ؟

## عـــدد السبعـــة :

فيما يخص عدد السبعة طاب لي ان انقل هنا ما كتبه الامام ابن القيم في كتابه القيم « الطب النبوي » حيث قال عند كلامه على حديث الصحيحين من حديث عامر ابن سعد بن ابي وقاص عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من تصبح بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر ) ، وفي لفظ : ( من أكل سبع تمرات حين يصبح لم يضره سم حتى يمسى ) ... قال ابن القيم عند شرحه لهذا الحديث : ان خاصية السبع لها قدر وشرف شرعا .. فالسموات سبع ، والايام سبعة ، والانسان كمل خلقه في سبعة اطوار ، والطواف سبع ، والسعي سبع ، والجمار سبع ، والتكبيرات في العيدين سبع ، والطفل يومر بالصلاة لسبع ، وصب عليه ص سبع قرب في مرضه ، والريح على عاد سبع ليال ، والصدقة كالحبة انبتت سبع سنابل ، والسنون التي زرعوها سبع ، والذين يظلهم الله يوم القيامة سبعة .. الى ان قال : فلا ريب ان لهذا العدد خاصية ليست لغيره ، فالسبعة جمعت معاني العدد كله وخواصه ، فان هذا العدد شفع ووتر ، والشفع اول وثان ، والوتر كذلك ، فهذه اربع مراتب : شفع اول وثان ، ووتر أول وثان ، ولا تجتمع هذه المراتب في اقل من سبعة ، وهو عدد كامل جامع لمراتب العدد الاربع ، أعني الشفع والوتر والاوائل والثواني ، واعني بالوتر الاول : الثلاثة ، وبالثاني : الخمسة ، وبالشفع الاول : الاثنين ، وبالثاني : الاربعة ... وان للاطباء اعتناء عظيما بالسبعة ، وقد قال بقراط : كل شيء في هذا العالم مقدر على سبعة اجزاء ... والله تعالى اعلم بحكمته وشرعه في تخصيص هذا العدد بما يشاء .

وفي هذا الصدد كتبت دائرة المعارف الاسلامية ( ج 11 ص 243 ) أن رقم سبعة له مدلول خاص عند المسلمين وعند غيرهم من الاقوام سامين وغير سامين ، وانه عدد كامل يتردد كثيرا في الطب والسحر .. ثم ذهب كاتب الموضوع وهو مسيحي الى أن المسلمين اخذوا خواص هذا العدد عن المسيحيين والملل الاخرى .. فتصدى له بالرد والتعليق احمد محمد شاكر مبطلا ما زعمه من اخذ المسلمين شيئا من تعاليم الديانات الاخرى ..

فالموضوع يتعلق بخواص وبواطن الاشياء التي يصعب الكشف عنها بجلاء .. وقد قرانا اخيرا ما حاوله بعض علماء العصر المسلمين من كشف الغطاء بطريقة علمية حسابية عن حقيقة حروف فواتح السور التي حار فيها الاقدمون وذهبوا في تفسيرها كل مذهب .. ونظرية ذلك العالم التي اعلنها ونشرها ما زالت تحت النظر والاخذ والرد .. فاذا صحت وثبتت علميا فانها يمكن أن تكون نبراسا لفتح مغالق اسرار اخرى في الاعداد والحروف .. كعدد السبعة الذي ما زال في حاجة الى مزيد بيان .. ولا سيما ان الطائفة الاسماعيلية خلعت عليه تقديسا وادعت معرفة اسراره ..

## السبعــة رجـال :

واما تحديد مزار أولئك الصالحين وحصرها في سبعة رجال دون سواهم .. فان الامر لا يخرج عما ذكرناه من وجود خاصية خفية في ذلك العدد الرباني المجمع على تفضيله في نفسه وتفضيل ما يطلق عليه او تكبيره ولفت النظر اليه بوجه من الوجوه ، ويرى البعض ان المقصود بالسبع هنا اشارة الى تكثير مقامات الرجال السبعة ، وتفخيمها في النفوس والاقبال على زيارتهم دون الاقتصار عليهم .. ويعجبني هنا ما علل به العباس بن ابراهيم مؤرخ مراكش هذا المعنى في كتابه : « اظهار الكمال » من ان اهل مراكش يطلقون على جميع اولياء مراكش سبعة رجال من باب اطلاق البعض وارادة الكل ، وفي نفس الوقت يطلقونها على خصوص السبعة .

واصل هذا الاطلاق عندنا في المغرب جاء من أولئك الرجال الركراكيين السبعة القدماء الذين قيل في حقهم قديما انهم وصلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وكلموه بالبربرية واجابهم بمثلها .. فصار ذكرهم يتردد على الالسنة الى ان اعتقدتهم العامة وتعلقوا بمقامهم الكائن قرب رباط شاكر او في الشياظمة جنوبي مراكش .. وقد تعرض لهم شراح الشفا بما يفيد الشك في صحة قصتهم وكان البعض كالمرغيثي يصفهم بأنهم من الصحابة .. ولما عزم

المولى اسماعيل على البناء عليهم كما بنى على كبار الصالحين استفتى العلماء في شانهم فافتوه ، ومنهم سيدي عبد القادر الفاسي بان ليس لصحبتهم اصل صحيح وان الصحابي الوحيد المدفون في اقطار المغرب العربي هو ابو زمعة البلوي المدفون بالقيروان وان الركراكيين القدماء ليسوا الا اناسا صلحاء لا تعرف باليقين اعيانهم .

وبهذا يعلم ان المولى اسماعيل لم يستفت العلماء الا في خصوص الركراكيين المزعومين وانه لا علاقة بين هؤلاء والسبعة المراكشيين الحقيقيين المعروفين في التاريخ باعيانهم وصفاتهم ومنهم عياض الذين نحن بصددهم ، كما يتبين ان فكرة السبعة ظهرت بالمغرب في وقت مبكر غير محدد اشار اليها التادلي وهو من اهل القرن السابع ، كما اشار المقريزي الى ظهورها بالمشرق ايام الايوبيين وغير ذلك مما يدل على ذيوعها ..

واما تمييز سبعة الرجال المراكشيين بزيارة خاصة فان ذلك لم يظهر الا ابتداء من القرن العاشر الهجري يوم كان الشيخ الغزواني وهو منهم يجول المغرب ويدعو لاقامة المواسم الدينية وتاسيس الزوايا واحياء ذكريات الاولياء والصالحين ، فهو الذي احدث بالشمال موسم المولى عبد السلام بن مشيش وحض على زيارته وزيارة الاولياء الكائنين حوله بجبل العلم المعروفين ايضا بسبعة رجال .

ومن ذلك الحين اخذت فكرة الاحتفال بذكريات الصالحين والاكثار من زيارتهم تشيع في ارجاء المغرب حواضره وبواديه بما فيهم سبعة رجال بمراكش الذين بلغوا من الشهرة ما جعل جهات ومدنا اخرى ترغب ان يكون لكل منها سبعة رجال آخرون ينالون من التكريم والحفاوة مثل اخوانهم المراكشيين .. كما بفاس وتطوان وغيرهما حيث مزارات سبع .

ويقول الافراني : واما سبب تخصيص السبعة رجال بالزيارة في مراكش فهو وقعة جبل الحديد المعروفة الواقعة في حدود الخمسين والالف .. فمن ذلك اليوم اقبل السلطان على زيارتهم ولم يكن ذلك عند السعديين ولا قبلهم .. يعني ان زيارتهم اصبحت على كيفية خاصة وترتيب معين .. واما زيارة السلاطين للاولياء والتماس بركتهم فذلك امر منقول عن معظم السلاطين من قبل .. فلقد كان الموحدون يزورون تربة امامهم ويلوذون بها .. والمرينيون يزورون قبور اسلافهم بسلا وبغيرها .. والسعديون كانوا يشدون الرحيل لزيارة الاولياء الاحياء منهم والاموات .. وكذلك كان الحكام والعلماء .. فهذا ابن الخطيب كان يقصد أولياء سلاومراكش يتوسل بهم ويستشفع .. وكذلك حال اليوسي الذي كان يتقصى الصلحاء اينما حل وارتحل ..

واليوسي كان من الذين سنوا الطريقة المتبعة الى اليوم في زيارة سبعة رجال حين اقام بمراكش عند نهاية القرن الحادي عشر .. وهو صاحب الابيات المتضمنة الترتيب المتبع لزيارتهم هكذا :

— سيدي يوسف بن علي المدفون قرب مقبرة باب اغمات والمتوفى 593 هـ .

— ثم القاضي عياض المدفون قرب باب ايلان والمتوفى 544 هـ .

— ثم ابو العباس السبتي المدفون داخل باب تاغزوت والمتوفى 601 هـ .

— ثم سيدي ابن سليمان الجزولي المدفون برياض العروس والمتوفى 870 هـ .

— ثم سيدي عبد العزيز التباع المدفون قرب جامع ابن يوسف والمتوفى 914 هـ .

— ثم مولاي عبد الله الغزواني المدفون بحومة القصور والمتوفى 935 هـ .

— الامام السهيلي المدفون خارج باب الرب والمتوفى 583 هـ .

وواضح ان هذا الترتيب لم يراع فيه ترتيب زماني ولا اعتبار شخصي .. اذ لو كان باعتبار اقدمهم وفاة لكان عياض في المقدمة وهو كذلك ياتي في مقدمتهم لان ابا الفضل لا يجارى في مقام الفضل ... اذن ما هو الدافع لترتيبهم على النحو المذكور .. فلقد تتبعت ما قالوا في تفسير ذلك الترتيب ولم أجد فيه شيئا معقولا .. الا ما اشار اليه العباس بن ابراهيم من اعتبار حال الزائر لا المزور بحيث ان الزائر يسير في خط شبه

مستدير لا يضطر معه الى الرجوع القهقري .. وهذا معقول جدا .. غير اننا لا ينبغي ان نغفل عن موقع دار المخزن بالمدينة التي هي منطلق السلاطين ورجال الدولة عند ما يتوجه موكبهم شرقا للزيارة فيجدون اقرب اليهم سيدي يوسف بن علي .. واذا عادوا وجدوا في آخر المطاف الامام السهيلي القريب جدا من دار المخزن غربا .

وهذا الترتيب هو ما عناه أبو الحسن اليوسي في قطعته المشهورة بالعينية :

بمراكش لاحت نجوم طوالع
جبال رواسي بل سيوف قواطع

فمنهم أبو يعقوب ذو الغار يوسف
اليه تشير بالاكف الاصابع

ونجل ابي عمران عياض الذي
الى علمه في الكون تصغى المسامع

وبحر أبي العباس ليس يخوضه
سواه كريم لا يزال يمانع

ونجل سليمان الجزولي ففضله
شهير ومن يدعو اليه يسارع

وتباعهم بحر الكرامة والهدى
وسيدنا الغزواني نوره ساطع

أبا القاسم السهيلي دابا اضف لهم
امام التقى والعلم بحره واسع

فزرهم على الترتيب في كل حاجة
يسهلها المولى وعنك يدافع

ولليوسي اشعار اخرى كثيرة يشيد فيها بصلحاء مراكش وسائر الصلحاء المبثوثين في ارجاء المغرب ، كان يتتبعهم في رحلاته ويخصهم بالدعاء والثناء الجزيل .

هذا ويمكان قريب من ضريح ابى العباس السبتي سبعة قبور صغيرة مصطفة بعضها الى بعض .. ويوجد بحومة الموقف اضرحة مثلها .. يطلق عليها العامة « سبعة رجال صغار » وهم ليسوا في الحقيقة الا رموزا للسبعة الكبار على سبيل التذكير والتقريب .. ولا صحة لما يقال من انهم كانوا اشخاصا معينين في وقت ما .. على ما حققه غير واحد .. اذ لا يعقل عادة ان يتفق وجودهم على حال واحد وفي وقت واحد ..

**خاصيات السبعة :**

ان العقل ليحار في الاهتداء الى خاصية كل واحد من أولئك السبعة التي احلته ذلك المحل السامي واهلته ان يكون قبره مزارة من المزارات العامة المجمع على تقديسها وتعظيمها .. ويمكن أن نستخلص من دراسة تراجم ما يختص به كل واحد منهم ويضعه في المكانة الخاصة به .

— فأولهم سيدي يوسف بن علي المتوفى عام 593 نقرا في ترجمته انه من اصل صنهاجي وانه من سكان مراكش ، يقيم في حارة المجذومين لكونه مصابا بهذا الداء الوبيل .. فكان ايوبيا صبورا يقابل هذا الابتلاء بتعلق شديد بالله والفناء في ذكره وعبادته الى أن صار في مرتبة أيوب عليه السلام حتى ان جسده كان يتساقط وهو يبتهج ويتوجه بعبارات الشكر الى الله تعالى .. فرزقه الله محبة في القلوب وكتب اسمه في الخالدين المنعمين .. وهو يكنى صاحب الغار اذ بجانبه غار كان يتعبد فيه .

— ويليه في مقام الابتلاء والصبر الجميل الامام عبد الرحمن السهيلي المتوفى عام 583 هـ وهو اندلسي من مالقة وفد على مراكش في حالة اضطرار ضاقت به سبل العيش في بلده والتجأ الى كنف أحد الامراء فاجله واكرمه نظرا لجلالة قدره وعلو شأنه في العلوم والعرفان رغم انه كان ضريرا يحتاج الى من ياخذ بيده ويقوم بعوزه ويساعده على تحرير مؤلفاته الجليلة التي منها الروض الانف .. في شرح سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام لابن هشام وقد اشتهر بهذا الكتاب اكثر من غيره فصار يوصف بصاحب الروض الانف عند عامة العلماء وينعت عند العامة والخاصة بولي الله الصابر على بلواه المفوض امره لمولاه وهو صاحب التوسل المشهور الذي ينشد في مجالس الذكر في كل مكان :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع
انت المعد لكل ما يتوقع

— ويليه في ذلك المقام الرفيع أبو العباس احمد بن جعفر الخزرجي السبتي المتوفى عام 601هـ ولد بسبتة من عائلة ثريه ذات جاه عريض فتربى في احضان النعيم والعيش الرغيد .. ولما ادرك رشده وعرف الحقيقة ورأى برهان ربه ابى الا ان يخرج عن حالة المترفين الى حالة الفقراء والمساكين .. فنذر نفسه لخدمة الضعفاء وذوي الحاجات .. ومـا زال يتدرج في هذا المقام الى ان أدرك درجة عاليـة في مقام الاحسان والصدقات .. وسن طريقه لجمـع الاموال وتوزيعها على المحتاجين ، قيل انه لم يسبق اليها .. بناها على ان للفقراء في مال الاغنياء حقـا سوى الزكاة كما في الحديث الشريف .. وان قواعد الاسلام الخمس كلها ترمي الى تطهيـر النفـس من ادران المادة وتزكيتها في عالم الارواح بالصدقات.. وقد اختار مراكش لتطبيق نظرياته وتنفيذ تعاليمـه فكان يطوف باسواقها ومجامعها يشرح مذهبـه في الاحسان ويدعو الى تطبيقه في اوسع نطاق .. واذا جمع مالا فرقه في الحين بعين المكان ، وامام سمع الناس وبصرهم حتى لا يتهم بأنه يبقى لنفسه شيئـا منه .. او يامر الناس المتبرعين بأن يوزعـوا هـم انفسهم ما يجودون به حتى يجدوا لذة الاحسان في نفوسهم ويذوقوا طعم الانعام على الغير .. وما زال الناس الى اليوم في مختلف جهات المغرب يجودون بالصدقة الصباحية المسماة بالعباسية .. يفتتحون بها اعمالهم اليومية .. ويحكى ان الفيلسوف ابـن رشد أراد ان يستوثق من مذهب ابي العبـاس في الاحسـان .. ولما وصف له قال : ان مذهب هـذا الرجل يقوم على ان الوجود ينفعل بالجود .. وانه في هذا يتفق مع بعض فلاسفة اليونـان .. وهنـاك دراسات وابحاث ما زالت تكتب وتنشر حول مذهب ابي العباس المبنى على مقتضيـات دينيـة واسس اجتماعية جديرة بالاتباع والاحيـاء والاقتـداء .. ولا سيما ان مذهبه ظل ساري المفعول بعد مماتـه وعبر القرون والاجيال .. فهذا ضريحه ما زال ملاذ الضعفاء وخاصة المكفوفين حيث يجدون المـأوى والمطعم والملجا والميتم .. بفضل الصدقات التـي تنهال على صندوق الضريح .. ويقـال ان بعـض القضاة احصى المدخول اليومي للصندوق فوجـده يقارب الف دينار ذهبا في الايام العادية .. وهذا من اعظم القربات الى الله في صحيفة ذلك الولي العظيم بوانه ذلك المقام السامي بين اخوانه السبعة ..

ويحضرني هنا ما كتبه ابن الخطيـب لسان الدين حين زار هذا الضريح : روضة هذا الولـي ديوان الله تعالى في المغرب الاقصى لا يحصى دخله ولا تحصر جبايته ، فالخير يفيض وذوو الحاجـات كالطير تغدو خماصا وتروح بطانا ..

— واما الجزولي محمد بن سليمان المنحدر من جزولة الحسني النسب المتوفى عام 870 هـ فانه كان من العلماء العاملين والائمة المهتدين .. اقبل على العلم في عنفوان شبابه ، له بيت في مدرسة الصفارين بفاس كان يخلو فيه بنفسه ولا يأذن لاحد بالدخول ، وفيه الف كتابه « دلائل الخيرات » مستمدا مواده من خزانة القرويين العامرة .. وببركة هذا الكتاب نال الجزولي المكانة العليا التي اهلته ان يحتل المقـام الاسمى بين علماء وقته وصلحاء عصـره .. فلقـد اشتهر دلائل الخيرات واقبلت عليه الجماهيـر في مشارق الارض ومغاربها يواظبـون على قراءتـه ويتخذونه وردا يتلى آناء الليل واطراف النهار ، وله اتباع ومريدون في كل مكان وطريقة صوفية خاصـة يدعو اليها وينشرها ، وتعرف بالطريقة الجزوليـة اخذها من الشاذلية المبنية على اتباع السنة النبوية والعكوف على التعبد بالصلاة على النبـي صلى الله عليه وسلم .. اقام الجزولي بفـاس ثم بأزمـور ثم بآسفي ثم بناحية الصويرة الى ان وافاه الاجـل في المكان المعروف بأفوغال من بلاد حاحـة ، فبقـى مدفونا هناك الى ان نقله الى مـراكش السلطـان السعدي أحمد الاعرج .. في قصة يطول ذكرها ولا يتعلق الغرض بها هنا .. يكفي ان نقول ان الجزولي خلق مدرسة صوفية نموذجية لمشايخ وقته ومثـالا احتذاه كثير من اتباعه ومريديه .. كما خلف نموذجا حيا وصيغا رائعة للصلاة على النبي صلى الله عليـه وسلم احرزت القبول والاقبال من عامة المسلميـن وكتبت لصاحبها الذكر الحميد الدائم ..

— وهذا تلميذه التباع أبو فارس عبد العزيز ابن عبد الحق المراكشي المعروف بالحرار نسبة الى جرفته في بداية امره المتوفى عام 914 هـ يؤثر عنه انه صحب الشيخ الجزولي الآنف الذكر وخلفه بعـد موته .. فادرك بسبب ذلك درجة عالية في التصوف وانتشرت عنه الطريقة الجزولية الشاذلية التي لهـا ذيوع وفروع في ارجاء المعمور .. وخير كتاب تقـرأ فيه سيرة التباع وشيخه الجزولي هو كتاب « ممتع

الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الاتباع » للشيخ محمد المهدي بن يوسف الفاسي المتوفى في 1109 هـ .

— وبعد هذين ياتي مولاي عبد الله بن محمد ابن عجال ( بضم ففتح ) الغزواني نسبة الى غزوان من قبائل عرب الغرب المتوفى عام 935 ، ومن الناس من يجعله علويا .. كان اول امره يتعلم العلم ويقيم بمدرسة الوادي بعدوة الاندلس بفاس ، قيل انه قصد بعض العارفين لملازمته فدله على الشيخ التباع بمراكش فوفد عليه ولازمه ملازمة المريد المطيع ، فكان يامره بالخدمة الشاقة فيمتثل ويحمل الحطب الى الزاوية ويرعى الدواب ويخدم البستان .. الى ان قال له يوما : اذهب فقد كمل حالك ، فتوجه شمالا الى قبيلة بني فزكار بالهبط ، وهناك لقي اقبالا شديدا من جماهير المنطقة ، وفتح الله على يده ابوابا كثيرة للهداية والارشاد الى طريق الخير واخذ عنه الجم الغفير من الخلق فيهم علماء كبار ومشايخ لا يشق لهم غبار .. واسست على يده زوايا عديدة واقيمت مواسم دينية كموسم المولى عبد السلام ابن مشيش الذي اقيم لاول مرة بامره واذنه .. الا ان سلطان الوقت محمد بن الشيخ الوطاسي توجس منه خيفة فامر بسجنه بفاس .. ولما تبين لهم صلاحه اطلقوا سراحه ، فعاد الى مراكش واقام بها على حاله في التربية والدعوة الى عمارة المساجد والزوايا واقامة المواسم الدينية وزيارة الاولياء والصالحين .. وسبقت الاشارة الى انه من الداعين لزيارة اولياء مراكش وان الشيخ الهبطي من جملة تلامذته وكذلك سيدي عبد الله ابن حساين ، وان من عادته مع مريديه ان يامرهم بالحرث والغرس وحفر السواقي وعمارة الاراضي ، وقيل انه مات على فرسه مما يدل على نجدته وشدة شكيمته.. وباختصار فان الغزواني كان مثلا نادرا في التربية وحسن السلوك وحديثا يروي باعتزاز مدى الاجيال .

— واما عياض المقصود بالذات في هذا الحديث المتوفى بمراكش عام 544 هـ اي قبل سائر افراد جماعته فهو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون السبتي اليحصبي نسبة الى يحصب قبيلة حميرية باليمن نزل سلفه حينا بالقيروان وبسطة بالاندلس ثم بفاس واخيرا استقر جده عمرون بسبتة حيث ولد عياض عام 476 من ابيه موسى ..

وكان العلم والتقوى مع اليسر والوجاهة من المآثر المتوارثة بين الابناء والاجداد في عائلة عياض ، لذلك نشأ محبا للمكارم شغوفا بالعلم متطلعا الى الشفوف والتفوق في ميادين المعرفة الواسعة ، ضاربا فيها بالسهم الوافر وبالغا فيها اقصى الغايات وحائزا قصب السبق والفوز بين اشياخ وقته في العلوم الاسلامية واللغوية والادبية حيث كتب فيها ما لم يكتبه سواه وخلد فيها من التاليف ما ابقى ذكراه تتردد على سائر الافواه وتضمن له الخلود في اولاه واخراه .. فكتبه الثلاثة : مشارق الانوار ، والمدارك ، والشفا .. اجمع الناس شرقا وغربا على انها مثل الشموس والاقمار طلعت في هذه السماء المغربية واضاءت سائر الاقطار :

مشارق انوار تبدت بسبتة
ومن عجب كون المشارق من المغرب

قولة من ابن الصلاح فيها تمجيد واستغراب.. ولكن فيها ايضا اعتراف واعجاب .. اعتراف بأن لهذا الجناح المغربي رجالا يرفعون قدره ويخلدون ذكره ، ويسمون به الى سموات العلا في المشارق والمغارب .. واعجاب بالعلم الفذ المغربي عياض اليحصبي العربي الذي هو من حسنات الدهر ، لا على هذا القطر وحده لان عطاءه ورفده عم ما وراءه وما بعده .. ولا معنى للاستغراب الساخر .. فالاول كما قيل كم ترك للآخر ، والمغرب كم ترك من مفاخر للشرق ومآثر .. فلقد كان عياض كالنحلة بالحاء او كالنخلة بالخاء ، امتص الرحيق من زهرات الشرق فتمثلت في حشاشته علوما مصفاة اخرجها للناس **اطيابا مشتهاة واطباقا منتقاة** .. وهو كالنخلة اصلها ثابت في الشرق وفروعها باسقة في الغرب تعطي التمر من دون نوى للقاصي والداني على ما بينهما من بعد ونوى .. ولكل امرىء ما نوى ..

هذا عياض يفضل البعد والنوى ويترك وطنه سبتة على السغب والطوى وبيته وما احتوى وما عليه انطوى من دفاتر ومحاضر واقلام ومحابر .. الى مراكش الحمراء التي غارت من سبتة واغارت عليها وانتزعت منها عالمها الفرد الوارث بالتعصيب والفرض ، والشيخ لا يبدي حراكا ولا يقوى دراكا فاسلس الانقياد وطاوع الامر المراد .. ولما حل بمراكش الحمراء وجد الموت الاحمر في انتظاره ،

والاقدار الموحدية تتهيا لدفنه واقباره ، فلم تمض الا ايام قليلة حتى حاول النسيان أن يسحب عليه ذيوله .. ولكن العناية الربانية ادركته بهمة مرينية فانتشلت قبره من وهدة النسيان ونفضت عنه غبار الاهمال والهوان .. وبعثت منه بشرا سويا وروحا علويا فاذا به ملء العينين ، وشمس المشرقين تعشو اليه الوجوه وتحف به ملائكة الرحمن بالتهليل والترحاب فرحا بمبعثه وقيامه من جدثه وعودته من عالم الارواح الى عالم الاشباح ... واهل مراكش يرقصون حوله طربا وينثرون الازهار وينشدون الاشعار ويوسعون له في المقام ويحيطونه بانواع التجلة والاكرام معتذرين له عما سلف وعما لحقه في ديارهم من التلف معترفين بالتقصير في حقه سلفا وعازمين أن يعوضوه عن ذلك خلفا .. واولياء الله اقاموا له سرادبق التجلة واحلوه بينهم في مقام الاجلة .. واهل الله من كل مكان يشدون اليه الرحيل ، زائرين ومكبرين في الغدو والاصيل والسلاطين واولو الامر يعلون قبابه وينشرون كتبه وآدابه ، وهم بين يديه كالخدم والحشم .. وهم قد جعلوا مقامه بمثابة الحرم تقدس تربته ولا تنهك حرمته .. من استجار به اجير ، ومن لاذ به أمين ..

ان الله تعالى عوض أبا الفضل ، بفضل اعماله تراثه العلمي واحاطه بهالة من التقديس والاجلال عند الصالحة ما فقده وما رزيء فيه ، فرفع ذكره واحيا عامة الناس وخاصتهم ، وكان قبره محجة الزائرين ، وكتبه ومؤلفاته ولا سيما الشفا مادة علمية غزيرة وسندا لا يستغني عنه طالب ولا كاتب ولا عالم وعابد في جميع البقاع والاصقاع .. حتى قال بعض المشارقة : لولا عياض ما ذكر المغرب ، وقال آخر : لولا الشفا ما ذكر عياض .. وهذا قول صحيح لا شطط فيه ولا مبالغة .. اذ ان كتب عياض ولا سيما الشفا رفعت قدر هذا الجناح عند العالم الاسلامي واحلته مكان الصدارة في غير ما موطن .. فأينما توجهت في بلاد الله تجد اسم عياض يلهج به وتجد كتاب الشفا يتهجد به ويتعبد ، يتلى في الموالد والمساجد ويستسقى به ويستشفى ..

اضيف الى ذلك ما اثر عن القاضي عياض من الاقبال على الله والتعلق باذيال رسول الله في سره وعلنه في ليله ونهاره ، وما وصفه به ولده محمد في كتابه ( التعريف ) من سيرة حميدة ، وانه كان صلبا في الحق كثير التواضع يقبل على المساكين والفقراء يسالهم عن احوالهم ويكثر الصدقة عليهم ويؤثرهم بما يجد ، وانه انفق في ذلك أكثر موروثه عن ابيه وباع فيه رباعه وأملاكه وملات مدينا بما قدره 500 دينار ، وانه كان متين الدين كثير الصوم قوام الليل تاليا لكتاب الله في الهزيع الاخير من الليل لم يتركه في اي حالة ملتزما لحدود الشريعة سنيا في عقيدته شديد التمسك بها الى حد التعصب ، وانه اتخذ لنفسه ربطا كان يتهجد فيه ويتعبد شأن الاتقياء الصالحين ، وانه عندما أخرج من بلده قال لمودعيه : جعلني الله فداءكم ..

فهذه المآثر العالية هي التي رفعت ذكر عياض وجعلت له مقاما محمودا بين الاولياء والاتقياء .. وقد صدق من قال : اذا لم يكن العالم المستقيم وليا فليس على وجه الارض ولي ولا صالح .. انما يخشى الله من عباده العلماء .. « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » . صدق الله العظيم .

لهذا عاب العلماء صنيع الشيخ التادلسي ابن الزيات حين لم يدرج في كتابه ( التشوف الى رجال التصوف ) القاضي عياض ولا الامام السهيلي ضمن الصالحين المائتين ونيف الذين تناولهم في كتابه قائلين في حق عياض انه احق بوصف الصلاح والولاية لما له من صفات ومزايا علمية ودينية ولما اتصف به من حميد السيرة وكريم الاخلاق ولما اجمع عليه المسلمون من تعظيمه وتقديمه ولما خلفه من كتب نافعة وبالاخص كتاب الشفا الذي اطبق اهل الله جميعا على انه لم يؤلف في الاسلام مثله في حق جانب النبي الاكرم صلى الله عليه وسلم .

واذا قيل ان في كتاب الشفا عبارات لا تليق بالجانب النبوي كالتي عابها السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله ووافقه عليها بعض العلماء، فان علماء آخرين اجابوا عنها بأن حاكي الفاظ الكفر ليس بكافر وان القرءان حكى عن الكفار اكثر ما قالوا من الكفريات .. واذا قيل كذلك بأن تولية عياض للقضاء زمنا طويلا مما يخدش في كرامته .. أجيب بأن تولية القضاء في ذلك العهد لم يكن من الوظائف الاميرية

وانما هو من جملة المهمات الشرعية المناطة برجال الدين كالامامة والخطابة والمشيخة والفتوى ولم يكن القضاء يسند الا لمن ثبتت عدالته ونزاهته واستقامته واتفق الناس على فضله ..

ورحم الله الشيخ اليوسي القائل في حق عياض لما زاره ووقف على قبره : ان المغرب كله حرم لابي الفضل لا تحده تربة .. يعني ان فضله وسع المغرب كله .. بل والشرق كله ..

هذا ما عن لي تقييده في حق هؤلاء السبعة الرجال الكرام ، عياض ورفقائه المنعمين عند الله في العليين .. اوجزت القول فيهم اعتبارا لضيق المقام واقتصارا على الاهم المناسب للظرف المتاح .. غير مدخل في حسابي ما اعتاد المترجمون من الاكثار في الاوصاف والمبالغة في النعوت والامعان في تتبع كل ما قيل وما يروى من الكرامات وخوارق العادات التي تجري على يد ولي حقيقة او تنسب اليه زعما .. لكون الولاية والكرامة لا يتلازمان .. اذ ان الولاية تكون لشخص دون ثبوت كرامة ، وتكون الكرامة لشخص آخر ولا ولاية له .. ولكون الاستقامة وحدها كافية عند المحققين من أهل السنة لوصف الشخص بالولاية .. « الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » ..

اجتهدت ان ابرز كل واحد على انفراد من أولئك السبعة وخاصة عياض .. بالحلة الخاصة به والوصف المميز الغالب عليه الذي جعله ينتظم في سلك الجماعة ويشركهم في وصف الصلاح العام الذي هو في الحقيقة القاسم المشترك الجامع بينهم والذي يجعلهم مثل مشموم الزهر تنفرد فيه كل زهرة بعطرها الخاص ولكنها مع اخواتها تزداد بهاء ورواء .

أولئك كالمشموم ، كل له شذا
ويزداد حسنا والبهاء اذا ضما

# كتاب الشفا في الصحراء المغربية

للأستاذ محمد الكبير العلوي

يعرف عن علماء الصحراء وشيوخها وائمة الهدي المحمدي فيها تعلق متين بكتاب الشفا ، فقد دابوا على تدريسه وقراءته وختمه في المواسم الدينية ، وحرصوا على اخذ الاجازة به ، واتصال السند بمؤلفه ، وخصصوا له مجالس عامرة تعرف بمجالس الشفا ، واتخذوه مصدرا ومرجعا يعودون اليه في مؤلفاتهم وبحوثهم .

ويرجع هذا التعلق الى الاسباب التالية :

1 ) اعجابهم بمؤلفه الذي كرس حياته لخدمة الحديث النبوي ، وللدفاع عن المذهب المالكي والصدع بترجيحه على سائر المذاهب .

2 ) وصول بعض تلاميذ القاضي عياض الى الصحراء مثل الشريف عبد المومن ومثل الحاج عثمان الذين قامت على ايديهما حركة علمية واسعة .

وقد وصل هذان العالمان في فترة كان المذهب المالكي فيها يعاني اضطهادا ، ويواجه تحديا خطيرا من طرف الدولة الموحدية ، وكان حملة هذا المذهب وعلى راسهم القاضي عياض يعيشون ظروفا قاسية ، ويتعرضون لامتحان عسير .

ولا شك أن النضال الذي خاضه القاضي عياض والمجهود الموفق الذي صرفه لخدمة المذهب ، ووصول عالمين جليلين من تلاميذه يتقدمان مسيرة المذهب المالكي في الصحراء ، ويرفعان علمها ويتحملان مسؤولية الدعوة فيها ، كل ذلك قد جعل منه عند زوايا الصحراء وعلمائها الزعيم الروحي الذي يجب التعلق به ، والتلقي لكل ما يصدر عنه بقبول واقبال .

3 ) حاجتهم الى كتاب مثل الشفا ، يشفي غلتهم ويروي ظمأهم بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي فطروا على حبه ، وغذوا بالشوق اليه ، وبعدت دارهم وشط مزارهم ، فهم في أقصى المغرب لا يصل الى البلاد المقدسة منهم الا الركب الذي يتجه للحج والزيارة ، فلا يصل الى غاية قصده الا بعد سنة كاملة كلها معاناة وجزع وشوق وامل .

وقد وجدوا في هذا الكتاب من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وباهر آياته وخصائصه وما يتصل بمعجزاته الخالدة ، وسيرته المطرة الى غير ذلك من فضائل محبته ، وحكم الصلاة عليه ، ووجوب تعظيمه ما جعلهم يقبلون عليه بلهف ، ويتدارسونه بشغف .

يضاف الى ذلك الطابع المالكي الذي يطبعه في المسائل الفقهية التي يتعرض لها ، والطابع الاشعري الذي يتجلى بالخصوص في ذكر اقطاب الاشاعرة والاحتجاج بآرائهم واقوالهم ، وفي تأويل آيات الصفات واحاديثها ، وصرفها عن ظاهرها .

4 ) ما تناقله الرواة وتحدث بـه السلـف والخلف من البشائر المتعلقة بقراءة كتـاب الشفا وسماعه ، حتى قيل ان من قراه أو سمعه امن مـن العمى ، وحتى قيل بضرورة وجوده في كل خزانـة الى غير ذلك مما اشار اليه الزموري صاحب الشرح المعـروف .

واذا عرفنا أن الزموري هذا قـد وصـل الى ولاته في اواخر القرن التاسع الهجري ، واقرأ العلماء كما يقول سيدي أحمد بابا التمبكتي ، واجاز المختار النحوي كما يقول صاحب فتح الشكور ، لم يبعـد عندنا أن يكون له دور خاص في فشو هذا الكتـاب وانتشاره وتعلق الناس به هنالك .

## روايـات الشفـا في الصحـراء

وقبل ان اقدم للقارىء الكريم بعض روايـات الشفا في الصحراء ، اشير الى ان هنالـك حلقـة مفقودة من تاريـخ الفكر فيهـا .

وتقع هذه الفتـرة ما بين القـرن السادس الهجري الذي دخل فيه تلاميذ القاضـي عياض الى القرن التاسع الهجري الذي دخل فيه الزموري الى ولاتــه .

ولا تكاد نعرف عن هذه الفترة الا مـا يرد في كتب التراجم والكناشات من تراجم مختصرة لبعض العلماء ، والا ما يشير اليه المؤرخون من انها كانـت فترة ازدهار علمي حتى كان الغلام في بعض القبائل يحفظ المدونة قبل بلوغه ، وحتى كانت في بعـض القبائل ثلاثمائة فتاة تحفظ الموطأ فضلا عن غيره من الكتـب .

وقد ذكر سيدي أحمد بابا التمبكتي في نيـل الابتهاج زيارة الزموري الى ولاته ، فقال : ولقي هناك فقهاءها فاثنى عليهم في العلم .

ولا نعرف من الآخذين عن الزموري فيها غيـر المختار النحوي المتوفى سنة 922 هـ .

ويعتبر القرن العاشر الهجري بداية تدويـن اجازات الشفا في الصحراء حيث انتشرت رواياتـه التاليـة :

1 ) رواية سيدي أحمد المسك والد سيدي احمد بابا عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان الحطاب . عن شيخه الخطيب . عن ابي العباس احمد بن محمد . عن المسندة زينب بنت الكمال المقدسية ، عن ابي الحسن علي بن هبة الله اللخمي المعروف بابن بنت الحميري . عن أبي الطاهر السلفي . عن القاضـي عياض رحمه الله تعالى .

وممن اشاع هذا السند من بعد الحاج أحمـد المسك ، شيخ الشيوخ العلامـة سيدي محمد بن الاعمش العلوي (1) ، الذي اخذ الاجـازة بكتـاب الشفا . عن العلامة سيدي عبد الله بن الفقيـه . عن شيخه الفقيه العلامة احمد ابد القاسم الوداني . عن شيخه الفقيه احمد بن محمد القزاز . عن الفقيه الحاج احمد المسك الى بقية رجال السند المتقدم .

2 ) رواية محمد بن ابي بكر الدلائي . عـن والد الامام محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي الغرناطي الشهير بالقصار . عن الفزي . عن شيـخ الاسلام زكرياء الانصاري . عن ابن الفرات . عـن الدلاصي . عن ابن تامتيت . عن ابن الصائغ . عـن القاضي عياض رحمه الله تعالى .

وقد تلقى هذا السـند ايضا شيخ الشيـوخ بن الاعمش العلوي عن العلامة عبد الله بن محمد ابـن احمد بن عيسى . عن الدلائي الى بقية السند .

وهكذا انتشرت هاتان الروايتان على يد العلامة ابن الاعمش العلوي حيث اخذ عنه جمهور غفير مـن العلماء والمحدثين ، فكان منهم :

1 ) عثمان بن عمر الولي الذي اجازه ابـن الاعمش بكتاب الشفا ، وبسنده المتصل بأحمـد المسك .

2 ) محمد بن الحاج عثمان بن الطالب صديق الجمانـي المتوفـى سنـة 1117 هـ ، والـذي اجازه ابن الاعمش ايضا بكتاب الشفا بحق اجازته عن العلامة عبد الله بن محمد بن أحمد بن عيسى عـن الامام الدلائي الى بقية السند المتصل بابن الصائغ عن القاضـي عيـاض .

---

(1) توفي في اوائل القرن الثاني عشر الهجـري .

3 ) خليفة بن الحاج احمد العلوي الـذي اجازه ابن الاعمش بالسندين المتقدمين وعن خليفة ابن الحاج العلوي ، اخذ ابنه العلامة المحدث الحاج احمد (2) ، الذي انتشرت على يده أسانيد كتاب الشفا ورواياته ، فكان من بين الآخذين عنه :

1 – شيخ الاسلام حرمة بن عبد الجليل العلوي

2 – سيدي مالك بن الحاج المختار الغلاوي

3 – سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي

4 – سيدي المختار بن الطالب الغلاوي

5 – عمر بن الامام العلوي .

وجمهور من العلماء لا يتسع المجال لسرد اسمائهم .

ويكفي هذه السلسلة ان يتصل بها علامة شنقيط واستاذها سيدي عبد الله بن الطالب احمد ابن الحاج حمى الله الغلاوي ، الذي أجيز بكتاب الشفا من شيخه سيدي مالك عن سيدي أحمد بن خليفة عن والده الحاج خليفة ، عن شيخ الشيوخ ابن الاعمش العلوي المتقدم الذكر .

3 ) رواية محمد بن محمد بغيغ :

عن والده محمد بغيغ ، عن محمد كورد ، عن القاضي محمد بن احمد بن الفقيه عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج ، عن يحيى بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب ، عن بركات بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب ، عن والده محمد بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب ، عن والده محمد بن عبد الرحمان الحطاب ، عن محمد بن ناصر الدين المراغي ، عن والده ناصر الدين المراغي ، عن والده ابي بكر ابن الحسين المراغي ، عن ابي الفضل جعفر بن علي الهمداني ، عن ابي طاهر السلفي ، عن مؤلفه ابي الفضل عياض رحمه الله تعالى .

وقد انتشرت هذه الرواية ايضا على يد الشيخ سيدي احمد بن الشيخ السوقي الذي اخذه عن شيخه محمد بن محمد بغيغ، الى آخر السند المتقدم.

وقد اخذ عن الشيخ سيدي احمد السوقي جمهور من العلماء منهم :

1 – سيدي احمد بن محمد بن موسى الزيدي الذي اجاز بدوره الامام عمر (3) الولاتي الاحمدي بكتاب الشفا وبنفس السند .

2 – القاضي سيدي الوافي الارواني الذي اجاز بدوره الطالب احمد بن البشير الكلسومي (4) بكتاب الشفا وبنفس السند .

هذه بعض أسانيد الشفا المنتشرة في الصحراء، واشير الى ان سيدي احمد المسك قد أجاز بالسند المتقدم ابنه سيدي احمد بابا ، وأجاز تلميذيه احمد بغيغ ومحمد بغيغ بنفس السند .

وقد انتشرت روايات الشفا على يد أسرة آل عمر اقيت انتشارا واسعا ، ولهم فيه اجازات لا يتسع المجال لسردها وتقصيها .

## مجالس الشفا

وقد زاحم كتاب الشفا كل كتاب يدرس في الصحراء وضايقه ، واخذ قسطا من وقته ، واقتسم معه جمهوره ونافس الاوراد الطرقية ، فاتخذته الزوايا وردا تتعبد به وتلازم قراءته .

ونافس الامداح النبوية المتداولة في الصحراء كالبردة والهمزية ، وابن مهيب ، وغيرها من الامداح النبوية .

ونافس مختصر خليل لان ما اشتمل عليه الشفا من قضايا الردة ، يجعل الفقهاء واصحاب النوازل يعتمدون عليه ويعودون اليه في الفتاوي المتعلقة بالقضايا الواردة فيه .

---

(2) توفي سنة 1182 هـ .
(3) توفي سنة 1201 هـ .
(4) توفي سنة 1118 هـ .

وقد كان لجمهور المحدثين اقبال خاص عليه ، حيث احلوه مكان الصدارة بين كتب السير ، ووضعوه في طليعة كتب الحديث فتارة نجد أصحاب الاجازات يذكرون الاجازة به مباشرة بعد الاجازة بالبخاري ، ويذكرون صحيح مسلم والموطا بعده ، وتارة يذكرونه بعد الصحيحين، وتارة يذكرون الاجازات المتعلقة بالصحيحين والموطا، ويذكرونه بعدها .

هذا في سرد الاجازات ، وفيه دلالة واضحة على الاهتمام البالغ بشأن هذا الكتاب الذي يوضع في بعض الاحيان قبل صحيح مسلم وكتاب الموطا ، وفي بعض الاحيان بعدهما مباشرة .

اما في الدراسة واقبال الجمهور عليه ، فقد احلوه الدرجة الثانية بعد صحيح البخاري حيث نجد هنالك مجلسين ، احدهما للبخاري ، وثانيهما لكتاب الشفا ، وقلما تعثر من خلال بحثنا على مجلس آخر .

ولعل مرد ذلك الى ان القوم اكتفوا باصح كتب الحديث واعظمها شانا ، وهو صحيح البخاري ، ونظروا الى كتاب الشفا ، فوجدوه كتاب دعوة وتوجيه وارشاد ، يجمع بين دفتيه ما تفرق في غيره ، فخصصوا له مجلسا يعرف باسمه .

ويحرص صاحب فتح الشكور كلما ترجم لاحد العلماء الذين كان لهم صيت طائر في العلم والتصوف أن يشير الى انه كان يقرا كتاب الشفا او يحضر مجلسه .

فقد ترجم للعلامة سيدي محمد بن الطالب الامين الحرشي ، المتوفى سنة 1215 هـ ، فذكر المتون الادبية والكلامية والفقهية التي درسها ، ووصفه بالتمسك بالسنة والداب على العبادة والتقوى، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقال :

كان ملازما للمسجد وصلاة الجماعة وحضور مجلس البخاري والشفا ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم .

ويترجم للعلامة محمد بن الفقيه المختار النحوي التمبكتي ، فيقول عنه كان اماما عالما تقيا ورعا متواضعا واثقا بالله تعالى ، شهيرا في علم العربية ، مداحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، تولى سرد كتاب الشفا في رمضان بعد وفاة والده .

ويتضح من هذا ان قراءة الشفا كانت وظيفة لازمة وسنة حميدة معمولا بها عندهم ، فاذا مات القائم بها ، كلف من يقوم بها بعده .

ويترجم للامام محمد عبد الله بن الامام عمر الولاتي المتوفى سنة 1214 هـ ترجمة تتلخص في انه تولى الامامة بعد وفاة والده ، فانقطع للعبادة والقيام بامور المسجد وتدريس الحديث ، وقراءة كتاب الشفا .

ويأبى في هذه الترجمة الموجزة الا ان يشير الى ان عادة اهل ولاته ، ان يختموا تخميس عشرينات ابن مهيب ، في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مرتين في السنة ، زيادة على ختمات المولد النبوي ورمضان ، وان من عادتهم ان يسردوا صحيح البخاري في شهر رجب وشعبان ورمضان في المسجد ، وكتاب الشفا للقاضي عياض في رمضان .

ويترجم للعلامة محمد بن الشواف المسلمي التشيتي ، المتوفى سنة 1175 هـ ، فيقول عنه كان رحمه الله تعالى محدثا يسرد صحيح البخاري في شهر رجب وشعبان في المسجد ، والشفا للقاضي عياض في رمضان الى ان يقول :

وكان مداحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قائما بمدحه كل ليلة اثنين وخميس وجمعة ، وهي عادة اهل تيشيت في المدح .

ويترجم للعالم العلامة الحاج صالح بن عبد الله الاديلبي الولاتي ، المتوفى سنة 1205 هـ ، فيضفي عليه الوان المدح والاطراء ، ويسمه بالعلم والدين والصلاح وحسن الخلق والادب وكمال المروءة وجودة الخط وملازمة المسجد ، ويضيف الى كل ذلك مواظبته على حضور مجلس البخاري ومجلس الشفا .

ويشير في خاتمة هذه الترجمة الى انه قد حج في العام الرابع بعد مائتين والف ، وعاد الى ولاته ، وحج مرة ثانية ، فتوفي بالبلاد المقدسة ، قال وسبب مجاورته انه حضر بعض مجالس الشفا ،

وسمع حكاية عن رجل لم تحرقه النار فيه ، ونص الشفا فيه :

وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمستنير، فأعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل ، فلم تعمل فيه شيئا ، وبقي ابيض البدن، فقال : لعله حج ثلاث مرات ، قالوا نعم ، قال : حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار .

وتعطينا هذه القصة صورة عن اقبال القوم على كتاب الشفا وتأثرهم به ، حتى كان سببا في انتقال عالم مهم من بلاده ومحل عزه وشرفه ، ليجاور قرب البيت الحرام ، وليتأتى له أن يحج ثلاث حجات .

ولا استبعد ان يكون لكتاب الشفا ، ولهذه القصة بالذات ، دور في توجيه الجمهور المسلم في الصحراء الى الاقامة والمجاورة بالبلاد المقدسة . فقد عرف عنهم من الاشتياق الى الحج ومجاورة المدينة المنورة الشيء الكثير .

ويحدثنا التاريخ عن عدة عائلات واسر ذات اهمية بالغة انتقلت من الصحراء الى الحجاز .

وقد اشار الى هذه القضية بعض العلماء ، وحاولوا أن يشرحوا معنى الاستطاعة في الحج ، وان يلفتوا نظر الجمهور الى ان عدم توفر الزاد المبلغ ، وعدم الامن في الطريق وما يترتب على الفقير من ضياع حقوق عياله وديون غرمائه ، وما ينشأ عن اقامته بالبلاد المقدسة دون ان يكون له أي دخل ، كل ذلك يسقط عنه الحج ، بيد أن القلوب التي ملاها الشوق الى بيت الله تعالى واجتاحها اللهف الى روضة النبي صلى الله عليه وسلم ، لم تكن لتلتفت الى نقول وآراء وفتاوي لا يقتنع بها الا من ينظر الى القضية من زاوية فقهية محضة .

اما من تعلق قلبه بحب النبي صلى الله عليه وسلم ، واشتاق الى رؤية بيت الله تعالى ، فلن يكون في مقدوره الا الجد في السير ومواصلة الاصباح والامساء ، كما قال الشاعر الصحراوي :

فعسى تلك وادلاج الليالي
ودؤوب الامساء والاصباح

تبلغني ديار ام ابي (5)
ولحسبي بلوغها من نجاح

ويترجم للعلامة عبد الله بن وناس السباكي الولاتي المتوفى سنة 1178 فيشهد له بالخير ، ويقول : وكان رحمه الله تعالى لا يخرج من المسجد بين صلاتي الظهرين ، ولا بين صلاتي العشائين ، يعمر هذين الوقتين بالذكر دائما ، ولا يفوته مجلس البخاري ولا الشفا .

ويختم ترجمته هذه بانه توفي ضحوة الخميس عند ختم الشفا في تسع وعشرين من رمضان عام 1178 هـ .

ويتضح من هذا ان كتاب الشفا كان يختم يوم التاسع والعشرين من شهر رمضان لانه قد يكون آخر يوم من ايام هذا الشهر المبارك .

ولعل القوم ارادوا أن يضيفوا الى ختم القرآن الكريم في الليلة السابعة والعشرين ، التي قد تكون هي ليلة القدر ، ختم كتاب فيه ما فيه من تكريم النبي صلى الله عليه وسلم ، وتمجيده وتعظيمه في يوم قد تكون ليلته ايضا هي ليلة القدر ، لانها من ليالي الاوتار .

ويترجم للعلامة عمر بن الحاج احمد بن عمر بن محمد اقيت التمبكتي ، المتوفى سنة 1006 هـ ، فيقول عنه :

كان فقيها نحويا مداحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، صباحا ومساء يسرد كتاب الشفا في رمضان .

ويترجم للعلامة عمر بن محمود بن عمر بن محمد اقيت ، الذي اخذ العلم عن والده العلامة محمود ، وتولى القضاء في تمبكتو ورحل الى مراكش ، وتوفى بها في العام الثالث بعد الالف ، ودفن في مجاورة القاضي أبي الفضل عياض .

---

(5) سئل الشاعر ما مراده بأم أبي فأشار الى زيارة المدينة المنورة .

ويبدو لي من ذلك أن العلامة عمر بن محمود قد نشأ في أسرته المعروفة بتولي كرسي الشفا ، وسرده وقراءته ، واخذ الاجازة المتصلة فيه مما جعله يتعلق بعياض ، ويعتقد فيه اعتقادا خاصا ، ويجاور ضريحه ويوصي بان يدفن قرب قبره ، والله تعالى أعلم .

ومن العلماء الذين كانت لهم عناية خاصة بكتاب الشفا شيخ الاسلام حرمة بن عبد الجليل العلوي الذي تقدمت الاشارة الى اجازته عن شيخه أحمد العلوي ، عن والده الحاج خليفة عن شيخه شيخ الشيوخ سيدي محمد بن المختار الاعمش العلوي بسنده المتصل بالقاضي عياض .

وقد ورد في بعض تراجمه انه كان لا يفارق كتاب الشفا في سفر ولا حضر ، وكان يقول :

ان لهذا الكتاب فوائد لا تحصى وبركات لا تستقصى .

وورد في بعض تراجمه ايضا انه كان في آخر عمره وبعدما اعتزل الافتاء والتدريس وانقطع للعبادة لا يفتر عن تلاوة القرءان ، فاذا حل شهر رمضان المبارك والمولد النبوي أضاف الى ذلك قراءة كتاب الشفا حتى يكمل ختمه .

وورد في بعض تراجمه ايضا انه بعد الانقطاع للعبادة والتفرغ لتلاوة القرءان ، كان يدرس كتاب الشفا وعقائد السنوسي ولا يدرس غير ذلك .

قلت ، ولعل من جملة البركات التي اشار اليها شيخ الاسلام الكرامة التي منحه الله اياها ، فكان يقرأ الكتب ولا يدرك من المرئيات سواها .

وهي كرامة مذكورة في ترجمته في نزهة المستمع واللافظ (6) .

وقد ذكرها العلامة بابا بن احمد بيب العلوي في تاريخ وفاته فقال :

وشيخ الاسلام ومصباح الظلام
حرمة في السابع وافاه الحمام

الى ان قال :

عمر حتى صار ليس يبصر
شيئا سوى الكتب فيها ينظر

اغناه نور القلب عن نور البصر
بطالع الكتب ولا يرى البشر

وذكروا في هذا المجال انه كان يكتفي في الليل بضوء قليل لمطالعة الكتب ، وقد أشار الى ذلك ايضا العلامة ابن عبد الجكني فقال :

يا حرمة الله يا نبراس ذي العصر
يا من بصيرته أغنت عن البصر

وقد عرف عن سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي اعتناء زائد واهتمام بالغ بكتاب الشفا ، ولا غرابة في ذلك فانه ممن أخذ فيه الاجازة عن شيخه أحمد العلوي عن والده الحاج خليفة عن شيخه شيخ الشيوخ سيدي محمد بن المختار الاعمش العلوي الى بقية السند المتصل بالقاضي عياض .

وقد درس في مدينة شنقيط فترة من الزمن فكان معجبا بما هم عليه من قراءة الحزب والتزام مجلس البخاري والشفا .

ومما يزيده تمسكا بكتاب الشفا انتماؤه الى اخواله الذين يتصل بهم كثير من أسانيد اجازات الشفا في الصحراء وهم اسرة آل عمر اقيت التي اشتهر منها احمد بابا التمبكتي ووالده احمد المسك وجده الحاج احمد بن عمر اقيت .

وقد كان سيدي عبد الله يدرس لتلاميذه البخاري والموطأ ومسلما والشفا على ما ذكر ابنه في الدر الخالد .

وقد ترجمه صاحب فتح الشكور فأشاد بعلمه وورعه واتباعه للسنة ومحاربة البدعة وفراره بدينه من الفتن ، وذكر جملة من مآثره وخصاله الحميدة ثم قال :

(6) نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ ، كتاب الفه سيدي محمد ابن سيدنا العلوي في مناقب شيخه الشيخ محمد الحافظ وتراجم شيوخه .

من اصابه مرض فليزن نص الشفا للقاضي عياض بالماء ويشربه .

ومن فوائده انه كان يقول :

قال صاحب فتح الشكور : ولقد اخبرني بعض الاخوان ممن أثق به انه فعله لبعض اخوانه مريضا فشفاه الله تعالى .

ويقول الطالب أحمد ابن طوير الجنة في افاداته:

وقال لي شيخنا سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي قدس الله روحه ونور ضريحه أن من المت به نائبة او هول او فزع فقرا كتاب الشفا ، وتوجه الى الله بالدعاء بعد ختمه فرج الله كربه .

ويقول – ابن طوير الجنة – وكان شيخنا قدس الله روحه ونور ضريحه يوصينا بقراءة الشفا عند كل شدة وهول ومخوف ، ويرغبنا في حضور مجالسه وختمه في شهري رمضان المبارك والمولد النبوي الكريم ، وكان عمله على ذلك .

ومن العلماء الذين عنوا بكتاب الشفا الشيخ ماء العينين الذي حمل راية الجهاد وخدم الحديث الشريف والسيرة النبوية والفقه المالكي ، وافشى التصوف السني في الصحراء وفي الاقطار الافريقية التي انتشرت الزوايا الفاضلية فيها .

وكان بودي أن اقدم في هذا البحث أسانيده واجازاته بكتاب الشفا ، الا ان ظروف العمل وضيق المدة التي كان علي ان انجز فيها هذه الدراسة ، كل ذلك منعني من تقصي تراجمه وفهارسه ، فاكتفيت بما شاع بين الاوساط العلمية في الصحراء من اهتمامه بكتاب الشفا وقراءته وختمه اياه في كل من شهري رمضان والمولد النبوي .

وممن اعتمدت عليه في ذلك الاستاذان الفاضلان لارباس بن الشيخ الاغظف وحمداتي بن الشيخ الفضيل ، وكلاهما أدرك والده الداعية الشيخ محمد الاغظف ، بن الشيخ ماء العينين وغيره من ابنائه وحفدته ومريديه ، الذين يعتبرون أهم مصدر فيما يتعلق بحياته وعاداته وما جرى به العمل في الزوايا المنتمية اليه .

ومن أجلاء العلماء الذين عنوا بدراسة هذا الكتاب وخصصوا له مجالس عامرة العلامة المحدث الداعية محيي السنة ومميت البدعة ، ومجدد التصوف سيدي محمد فال بن بابا العلوي ، الذي انتصب للدعوة في اوائل القرن المنصرم ، وضربت اليه أكباد الابل ، وانتفع الناس بعلمه وتوجيهه وارشاده .

وكان من اسلوبه في التربية أن يجمع القلوب على حب النبي صلى الله عليه وسلم ، والتعلق به والتمسك بسنته والاعتبار بسيرته .

وقد خصص لهذه الغاية مجلسا حافلا بعد صلاة العصر ، يدرس فيه كتاب الشفا بسرد ابن أخيه العلامة المحدث سيدي محمد عبد الرحمان بن السالك ، الذي أصبح فيما بعد امام الائمة في الاصول والفروع .

ويعتبر هذا المجلس آخر ما اشتهر من مجالس الشفا في الصحراء .

## تأثر أصحاب المدائح النبوية في الصحراء بكتاب الشفا

وقد عرف عن كثير من رجال العلم والادب في الصحراء ، حب زائد في النبي صلى الله عليه وسلم، مما تشهد به قصائدهم ودواوينهم في مدحه والتشوق الى روضته الشريفة ، ومن ذلك قول مولود اليعقوبي :

لي لهجة بامتداح المصطفى لهجت
ولي فؤاد بحب المصطفى لهجا

الا طربت الا اني طربت الى
من حبه مع لحمي والدم امتزجا

ونجد في جيمية ابن محمد العلوي التي قدمها تهنئة لاحد العلماء القادمين من الحج صورة عن هذا الشوق الذي يستطيب صاحبه لفح الهواجر ، وخبط الظلمات وتجشم الاخطار في متاهات الصحراء وأمواج البحر حيث يقول :

قوم شعارهم قدما ودينهم
في الله أن يبذلوا الارواح والمهجا

الى ان يقـــــول :

قد وجه العيس نحو البيت تمرح في
فيح الفلا والخلايا تعبر اللججـا

تقتاده همة قصــوى ويجذبـــه
شوق حوى الصدر لوعة وشجــى

لم يثن همته ظل البيـــوت ولا
بيض العوارض تجلو الظلم والفلجا

مضى مذيلا لحر الشمس وجنته
وللموامي اذا بالليل البهيم دجـا

حتى قضى ما انطوى في النفس من ارب
وتم ما قد رجايا نعم ذاك رجــا

فقرت العين اذا القى عصاه لــدى
حيث الاله يحط الوزر والحرجـا

وطابت النفس منه حين فاح لــه
من طيب طيبه اذكى فائح ارجـا

الى ان يقــــول :

ثم الصلاة على المختار ما دلج الر
كب المجد الى البطحاء وادلجـا

ولما فشت في الزوايا والمحاضـــر فتــوى الكنتي التي يميل فيها الى سقوط الحج عـن اهـــل الصحراء ، لهول الطريق ، وعدم الامن فيها ممـــا لا يدخل في الاستطاعة ، شق ذلك على معاوية بن الشد التندغـــي ، فقال :

قد اجج الشوق في قلبي وفي كبدي
نارا تعاظم عن صبري وعن جلـدي

الى ان يقــــول :

فلا انا للذي تـــراه معتـــــرض
ولا انا للـــذي تشاء لــــم ارد

لكن قلبي قد قامـــت قيامتــــه
حين انثنيت به عنه ولم افـد ...

ليس القرار لمن لـم يشف غلتــه
من زورة المصطفى في النأى والبعد

ولم يبت بستور البيت معتلقــا
الا القرار على زار مــن الاسد ...

ان كان لي هاهنا دنيا وآخـــرة
وفي بلادي نيل المال والولــــد

فان لي كبد احـــراء مولعـــة
ببيت من هو لم يولد ولم يلــد

ولما اشتاق ابن محمد العلوي الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، وشد عزمه على التوجـه الى البلاد المقدسة ، شق ذلك على جمهـــور غفير مــن اقاربه واتباعه ومحبيه ، وحاولوا صرفه عن ذلـك ، وافتوه بعدم وجوب الحج عليه فقال :

يا مشفقا من رحيل لج في كمــدي
هل انت من دون ربي آخذ بيــدي

امسي يفندنـي فيمــا ارى واري
مفتدي فيه منسوبا الى الفنــــد

الى ان يقــــول :

دعني وعزمي والبيــدا وراحلتـــي
وما جرى من بنات الفكر في خلدي

فالله حسبي لا الـوي على احــد
كلا ومثلي لا يلـوي على احـــد

وحينما وصل هذا الشاعـــر الـــى الاعتـــاب الشريفة ، وقابل السلطـــان المقدس مولاي عبـد الرحمان لم يطلب منه اكثر من ان ينعم عليـــه وعلى وفده بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول:

وخبرنا ان سوف تاتي ركابنـــا
ابا فاطم انا اتينــا ابن فاطـــم

ولما مدحه في السينية المشهورة ، اشار الى ذلـــك قائـــلا :

خليفة الله في نيل الوصول لمــن
هو الوسيلة بين الله والنــــاس

ولا شك ان مجالس الشفا وقـد ازدهـــرت واستقطبت مدارس العلم ، وزوايا التصوف وجمهور المساجد ، كانت تلهب هذا الشوق ، وتشعل اواره ، ولا ادل على ذلك من قصة الايدلبي المتقدمة .

ولا تخرج المدائح النبوية في الصحراء ، عما في كتاب الشفا من معجزات وكرامات وخصائص ، مما يحيل الى القارىء انها مجرد عقد ، لما هو منثور في ابواب الشفا وفصوله .

وليس في ذلك غرابة لان هؤلاء الشعراء كلهم علماء ، وكلهم من زوايا عرف عنها انها كانت تقرأ الشفا ، وتعمر مجالسه .

ومن امثلة ذلك ، فائية سيدي عبد الله العلوي التي يقول فيها :

ايا من سقت الفا ظماء بنانــه
كما وهبت الفا كما هزمت الفــا

الـى قولــه .

ومن قام في الاسراء والحشر خلفه
نبيئو الاله الحـق كلهم صفــا

الـى قولــه :

وما في ذراع الشاة مما تعمـدت
يهود ولكن ما اعف ومـا اعفـا

الـى قولــه :

لمولدك الميمـون آي شهيــرة
شفت غلة الراوين من قولها الشفا

وفيما رات عينا حليمة مـن رات
تبنيك هو الاحظى شفاء من استشفى

ولو لم يجبك البدر لما دعوتــه
لما شئت لم ينفك تصغين او نسفا

فقد تضمنت هذه الابيات وبطريقة موجزة بعض ما اتى به كتاب الشفا في فصوله المتفرقة .

وبعد ان ينتهي الشاعر مـن سرد معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

الى معجزات انجم الجو دونهــا
نموا وحسنا وارتفاعا ومصطفــا

فلا الدهر يحصيهن عدا ولو غـدت
مدادا لياليه وأيامه صحفــا

فمن قرا هذين البيتين تاكد عنده تاثر صاحبهما بالفصل الاول من الباب الثاني من كتاب الشفا ، وهو فصل يتعرض فيه القاضي الى ما خص الله به نبيـه صلى الله عليه وسلم من خصائـص ومعجـزات ، ويقول : الى ما لا يحويه محتفل ، ولا يحيط بعلمه الا ما نحه ذلك ، ومفضله به الى ما اعد لـه في الـدار الآخرة من منازل الكرامة ، ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول .

ومن ذلك قول بن محمد العلوي :

والى اسمه ضم اسمه شرفا لــه
من قبل حيعلة المنادي المسمـع

فلا يخفى ما بين هذا البيت من صلـة وثيقـة بتفسير القاضي عياض في الشفا لقولـه تعالـى : ( ورفعنا لك ذكرك ) حيث يقول :

هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى اللـه عليه وسلم على عظيم نعمه لديه ، وشريف منزلتـه عنده وكرامته عليه ، بان شرح قلبه للايمان والهداية، ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ، الى ان يقـول : وتنويه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مـع اسمــه .

ويقول الشاعر في نفس القصيدة :

وبه توسل الانبياء الى الــذي
حازوه من سير النبوة اجمــع

اسرى الاله به واودع صــدره
في ستر جنح الليـل اشرف مودع

حلى الزمان به كما حلي الربـى
بالروض اثر الساريات الهمــع

لله اكمـل خلقــه وخليقــه
منحا لصفـوة هاشم ومجمــع

بحر اذا ورد العفاة وان بــدا
فالبدر ماضي فى عشره والاربـع

يغشى الهياج اذا التظى متبسمـا
والبيض تلمع والفوارس تدعــى

والخيل ثائر نقعها من نسجــه
وجه الغزالة مدرج في برقــع

فلا تكاد هذه الابيات تخرج عما في كتاب الشفاء من اجلال واكبار واعظام ، واشادة بما خصه الله به من كرامة الاسراء ، والصلاة بالانبياء الى غير ذلك مما تعرض له في فصوله المتفرقة من عجائب كرمه ونوادر شجاعته وسمو خلقه ، وحسن صورته الشريفة .

ويختم الشاعر قصيدته الطويلة بأبيات يقول فيها :

اني بمدحك استجير وانني
منى لفي الحصن الحصين الامنع

فأمنت طارقة الحوادث وانثنت
عني دواهم كل خطب مفظع

ومن قرا هذين البيتين لم يشك في أن صاحبهما قد تأثر بمجالس الشفا ، وبما جربه حفاظه ومدرسوه من أنه حصن حصين وحرز منيع تتقى به المصائب ، ويعتد به في الازمات والشدائد ، وما ذلك الا لما اشتمل عليه من تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم، والاشادة بقدره ، فكان كل مدح له صلى الله عليه وسلم جديرا بذلك .

ومن ذلك قول مولود ابن احمد الجواد اليعقوبي:

قد انقضت بانقضاء الرسل حجتهم
وللهدي حجج ما تنقضي الحججا

وقول محمد بن عبد الرحمان الحسني :

وآياته تبقى مدى الدهر بعده
وما بقيت للرسل معجزة بعد

فليس هذان البيتان الا نظما لقول صاحب الشفا في الفصل الاخير من الجزء الاول :

وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم ، وعدمت بعدم ذواتها ، ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع ، وآياته تتجدد ولا تضمحل .

ومن ذلك قول مولود ايضا :

اليس للعبد أن يسمى اسم سيده
يسمى اسمه درجا قد فاق من درجا

فليس هذا البيت الا اشارة الى الفصل الذي خصصه القاضي عياض في كتاب الشفا لذكر تشريف الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم ، بما سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى .

ومن ذلك قول محمد بن عبد الرحمان الحسني:

وقبلت فكري اثر نعل محمد
ولو جئت مغناه اقبله فما

فيا ليت خدي كان موطىء نعله
وصدري ضريحا جامعا منه اعظما

ولا يخفى تأثر صاحب هذين البيتين بقطعة القاضي عياض المذكورة في الشفا والتي يقول فيها:

وعلى عهد ان ملات جوانحي
من تلكم الجدرات والعرصات

لاعفرن مصون شيبي بينها
من كثرة التقبيل والرشفات

ومن ذلك قول الشاعر احمد بن محمد بن محمد سالم المجلسي في نونيته الرائعة :

دنا في ذلك المراى دنوا
من الرحمان ما يدنوه دان

وذاك القرب تقريب اصطفاء
وليس عن المسافة والمكان

ففي هذين البيتين اشارة الى تفسير القاضي عياض للدنو الوارد في الاسراء ، وتأويله بالاجتباء والاصطفاء

## رجوع علماء الصحراء في مؤلفاتهم وبحوثهم الى كتاب الشفا

ولم يكتف علماء الصحراء بتدرس كتاب الشفاء والتبرك به وعقد الحلقات والمجالس للاستماع الى ابوابه وفصوله وختمه في المواسم الدينية ، وفي الظروف الخاصة ، وانما اضافوا الى ذلك ايضا الرجوع اليه والاعتماد عليه في كثير من المسائل والقضايا التي الفوا فيها .

واود التعرض لذكر بعض الشيوخ الاجلاء الذين تحملوا مسؤولية الدعوة ، واسهموا اسهاما كبيرا في حركة التاليف بالصحراء ، فكان كتاب الشفا من مصادرهم التي رجعوا اليها في السيرة والفقه والتصوف وغير ذلك .

ومن هؤلاء سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي الذي تقدمت الاشارة الى اجازته بكتاب الشفا، فقد جاء في نوازله انه سئل عن امراتين قالتا كلام تحقير وتنقص بالغ في سيدنا ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هل هما مرتدتان او عليهما الادب .

فاجاب انهما كافرتان وحدهما القتل ، ولا تقبل توبتهما لان ذلك سب للنبي صلى الله عليه وسلم ، مع انهما كانتا مسرتين بالكفر ، وذلك زندقة يجب فيها القتل ولا تقبل فيها التوبة ايضا ، ثم قال ليعزز هذه الفتوى ، وليحيل السائل على المصدر الذي اعتمده فيها .

وكفرهما امر ضروري لا يستدل عليه عند اهل الاصول ، لكن لما غطت غشاوة الجهل قلوب العوام ، احتاجوا الى الاسدلال عليه ، فاقول :

نص القاضي عياض في كتاب الشفا على ان من عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام اي قبيح ، لا يليق بمنصبه ومنكر من القول ، حكمه حكم الساب يقتل لانه زندقة وكفر الى آخر كلامه في هذا الصدد.

وسئل عن من قال اعاذنا الله من قوله ( يحرق ام النبي ) صلى الله عليه وسلم ، فاجاب بان قائل ذلك كافر يقتل ولا تقبل توبته ، ويحرق بالنار ، قال وقد افتى ابو بكر بن العربي فيمن قال ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم في النار ، بانه ملعون لان الله تعالى يقول : « ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة » ، واي اذى اعظم من ان يقال ابوه في النار . يقول سيدي عبد الله قلت : بل اعظم في الايذاء والجسارة الدعاء عليه بذلك . اذ الردة تدور على انتهاك حرمة الربوبية والنبوءة والملكية ، فكل من اضاف نقصا الى ام النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ او الى بنته اي بلفظ بنت النبي فهو كافر حلال الدم ، والشاك في كفره اقرب الى الكفر من الايمان .

ويختم هذه الفتوى بحديث فاطمة بضعة مني يوذيني ما يوذيها ، ويقول وكل من آذى النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر بنص الشفا ، قال ولا يعترض على هذا بقول خليل ، وفي قبيح لاحد من ذريته فانه انما فيه الادب الشديد ، لان محل الادب اذا قصده في نفسه كما يدل عليه كلام الشبرخيتي ، اما اذا قصد الجهة الشريفة كما هو مقصود هؤلاء الشياطين فكفر وزندقة ، كما يدل عليه كلام الشفا .

وسئل عن نساء نظرن لوحا به بول صبي لم يمس نفس الحروف ، فامرت كل واحدة منهن الاخرى بالمبادرة الى غسله ، واخذته احداهن فناولته صبيا فغسله ، هل هذا توان يوجب الردة ام لا .

فاجاب ان لا ردة فيه اذا لم يحصل في ذلك توان بين ، يظهر منه الاستخفاف بحرمة القرءان العزيز بل ان يكون لا تواني في ذلك اصلا او توان غير بين ، ويختم جوابه قائلا .

واذا احتمل الامر كونه ردة اولا لم تكن فيه ردة كما في الشفا للقاضي عياض .

ومنهم الشيخ سيدي المختار الكنتي ، فقد الف كتاب نزهة الراوي وبغية الحاوي في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه ومعجزاته وما يجب له من اجلال وتعظيم ، وما رافق مولده الكريم من خوارق وآيات ، وما خص به من الانباء بالمغيبات .

وعقد فيه مقارنة بين معجزاته صلى الله عليه وسلم ومعجزات غيره من الانبياء وتحدث عن الاسراء بروحه وجسده ، وما منحه الله من المناجاة والرؤية.

وعقد عدة فصول في جوده وشجاعته ونجدته وحيائه وتواضعه ، وحلمه وخوفه من الله تعالى . وتعرض لعقوبة سبه وتنقصه صلى الله عليه وسلم .

وختم الكتاب بحكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وما للعلماء فيها من اقوال وما لها من فضائل ومزايا .

وقد حاذى الكنتي في هذا الكتاب القيم كثيرا من الابواب والفصول التي خصصها القاضي عياض في الشفا لنفس الغرض .

وقد عزا اليه في بعض فصول الكتاب وتجاوزه في كثير منها ، ليسند الى نفس المصادر المذكورة في الشفـــا .

وقد يذكر القاضي عياض حديثا دون عزوه الى الكتاب المخرج فيه ، مكتفيا بالاشارة الى انــه فـي الصحيح ، فيذكر الكنتي الكتاب الذي اخرجه ، وقد يزيد على ذلك تعليقا او ما يشبه ان يكـون شرحــا الحديـــث .

وبالاختصار ، فقد اشتمل الكتاب على كثيــر مما في الشفا ، وحاذاه في عدة ابواب وفصـــول ، واضاف الى ما فيه اضافات وزيادات ، مما رجع فيه الى غيره من كتب الحديث والسيرة ، ودلائل النبوة والخصائـــص .

ومن امثلة ذلك الفصل الذي تعــرض فيــه لوجوب قتل سابه صلى الله عليه وسلم ، ورد توبته فقد استهله بما استهل به القاضي عياض حديثه في الموضوع حيث يقول : ( فمن سبه صلى الله عليــه وسلم او تنقصه قتل ولا تقبل توبته لان ذلك من باب الحد والتأديب لا من باب الكفر والتعذيب ، فيقتــل سدا لذلك الباب ، وحسما لتلك الاسباب ، المؤدية للبعد عن رب الارباب واغضاب النبي الاواب ، فيكون القتل حينئذ حدا لا كفرا ، كما ورد عن كثيــر مــن السلف بخلاف ما اذا سب الله ، فانه تقبل توبته اذا تاب ، وعلم ذلك من نيته ، لان الله تعالى لا يدركــه نقص ولا يتأذى بنقص ، بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم ، فانما هو بشر مثلنا ، يتأذى بكل ما يتأذى به البشر ، وليس من حقه علينا اذايتــه ، فيقتــل المتنقص له حدا ان تاب وكفرا ان لم يتب ، فيكون قتله حينئذ حدا لا ردة ، حسما لهذا الباب وقطعــا لتلك الاسبـــاب ) .

وبعد ان قطع بوجوب قتله وعدم قبول توبته ، واشار الى ان القتل يقع عليه حدا ان تاب ، وكفرا ان لم يتب ، وانه ان تاب نفعته توبته في الآخـرة ، الا انها لا تدرا عنه الحد والتأديب ، وذكر الخــلاف في تحتم قتله حالا ، وفي وجوب استتابته بدا بتلخيص ما في كتاب الشفا من ادلة الكتاب والسنــة واقوال العلماء في قتله ورد توبته وعذره ، فذكر قوله تعالى :

« ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ، واعد لهم عذابا مهينا » . وعلق على هذه الآية الكريمة فقال : ( واللعنة من الله هي ابعاد الملعون من رحمته واحلاله في وبال عقوبته ) . ونقل قول القاضي عياض في الموضوع : ( انما يستوجب اللعن من هو كافر ، وحكم الكافر هو القتل ) .

واستدل على عدم قبول توبته ورد عذره بقوله تعالى : « قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم » .

وينقل قول عياض : قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم . واورد من ادلة السنة ما اورده القاضي عياض من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من لكعب بن الاشرف. فانه يؤذي الله ورسوله ، ووجه اليه من قتله غيلــة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين ، وعلــل باذاه له فدل أن قتله له لغير الاشراك بل للاذى الى غيــر ذلك من الادلة التي ساقها في هذا الموضوع اعتمادا على ما في كتاب الشفــا .

وقد ذكر في نهاية هذا الفصل بعض الايرادات التي اوردتها الشافعية على ادلة المالكية في عــدم قبول توبة سابه صلى الله عليه وسلــم ، وذكــر تعقيب ابن الخطيب القسطلاني على القاضي عياض فى هــذا المجــال .

ومن ذلك الفصل الذي خصصه للحديث عــن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلــم ، فصدره بمقدمة يقول فيهـــا :

( اعلم ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلــم وردت صريحا بنص الكتــاب ، وأن الله وملائكتــه يصلون عليه قبل بعثته بل قبل وجــوده ، فوجبــت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ) .

ويلاحظ التشابه بين هذه المقدمـــة وبيــن مقدمة القاضي عياض لنفس الغرض حيث يقول :

( اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليــه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامــر الله تعالى بالصلاة عليه ، وحمل الائمة والعلماء لــه على الوجوب ، واجمعوا عليه ) .

وقد استعرض الكنتي ما تضمنه كتاب الشفا من اقوال العلماء في هذا الموضوع فذكر منها ما يلي :

1 ) قول مالك بوجوبها مرة في العمر .

2 ) قول القاضي ابي الحسن بن القصار ان ذلك واجب في الجملة على الانسان ، وفرض عليه ان يأتيها مرة من دهره مع القدرة على ذلك .

3 ) قول القاضي ابي بكر بن بكر ان الله افترض على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ، ولم يجعل ذلك لوقت معلوم ، فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها .

4 ) قول أبي جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب مدعيا الاجماع على ذلك .

5 ) قول الشافعية بوجوبها في الصلاة الى غير ذلك من الاقوال التي استعرضها في هذا الصدد .

ولم يكن الكنتي من أولئك الذين يتقبلون الاقوال ويسلمون الآراء والمذاهب دون مناقشة ولا تمحيص ، ولذا فهو ذو حرص شديد على تتبع هذا الموضوع وتقصيه ، ورد كل ما يستوجب الرد في نظره ، ومن امثلة ذلك ما يلي :

1 – رده على ابن جرير الطبري حيث يقول – الكنتي – :

( واما ما ادعاه من الاجماع على استحبابها ، فغير مسلم ، بل هو معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية الصلاة في الفريضة ، اما بطريق الوجوب على مذهب ابي حنيفة والشافعي ، واما بطريق الندب وهو مذهب مالك ، واما بطريق السنة ، وهو مذهب احمد ، ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف ) .

2 – دفاعه عن القاضي عياض حيث يقول :

( وقد عاب غير واحد على القاضي عياض في الشفا نصه على وجوب الصلاة عليه ، وما انصفوا في العيب عليه ، ورد قوله لان مبنى تاليفه الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم ، واداء حقوقه ، والقول في وجوب الصلاة عليه من غرض المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم ، الى ان يقول وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ) .

3 – ميله الى مذهب الشافعية في وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، في الصلاة :

وقد ذكر اقوال العلماء الذين اخذوا بذلك ، ونقل ما اعتمدوا عليه من الادلة ، مما لا يتسع الوقت لعرضه ، وفي ذلك يقول :

( واما من شنع على الشافعي فانه ذهب في غير مذهب ، لان الشافعي لم يخالف نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة ، بل القول بذلك من محاسن مذهبه ، واحق بالتشنيع منه القائل بجواز ترك الصلاة على افضل خلق الله في الصلاة التي هي راس العبادة ) .

ومنهم الشيخ محمد القصري الايدليبي ، صاحب النوازل ، فقد سئل في نوازله عن قول البوصيري :

وبت ترقى الى ان نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

وما هي هذه المنزلة التي اشار اليها ، وهل هي المناجاة او الرؤية او الدنو المذكور في الآية الكريمة وعن حقيقة ذلك ، وهل هو قرب مكاني أو معنوي .

ولا يخفى ما يحتاج اليه جواب مثل هذا السؤال من اطلاع على نقول العلماء وآرائهم والالمام بعقائد اهل السنة ومذاهبهم في التفويض والتأويل .

وبما ان صاحب السؤال صدره بيت البوصيري فقد اجابه القصري بما لشراح البردة في هذا البيت، فاستعرض اثناء ذلك اقوال المفسرين والمحدثين وائمة العلم حول الاسراء بالجسد والروح وحول الرؤية والدنو الوارد في الآية الكريمة .

واكد للسائل ان الدنو الوارد في الآية الكريمة مؤول بدنو الرضا والقبول ، ورفع الدرجة والمقام المحمود واشراق انوار المعرفة والاجتباء والاصطفاء كما تؤول آيات الصفات واحاديثها التي لا بد فيها من

التأويل او من التعويض بعد صرفها عن الظاهر المستحيل .

وختم جوابه بما ختم به القاضي عياض فصول الاسراء من كتاب الشفا ، فقال ـ القصري ـ قال القاضي عياض رحمه الله :

( اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله والى الله ، فليس بدنو مكان ولا قرب مدى ، بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه ، وقربه منه ابانة عظيم منزلة وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ، ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ، ويتأول فيه ما يتأول في قوله : ( ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان ، قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا ثم جعل مسافة بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا ، يعني عن درك حقيقته ، اذ لا دنو للحق ولا بعد ، وقوله قاب قوسين او ادنى ، فمن جعل الضمير عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل على هذا ، كان عبارة عن نهاية القرب ، ولطف المحل ، وايضاح المعرفة ، والاشراف على الحقيقة من محمد ( ص ) ، وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له ، ويتأول فيه ما يتأول في قوله :

( من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن اتاني يمشي اتيته هرولة ، قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان ، وتعجيل المأمول ) .

وهكذا وجد القصري في كلام القاضي عياض ما يدعم جوابه ، وما يرضي ميله في التاويل الذي هو احد مذاهب الاشاعرة فيما لا بد من صرفه عن ظاهره .

وخير من يعتد بنقله ورايه في ذلك القاضي عياض رحمه الله .

وبرد عليه سؤال آخر حول المحفظة الخاصة بالمصحف والمعروفة في الصحراء بالجفيرة ، هل لها حرمة المصحف ام لا ؟ .

فيجيب بضرورة تعظيمها واضفاء هالة الاحترام عليها قياسا على وجوب تعظيم امكنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومشاهده ويقول : قال القاضي عياض رحمه الله : ( ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه صلى الله عليه وسلم او عرف به.

ويلخص في هذا الموضوع ما نقله القاضي عياض عن الشفا من قصة ابي محذورة التي طالت طولا زائدا فقيل له الا تحلقها ؟ فقال لم اكن بالذي يحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وما روى من مبالغة خالد بن الوليد رضي الله عنه في الحفاظ على شعراته صلى الله عليه وسلم ، وما نقل عن الامام مالك من استحبابه ان يطأ تربة المدينة المنورة بحافر دابة ، الى غير ذلك مما اشتمل عليه هذا الفصل من كتاب الشفا .

ويعلق ـ القصري ـ على ذلك قائلا :ي اذا علمتم هذا اتضح لكم من باب الاحروصة وجوب تعظيم جفيرة المصحف ، لان آية من كتاب الله تعالى افضل من محمد صلى الله عليه وسلم .

ومنهم العلامة زين بن محمد (7) بن احمد الشمشوي اليدالي الذي الف كتابا يدافع فيه عن الطريقة التيجانية ويرد على خصومها ومنتقديها . ويذكر فضائل اهلها وذويها ويستشهد لذلك بتلقي اجلاء العلماء لها ، ورضاهم بحال اهلها .

وقد اعتمد في هذا التأليف الهام على الكتاب والسنة ، وكتب ائمة السلف من محدثين ومفسرين ورجال فقه وتصوف ، فكان من بين الكتب التي رجع اليها اكثر من مرة كتاب الشفا .

واذكر من ذلك على سبيل المثال الفقرة التي يشير فيها الى ان الحال والماضي والمستقبل حالات

---

(7) هو زين بن محمد ابن احمد اليدالي المتوفى سنة 1358 هـ ، بلغت تآليفه المائة ، اشهرها نظمه في تفسير القرءان وشرحه لمختصر خليل ونظمه لشمائل الترمذي ، وكتابه المسمى المواهب الربانية في اعتقاد احسن المذاهب بالتيجانية ، وقد اشار في هذا الكتاب الى انه ليس تيجانيا ولم ياخذ اي ورد من اورادها ولكنه الف في الدفاع عنها انتصارا للحق .

عارضة للزمان بالقياس الى ما يختص بالجزء منه ، اذ الحال معناه زمان حكمي هذا ، والماضي زمان هو قبل حكمي هذا ، والمستقبل هو زمان بعد زمان حكمي هذا ، فمن كان حكمه ازليا محيطا بالزمان ، وغير محتاج في وجوده اليه ، وغير مختص بجزء من اجزائه لا يتصور في حقه حال ولا ماض ولا مستقبل، فالموجودات من الازل الى الابد معلومة له في كل وقت .

فقد ساق هذه الفقرة ليعيد الى الاذهان أن تأخر الزمان وبعد الاوان لا يمنع من خصه الله بالمنح الربانية أن يصل الى افضل مما وصل اليه سابقوه ، ومثل لذلك بوجوب النبوة للنبي صلى الله عليه وسلم، وآدم بين الروح والجسد ، وقال : الى غير ذلك مما ذكره القاضي عياض في الشفا .

ومن امثلة ذلك ايضا افتتاحه الحديث عن علم النبي صلى الله عليه وسلم واطلاعه على الغيب بقول عياض في الفصل الذي خصصه لذلك :

الاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ، ولا ينزف غمره ، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها ، واتفاق معانيها .

ويورد اثناء حديثه في هذا الصدد كثيرا مما اورده القاضي عياض من اخباره صلى الله عليه وسلم بالامور التي ستكون والتي صحت وشوهدت ، فكانت من دلائل نبوته وصدق رسالته صلى الله عليه وسلم .

ويذكر في هذا المجال كذلك الحديث الذي اورده القاضي عياض في الشفا بسنده الى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حيث يقول :

« قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء ، فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ، ثم قال حذيفة ما ادري انسى اصحابي ام تناسوه ، والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تقضي الدنيا ، يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا ، الا سماه لنا باسمه او اسم ابيه وقبيلته » .

ويذكر بعد هذا قول ابي ذر :

« لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما » .

وينهي الكلام في هذا الموضوع قائلا : الى آخر ما نقله القاضي عياض في كتاب الشفا .

ومنهم شيخ الاسلام الشيخ ابراهيم نياس (8) الذي حمل مشعل الدعوة المحمدية في غرب افريقيا منذ حوالي منتصف القرن المنصرم الى السنوات الاخيرة منه ، وكان داعية عظيما يعتمد فيما يعتمد من اساليب الدعوة احياء الدراسات الحديثية ، وتدريس السيرة النبوية وانشائها ونشرها من خلال مؤلفاته ومحاضراته ودواوينه الشعرية التي تلقتها ملايين المسلمين بقبول منقطع النظير .

وكان تأثره بكتاب الشفا واضحا في كثير من هذه الدواوين والقصائد ، التي تعتبر كل واحدة منها درسا قيما من دروس سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ودلائل نبوته ومعجزاته ، ولولا ضيق المقام ، لاوردت نصوصها رائعة من هذه القصائد .

وقد عرفت افريقيا ومنذ منتصف القرن الهجري الماضي مختلف التيارات الفكرية وفشت فيها النحل المستوردة ، وبدأ دعاة البدع والاهواء ومروجو الشبه يشيعون مقالاتهم وينفثون ضلالاتهم

---

(8) الشيخ ابراهيم نياس هو شيخ الاسلام الداعية الكبير الذي بلغ اتباعه في غرب افريقيا عجما وعربا اكثر من ثلاثين مليونا . وقد لعب دورا عظيما في نشر الاسلام وحارب الوثنية وقضى عليها ، وحاربته الكنيسة فهزمها . وقد ترك عدة مؤلفات ودواوين في مختلف العلوم وفي السيرة النبوية وامداح النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد اضفته في هذه الدراسة الى علماء الصحراء مع انه سينغالي لصلته الوثيقة بعلماء شنقيط ولان له فيها اتباعا كثيرين .

حتى بلغت الجراة باحد المنتمين للعلم وقد فقد رشده وصوابه أن يتعرض على افضلية النبي صلى الله عليه وسلم ، ويطعن في خصوصيته على سائر الانبياء الكرام ، غير عابىء بمحكم القرءان وصحيح السنة ، واجماع السلف والخلف .

فما كان من شيخ الاسلام الا ان بادر بالرد على هذه المقالة الشنيعة ، والف فيها كتاب ( نجوم الهدى في كون نبينا افضل من دعا الى الله وهدى ) .

وهو كتاب قيم يشير في مستهله الى افضليته صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

« الحمد لله الذي فضل بعض النبيئين على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، وجعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم افضلهم كلا وكلية . ومقامه فوق المقامات فهو بالنص والاجماع افضل واكمل المخلوقات ، وسيد ولد آدم ورحمة الخلق حتى ارباب النبوات والرسالات ، وعلى آله وصحبه وامته خير امة اخرجت للناس بنص الذكر والآيات » .

وبعد هذا الاستهلال ياتي بمقدمة يذكر فيها اسباب تاليف الكتاب فيقول :

« اما بعد ، فاني منذ عدة سنوات اسمع مقالا ينسب لبعض اهل الملة الاسلامية ، وجعلته في عداد الخرافات ، وعزمت الا ابل قلمي برد تلك الترهات ، حتى شاع وذاع ، واكثر اهل العصر اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني ، وما زخرف لهم رؤساؤهم من الغي والضلالات ، والمقال انه ما ثم دليل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء ارباب الحقائق والمعجزات ، فخفت أن يصغي العوام الجهلة الى تلك الخزعبلات ، فقيدت لهم جوابا مختصرا قدر همم اهل العصر ، وما اتصفوا به من قلة المبالاة، فقلت ان التفاضل بين الانبياء مذكور في القرءان العزيز ، ومحمد افضل الانبياء والمرسلين ، وهذا اوضح من النهار ، ولا يحتاج للدلالات .

قال :

فكيف يصح في الاذهان شيء
متى احتاج النهار الى دليل

وحيث ان المخاطبة مع غبي من الاغبياء ، نكتب مجاراة مع غباوته ، بنصب الدلائل والآيات فنقول :

نص القرءان ان محمدا رحمة للعالمين ، وصح انه الشفيع فيهم يوم القيامة وسيد ولد آدم ، وآدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة ، وأنه خاتم النبيئين وامامهم ودينه افضل الاديان وامته افضل الامم وكتابه أفضل كتاب نزل من السماء ، وانه اول من تنشق عنه الارض ، واول من يدخل الجنة ، وله الوسيلة ، وعظمه الله بما لم يعظم به غيره ، ورفع ذكره وفتح له وغفر له واذهب الرجس عن اهل بيته ، واسرى به واقسم بحياته وعصره وبلده وأعطاه الكوثر ، وبقيت آياته مستمرة ونسخ دينه الاديان وبعث الى كافة الخلق » .

وبعد هذه المقدمة الموجزة المستقاة من الكتاب والسنة ، والتي تكاد تكون كل كلمة فيها تلخيصا لفصل مستفيض من فصول كتاب الشفا ، يشرع في دحض المقالة الشنيعة ويبدا في استعراض الادلة النقلية والعقلية ، والبراهين التي لا تدفع على افضليته صلى الله عليه وسلم وخصوصيته على سائر الانبياء والرسل عليه وعليهم صلوات الله تعالى وسلامه .

وقد اعتمد فيما اعتمد من كتب الحديث والتفسير ونقول الائمة كتاب الشفا .

وهكذا نجده في بداية حديثه عن افضلية النبي صلى الله عليه وسلم واستعراضه الادلة العقلية والنقلية ، يفتتح ذلك بالمقارنة التي عقدها القاضي عياض في كتاب الشفا ، والتي تتلخص في ان مقام الخليل هو الطمع في المغفرة لقوله : « والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين » ، والحبيب مقامه فى ذلك « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر » ، والخليل مقامه الطلب ، لقوله : « ولا تخزني يوم يبعثون » ، ومقام الحبيب الاعطاء من غير طلب ، « يوم لا يخزي الله النبيء والذين آمنوا معه » ، والخليل قال : « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » ، والحبيب قيل له : « ورفعنا لك ذكرك » ، والخليل قال : « واجنبني وبني أن نعبد الاصنام » ، والحبيب قيل له : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » ، والخليل قال : « اني ذاهب الى ربي

سيهدين » ، والحبيب قيل فيه : « سبحـــان الذي اسرى بعبده ليلا » الآيـــة .

وبعد هذه المقارنة التي ذكرها القاضي عياض في كتاب الشفا ، يضيف شيخ الاسلام مقارنة اخرى بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبيـن موسى عليه السلام ، مشيرا الى ان مقام موسى عليه السلام المجيء الى الميقات ، ومحمد صلى الله عليه وسلم مقامه الاسراء بجسده وروحه ، ومناجاة الكليم عند الطور ، ومناجاة الحبيب فوق العرش وفوق الفوق ، وكلام الله لموسى كان وحيا منه تعالى اليه ، وكلامه لمحمد صلى الله عليه وسلم كان عيانـــا ، وجـــواب موسى في طلب الرؤية ( لن تراني ) ، والنبـــي صلى الله عليه وسلم قال عنه تعالى : « ما كذب الفؤاد مـــا راى » ، وقال تعالى عن موسى : « وخـــر مـــوسى صعقا » ، وقال عن سيدنا محمـــد صلى الله عليـــه وسلم : « ما زاغ البصر وما طغى » ، وحكى الكـــلام الذي كلم به موسى فقال : « ومـــا تلـــك بيمينـــك يا موسى » الآيـــة .

وكتم مناجاة الحبيب وابهمها بقوله : « فأوحى الى عبـــده ما اوحـــى » .

ويأبى شيخ الاسلام الا ان يختم هذه المقارنـــة بالحديث الذي اورده القاضي عياض في هذا الصدد حيث يقول عن ابن عباس ، قال : ( جلس ناس مـــن الصحابة يتذاكرون فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثهم فقال بعضهم عجبـــا ان الله اتخـــذ ابراهيم خليلا ، وقال آخر ما ذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما ، وقال آخر عيسى كلمة الله وروحـــه ، وقال آخر آدم اصطفاه الله ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال قد سمعت كلامكم وحجتكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجي اللـــه وهو كذلك ، وعيسى روح الله وهو كذلـــك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ، الا وانا حبيب الله ولا فخر ، وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وانا اول شافع وانا اول مشفع ولا فخر ، وانا اول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المومنين ولا فخر ، وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر .

وقد ورد اسم القاضي عياض مرتين في هـــذا الكتاب ، الاول في شرف نسبه صلى الله عليه وسلم حيث يقول ، قال القاضي عياض رحمه الله تعالى :

( واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه ، مما لا يحتاج الى اقامة دليل ولا بيان ، مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم وافضل سلالة قريش وصميمها واشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ، ومن اهل مكة اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده ) أ هـ .

الثانية في ذكر اخذ الميثـــاق على الانبيـــاء والرسل ان يومنوا به ويتبعوه وقد ذكر فيها انه كثيرا ما ينقل عن كتاب الشفا حيث يقول :

( واما ما عهد الله له من قدم نبوته وذكره فقد روى القاضي عياض رحمه الله من ذلك في كتـــاب الشفا اخبارا كثيرة ، وكثيرا ما انقل منه ) أ هـ .

واشير هنا الى ان صنيعه في هذا الكتاب ، ان ينقل بعض ما في فصول كتاب الشفا ، ويتبعه بعـدة نقول وبحوث هامة لا تترك مقالا لقائل .

تلك شخصيات علمية ذات نفوذ روحي وشهرة واسعة في الصحراء ، تحملت مسؤوليـــة الدعـــوة وادت دورا تاريخيا في نشر العلم والمعرفة ومحاربة البدع والاهواء والضلالات معتمـــدة في ذلـــك على الكتاب والسنة وتراث السلف وكتب الدعوة التـــي عنيت باقامة الادلة والبراهين على صدق الرسالـــة المحمدية ونبل غايتها ومقاصدها وما خص الله بـــه صاحبها من دلائل النبوة وعجائب المعجزات ، ومـــا امتاز به صلى الله عليه وسلم من سيرة لم تتوفـــر لغيره من الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم جميعا صلوات الله وسلامـــه .

وكان لكتاب الشفا في هذه الكتب مكان الصدارة فاعتد به علماء الصحراء ، وخاضوا به معركة الجهاد والدعوة ودرسوه وعقدوا له المجالس ورجعوا اليـــه واستناروا به في منهجية التوجيه والارشاد .

وليس ما اشتمل عليه هذا البحث من أسمـــاء العلماء والتآليف المتأثرة بالشفا الا نماذج وامثلـــة تعطي للقارىء الكريم لمحة عن الدور الذي لعبه هذا الكتاب في تاريخ الدعوة الاسلامية في الصحراء .

وهو موضوع تستحيل الاحاطة به في مثل هذه الدراسة المقتضبـــة .

# القاضي عياض مفسرا

للدكتور حسن الوراكلي

ظفرت آثار القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي ( 476 هـ ــ 1083 م / 544 هـ ــ 1149 م ) ، على مدى القرون والاعصار ، باهتمام العلماء ، وعناية المتعلمين ، يروبها أولئك ويقرؤونها في حلقاتهم ، ويكب هؤلاء على استنساخها ، ويجتهدون في درسها ، ومن ثم كان لتلك الآثار ، على تنوعها ، هذا الذكر الذي لم ينقطع منذ ان اخرجها مؤلفها لطلبة العلم واهله في النصف الاول من القرن السادس الهجري واذاعها في تلامذته الذين سعدوا بالتحلق حوله في مجلس الدرس والتحصيل ، ثم تولى العلماء ، من بعده ، جيلا بعد جيل ، اذاعتها ، معرض نبوغ ، ومجتلى عبقرية ، لم يملك معهما الذين دابوا ــ جهلا او تجاهلا ــ على استصغار الاسهام المغربي في اغناء حياه المسلمين العقلية والفكرية الا ان يذعنوا ويقروا ، وما احسب الا ان هذا الذكر سيتصل ما حرصت امة القرءان الكريم والسنة العطرة على استيعاب تراثها الفني بالقيم السامية ، والمثل العليا ، تتمثله ، وتاخذ منه قبسا تنور به واقعها ، وتصوغ في هديه ، مستقبلها .

وفي العقدين الاخيرين توفر بعض الباحثين في المغرب والمشرق على دراسة آثار القاضي عياض ونشرها ، محققة متونها ، معلقة هوامشها ، وكان من نتيجة ذلك ان اشتدت العناية بعياض وبتراثه بين طلبة الاقسام العليا في جامعاتنا وفي جامعات الشرق والغرب وانصرف غير واحد من هؤلاء الى انجاز دراسات (1) في فكر عياض وأدبه ، نحن نجهل حظها من الجدة ، والطرافة ، والاهمية ، ولعلها ، حين تعرف طريقها الى النشر ، أن تحقق للبحث العلمي حول عياض ما يسعى اليه من أهداف .

كما كان من نتيجة نشر بعض آثار عياض ، موثقة ، محققة ، ان نشط غير قليل من الباحثين لاعداد دراسات في اهتمامات عياض وانجازاته المتنوعة في أهم مجالات الثقافة الاسلامية المعروفة على عصره ، غير اننا لم نكد نجد في مجموع ما نشر من هذه الدراسات (2) دراسة تفتح باب البحث في اهتمام عياض بالقرءان الكريم في مجالي الدرس

---

(1) منها ما قدم لنيل شهادة الماجستير أو الدكتوراه في آداب برشلونة، وغرناطة، والقاهرة ، والازهر، ودار الحديث الحسنية . وقد احلنا عليها جميعها في البيوبليوغرافيا التي اعددناها عن القاضي عياض .

(2) انظر مجلة الايمان ( عدد خاص عن القاضي عياض ) السنة الثامنة . العدد 72 ــ 73 ( صفر وبيع النبوي 1398 / يناير وفبراير 1978 ) .

وانظر ، المناهل ( عدد خاص بالقاضي عياض ) العدد 19 ــ السنة السابعة . صفر 1401 ــ دجنبر 1980 .

والتفسير ، وهما مجالان ليس يمكن بحال فصلهما عن المجالات العلمية الاخرى التي نذر عياض حياته لها.

ولا شك ان دراسة تستهدف تقديم عياض للناس مفسرا من شأنها ان تملأ فراغا في الدراسات العياضية ، وهذا اقصى ما تطمح الى تحقيقه هـذه الـدراسة .

* * *

نبدأ بطرح هـذا السؤال :

هل الف القاضي عياض في التفسير ؟

الحقيقة ان ما نعرفه لعياض من صفات علمية كانت جميعها تؤهله لان ينهض للتأليف في ذلك . فقد استطاع ، وهو في العقد الثالث من عمره ، ان يحصل على المعارف التي كان القدامى يشترطونها فيمن يتصدى لتفسير القرءان من استظهار له ، واتقان لقراءاته ، ومعرفة بعلومه ، وتعمق في درس مجاميع الحديث ومسانيده ، واطلاع واسع على علوم اللغة من نحو ، وصرف ، واشتقاق ، وعلوم البلاغة من معان ، وبيان ، وبديع ، وتضلع في الفقه واصوله ، وعلم الكلام ومذاهبه ، وتمكن من التاريـخ والاخبـار ، والسير ، هذا الى ما عرف به من احساس مرهف ، وذوق رفيع ، وقدرة بالغة في سبر النص الادبـي واستنباطـه .

كما أن ما نعرفه من النشاط الذي تميزت بـه حركة التأليف في التفسير ، والقـراءات ، وعلـوم القرءان في الغرب الاسلامي ولا سيما الانـدلس على عصر عياض (3) كان من شأنه أن يستحثه ، وهو من نعرف سعة اطلاع في علوم الآلـة والروايـة ، على التأليـف في ذلك .

ومع هذا وذاك فلم يثبت لدينا ان عياضا خص التفسير بكتاب ، او افرد علما من علـوم القـرءان بتصنيف .

والسؤال الثاني الذي نطرحه ، هو :

هل خلق القاضي عياض للتفسيـر ؟

الحقيقة ، ايضا ، ان مواهب عياض العلميـة ، واشتغاله بالاقراء والتدريس ، مما كان يؤهله قبـل غيره من علماء سبتة في عصره ، للجلوس لتفسيـر القرءان ، لكننا لسنا نملك نصا صريحا بذلك ، والذين ترجموا له يلوذون جميعهم بالصمـت ازاء هـذا التساؤل . ويكتفي ولده محمد فيما كتبه من تعريف بسيرة والده ، وهي التي باتت مرجع الذين ترجموا له فيما بعد ، بالاشارة الى ان والده كان ( من حفاظ كتاب الله تعالى ، والقيام عليه ، لا يترك التلاوة له على كل حالة ، مع القراءة الحسنة المستعذبة ، والصوت الجهير ، والحظ الوافر من تفسيره ، والقيـام على معانيه واعرابه وشواهده واحكامه وجميع علومه (4). فاذا اضفنا الى ذلك ان الرجل كان ( محبا في طلبة العلم ، محرضا لهم على طلبه ، مسهلا لهم الطرائق(5) لم نستبعد جلوسه لتفسير القرءان وتدريس علومـه وأحكامـه .

---

(3) اذا كانت الدراسات القرآنية قد بدأت تزدهر في الاندلس منذ فترة مبكرة من حياتهـا العلميـة والفكرية فانها قد بلغت أوجها في القرنين الخامس والسادس . ففي أولهما لم تعد العناية بالتأليف في تفسير القرءان وعلومه مقصـورة على شيوخ العلم ، بل شاركهم فيها الرؤساء والولاة من امثال محمد بن احمد بن صمادح التجيبي ( ت 419 هـ ـ 1028 م ) الذي اختصر تفسير الامام الطبري، ومجاهد العامري ( ت 436 هـ ـ 1044 م ) الذي نفقت بامارته في دانية سوق القراءة لما كان هو من ائمتها كما يقول ابن خلدون ( المقدمة : 365 ) . أما في القرن السادس فقد عرفـت المكتبـة القرآنية في الاندلس اسهامات هامة على يد عصري عياض ، وفي مقدمتهم : ابو بكـر الطرطـوشي ( ت 520 هـ ـ 1126 م ) ، وابن عطية المحاربي ( ت 542 هـ ـ 1147 م ) ، وابن العربي المعافري ( ت 543 هـ ـ 1148 م ) ، وقد استوعبنا صورة للاسهام الاندلسي في التفسير في دراسة مفصلة هي من جملـة خطياتنا .

(4) انظر ، التعريف بالقاضي عياض : 4 .

(5) نـفسه : 5 .

على اننا لسنا نقطع براي في تاريـخ جلوسه لذلك ، هل كان قبل رحلته العلمية الى الاندلس سنة سبع وخمسمائة (6) ، أم بعد عودته منها في السنـة المواليـة (7) .

المعروف ان عياضا كان ، قبل ان يترك مسقط راسه ، استكمل ثقافته القرآنيـة ، والحديثيـة ، واللغوية ، والفقهية (8) ، وهو امر تتصور معه استواء شخصية عياض العلمية ونضجها ، ومن شأن هـذا الاستواء والنضج ان يحملا صاحبـه على الجلوس للاقراء والتعليم . اما بعد عودته من الاندلس فالظن بهذا الجلوس يقوى ويترجح ، واذا كان اهل بلده قد سارعوا على اثر عودته من الاندلس فاجلسوه للمناظرة عليه في المدونة (9) فاننا لا نستبعد بايـة حال ان يكـون الرجل اتخذ له منذ ذلك التاريـخ مجلسا بجامع سبتة لتدريس العلوم والمعارف التي كان تم له اتقانها وضبطها بلقاء شيوخ العلم بالاندلس ، ويغلب على الظن ان يكون القرءان تفسيرا ، وقراءة ، واحكاما ، في مقدمة ما عني عياض بتلقينه للطلبة الذين كانـوا يتحلقون حوله ، ويجلسون للاخذ عنه .

وفي ضوء الاجابة عن السؤالين المتقدميـن ، وبعيدا عن الافتراضات والتخمينات ، نلقي انفسنـا بازاء حقيقتين لا مراء فيهما :

اولاهما ان عياضا لم يؤلف في التفسير او في علوم القرءان الاخرى كتابا بعينه .

وثانيتها انه لم يثبت لدينا ، بصفـة قطعيـة ، جلوسه للتفسير ، وتلقين القراءات ، ومعاني القرءان واحكامه ، في سبتة او في غير سبتة مـن المـدن الاندلسية او المغربية التي قدر له الاقامة بها .

ومع ذلك فان غير واحد من مترجميـه نـوه ببراعته في تفسير القرءان ، واشاد بتمكنه من علومه ، فهذا ولده يذكر ما كان لوالده من الحظ الوافر مـن تفسير القرءان ( والقيام على معانيه واعرابه وشواهده واحكامه ، وجميع انواع علومه ) (10) ، وهذا ابـن فرحون يقول عنه انه كان ( عالما بالتفسير وجميـع علومه ) (11) ، بل اننا نجد بعض من عني من المؤلفين والمحدثين بتصنيف المفسرين والتاليف في طبقاتهم يدرج عياضا ضمنهم ، فهذا الحافظ شمس الديـن محمد الداودي يترجم له في كتابه ( طبقات المفسرين) ويثني على علمه بالتفسير (12) ، وهذا الاستاذ عبـد العزيز بنعبد الله يترجم به في معجمه الذي جمعه فى محدثي المغرب الاقصى ومفسريه وقرائه (13) .

ومهما يكن من امر فاننا مقتنعـون بأن كتـب الطبقات ومعاجم الرجال التي ترجمت لعياض لـن تمدنا بنفع كبير فيما نحاوله من رسم لملامح عياض المفسر ، ونحن مدركون بانه ليس كنتاج الرجل نفسه مصدر يجمع ما تبعثر في صفحاته من ملامـح صورة عياض المفسر واجزائها . ثم نجتهـد في تركيبهـا والتاليف بينهـا .

ولعل كتابه « الغنية » وهو معـرض لمعارف شيوخه ، ومقروءاته ، ومروياته عنهم ، ان يكـون في طليعة ما نفيد منه من نتـاج عياض في استكشاف الموارد التي استقى منها ثقافته الواسعة في علـوم القرءان من تفسير ، وقراءات ، واسبـاب نـزول ، وناسخ ومنسوخ ، واعراب ، واحكام ، وغير هذا وذاك من انواع العلوم القرآنية . ونحن نتمثل هذه الموارد في شخصيات شيوخه الذين اشتهروا بحذقهم لتلك العلوم ، وكان لهم ، فيما نقدر ، تأثيـر ، تختلـف نسبته من شيخ الى آخر ، في تكوين عياض العلمـي في هذا الميدان ، كما تتمثلها — اي الموارد — فيما

---

(6) نـفسه : 6 .
(7) نـفسه : 10 .
(8) انظر ، مقدمة الاستاذ محمد بن تاويت لكتاب ترتيب المدارك ، 1 : و — ز — ح .
(9) انظر ، التعريف بالقاضي عياض : 10 .
(10) انظـر ، المصـدر نفسه : 4 .
(11) انظـر ، الديباج المذهب : 168 .
(12) انظر ، الداودي ، طبقات المفسرين ، 2 : 18 — 22 .
(13) انظر ، معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغـرب الاقصى : 28 .

قراه عليهم من كتب التفسير ، او رواه عنهم من مصنفات في علوم القرءان .

اما شيوخ عياض وأساتذته في التفسير وعلوم القرءان من السبتيين والطراة على سبتة او من الاندلسيين فهم :

1 — محمد بن سليمان النفزي (توفي 525 هـ — 1130 م ) ، كان من مشاهير مدرسي الادب ، والنحو ، والحديث ، والغريب (14) في العقود الاخيرة من القرن الخامس ، والاولى من السادس . قرا عليه عياض بعض تصانيف احمد بن عمار المهدوي في القراءات من مثل ( الهداية ) ، و ( التحصيل ) ، و ( التفصيل ) (15) .

2 — القاضي أبو بكر بن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي ( توفي 543 هـ — 1148 م ) وهو احد اعلام الاندلسيين الذين تالق بأسمائهم تاريخ التفسير في الاندلس خلال النصف الاول من القرن السادس الهجري ، وله في المكتبة القرآنية : احكام القرءان، وقانون التأويل ، وناسخ القرءان ومنسوخه. ومع أن القاضي عياض لا يذكر فيما ذكر من الكتب التي حدثه بها ابن العربي وقراها عليه سواء في سبتة او في اشبيلية وقرطبة مؤلفاته حول القرءان ، الا أنه ليس من المستبعد أن يكون عياض انتفع بها ، وأفاد منها ، سيما وانه يشهد بما في مؤلفات ابن العربي من ملاحة ، وحسن ، وفائدة ، مما يدل على أنه اطلع عليها ، وذلك حين يقول : ( وصنف — أي ابن العربي — في غير فن تصانيف مليحة ، كثيرة ، حسنة ، مفيدة ) (16) .

3 — محمد بن عبد الله الموروري ( توفي 500 هـ — 1106 م ) ، كان — كما يصفه عياض — ( قائما بعلم القراءات واختلاف القراء ) (17) ، وقد امضى عمره يقرىء القرءان بسبتة ، يقول عياض : ( قرات عليه القرءان عدة ختمات ) (18) .

4 — محمد بن عقال السرقسطي ، يصفه عياض ب ( المقرىء ) (19) مما يدل على حذقه للقراءات وبراعته فيها ، ويذكر انه جالسه كثيرا وحدثه بكتاب ابي الليث نصر بن محمد السمرقندي الواعظ المفسر ، المسمى بكتاب « تنبيه الغافلين » (20) .

5 — محمد بن احمد الاموي ( توفي 512 هـ — 1118 م ) . وقد وصفه عياض ب ( المقرىء ) كذلك مما يدلنا على اشتهاره بالاطلاع الواسع في هذا العلم . وذكر انه اخبره بكتاب احمد بن عمار المهداوي المسمى ب ( الهداية ) ، وهو فى القراءاتالسبع (21).

6 — احمد بن عبد الله بن احمد بن طريف بن سعد ( توفي 520 هـ — 1126 م ) ، كان من أهل البلاغة ، عارفا بالادب ، والنحو ، واللغة ، ) (22) ، لقيه عياض بقرطبة ، وكان مما اخبره به كتاب « المفتاح » في القراءات من تاليف ابن عبد الوهاب (23) .

7 — احمد بن محمد بن غلبون الخولاني المعروف بابن الحصار ( 508 هـ — 1114 م ) ، لقيه باشبيلية ، واجازه جميع رواياته ، وناوله بعضها ، ومنها جميع روايات وتاليف أبي عمرو الداني رأس مدرسة القراء في النصف الاول من القرن الخامس بالاندلس (24) .

---

(14) انظر ، الغنية : 127 .
(15) نفسه : 128 .
(16) نفسه : 135 .
(17) نفسه : 159 .
(18) نفسه : 159 .
(19) نفسه : 159 .
(20) نفسه : 159 .
(21) نفسه : 160 .
(22) نفسه : 172 .
(23) نفسه : 172 .
(24) نفسه : 173 .

8 ــ احمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجي ( توفي 511 هـ ــ 1117 م ) ، قال عنه عياض : ( احد شيوخ القراء بجامع قرطبة المتصدرين، الاعلياء السند ) (25) ، ومن شيوخه مكي بن ابي طالب الذي اثرى المكتبة القرآنية في الغرب الاسلامي في النصف الاول من القرن الخامس للهجرة بما الفه في علم القراءات والتفسير . ولا يحدد عياض مقروءاته على هذا الشيخ او مروياته عنه ، فهو يكتفي بالقول ( : ( لقيته بقرطبة ، وجالسته ) (26) ، لكنها ، على اية حال ، لن تكون شيئا آخر غير ما يتصل بالتفسير ، والقراءات ، وخلافات القراء .

9 ــ ابو علي الصدفي ( توفي 514 هـ ــ 1120 م ) . وقد أورد عياض قائمة بموسوعاته عليه، وفيها كتاب « الناسخ والمنسوخ » لهبة الله بن سلامة البغدادي ، حدثه به عن الشيخ ابي محمد التميمي الحنبلي ، عن مؤلفه (27) ، والغالب على الظن أن يكون عياض انتفع بما كان عند شيخه هذا من مروياته عن أساتذته الذين اشتغلوا بالتفسير والفوا فيه من مثل ابي بكر الطرطوشي (28) .

10 ــ خلف بن ابراهيم بن خلف بن سعيد ( توفي 511 هـ ــ 1117 م ) ، كان ، بعبارة عياض ، ( زعيم المقرئين بقرطبة ) (29) ، ( واليه كانت الرحلة في علم القراءات في وقته ) (30) . ويذكر عياض انه حدثه بتفسير النقاش المسمى « شفاء الصدور » ، وناوله كتاب « طبقات القراء » لابي عمرو الداني المقري (31) .

11 ــ عبد الله بن ادريس بن سهل المقرىء ( توفي 515 هـ ــ 1121 م ) ، قرا عليه عياض ( القرءان برواية نافع ، وابن كثير ، وابي عمرو ، وابن عامر بطرقها ) (32) .

12 ــ عبد الرحمن بن محمد بن عتاب ( توفي 250 هـ ــ 1126 م ) ، كان ( قرا القرءان بالسبع مقارىء على ابي محمد ابن شعيب ، وجوده واقراه مدة ) (33) . وكان عالما بكثير من التفسير وغريبه ومعانيه (34) . وعليه قرا عياض كتاب « الناسخ والمنسوخ » لابي محمد مكي المقرىء ، حدثه به عنه، وسمع عليه جزءا من تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني واجازه باقيه ، وبعد ان ذكر عياض سنده في هذا السماع ، قال : ( ولنا فيه ــ اي تفسير عبد الرزاق ــ اسانيد اخرى ) (35) . وحدثه ، كذلك ، بتواليف ابن ابي زمنين (36) ، ومنها ، على ما هو معروف ، تفسيره ، ومختصره لتفسير ابن سلام (37) .

13 ــ علي بن احمد بن خلف الانصاري المعروف بابن البيذش ( توفي 528 هـ ــ 1133 م ) ، ( قرا القرءان والنحو على جماعة من ائمة هذا الشان ) (38) ، ومع

---

(25) نفسه : 184 .
(26) نفسه : 184 .
(27) نفسه : 196 .
(28) نفسه : 193 . هذا وللطرطوشي اثران في التفسير ، هما : مختصر تفسير الثعالبي ، وكتاب « المجالس » في التفسير . ونحن بصدد اعداده للنشر بحول الله .
(29) نفسه : 209 .
(30) نفسه : 210 .
(31) نفسه : 210 .
(32) نفسه : 218 .
(33) نفسه : 223 .
(34) انظر ، الداودي ، طبقات المفسرين ، 1 : 285 ، ترجمة رقم 269 .
(35) الغنية : 224 .
(36) نفسه : 224 .
(37) انظر ، الداودي ، طبقات المفسرين ، 2 : 161 .
(38) الغنية : 238 .

تصدره وتقدمه لم ( يقطع الطلب والسماع والرحلة ، سمع معنا على الشيوخ ، وكان يقرأ على المقرئين ما فاته من روايات ) (39) . ومع ان عياضا لا يسمي ضمن مقروءاته على ابن البيذش شيئا من كتب القراءات أو لغات القرءان ، الا ان اشتهار الرجل بضبط هذا العلم واتقانه حتى رحل اليه الناس في طلبه (40) ، وعد شيخ المقرئين والرواة في علم القرءان ، والقراءات ، واللغات بغرناطة (41) ، مما يقوي ظننا بانتفاع عياض به في هذه العلوم وافادته منه .

14 — علي بن محمد بن دري الانصاري (توفي 520 هـ — 1126 م) ، كان من المشهود لهم بالتقدم في القراءات والنحو . اشتغل بتدريس القراءات والتاليف فيها حتى انتهت اليه رئاستها بغرناطة (42) . قرأ عليه عياض في سبتة القرءان برواية ابن عامر ، ثم عاد فلقيه بغرناطة وسمع منه بعض كتابه في مخارج الحروف ، وحدثه بجميعه (43) .

15 — عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى ابن مؤمل الزهري ( توفي 530 هـ — 1135 م ) ، لقيه عياض بسبتة مرات ، واخبره بكتاب ( الوقف والابتداء ) لابن النحاس ، وبكتابه الآخر المسمى « معاني القرءان » سماعا منه الا ما فاته منه (44) .

16 — غالب بن عطية المحاربي ( توفي 518هـ 1124 م ) ، تصدر في غرناطة للتدريس ، والاسماع ، والتفسير ، واخذ عنه الناس كثيرا ، وانتفعوا به (45) وقد لقيه عياض بسبتة ، ثم تكرر لقاؤه به في قرطبة . يقول عياض : ( وفاوضته كثيرا ، وسمعت من لفظه فوائد ) (46) ، اغلب الظن انه كان منها ما يتعلق بالتفسير والقراءات .

والمتأمل في معارف هؤلاء الشيوخ جميعا يجدها تتمحور بالاساس ، على القرءان ، وتفسيره ، وقراءته ، وناسخه ومنسوخه ، وما يتصل بذلك او يتفرع منه ، ولا شك ان لقاء عياض لهؤلاء الشيوخ وجلوسه اليهم ، اسهم في تكوين جانب من شخصيته العلمية ، هو هذا الجانب الذي تحاول تجليته والكشف عنه في هذه الدراسة .

اما الكتب التي قراها على هؤلاء الشيوخ أو حدثوه او التي اجازه اياها بعض اعلام العلماء الاندلسيين (47) والمشارقة (48) ممن اشتهر

(39) نفسه : 239 .
(40) نفسه : 239 .
(41) نفسه : 238 .
(42) نفسه : 241 .
(43) نفسه : 241 .
(44) نفسه : 249 — 250 .
(45) نفسه : 254 .
(46) نفسه : 254 .
(47) من هؤلاء :
أ — ابو بكر الطرطوشي ( توفي 250 هـ — 1126 م ) الذي كتب اليه بجميع رواياته وتآليفه ، ومنها : اختصاره لتفسير ابن سلام ، وتفسيره المسمى ( المجالس ) . ( الغنية : 288 ) .
ب — شريح بن محمد الرعيني المقري ( توفي 539 هـ — 1144 م ) ، كتب اليه باجازة جميع رواياته ومقروءاته ، ومنها تصانيف ابيه في القرءان ، وقد اثنى عياض عليها . ( الغنية : 273 ) .
(48) ومن هؤلاء :
أ — ابو سعيد حيدر الجيلي ( توفي 530 هـ — 1135 م ) ، اجازه جميع رواياته ، وفيها تفسير الثعالبي ، وتفسير الواحدي . ( الغنية : 206 — 207 ) .
ب — علي بن المشرف الاسكندراني ( توفي 519 هـ — 1125 م ) ، كتب اليه باجازة جميع رواياته ، ومن ذلك تفسير عبد الرزاق الصنعاني . ( الغنية : 244 ) .
ج — علي بن ابي القاسم المهدوي ، اجازه جميع رواياته ، ومن ذلك في القراءات : الجامع الكبير ، وكتاب التلخيص لابي معشر الطبري . ( الغنية : 248 ) .

بالتضلع في التفسير والقراءات ، فيمكن تصنيفها على النحو التالي :

1 ــ القرءان بعدة قراءات .

ب ــ كتب القراءات ، وهي : كتاب «الهداية» في القراءات السبع من اختصار احمد بن عمر المهدوي ، وكتاب « التحصيل » و « التفصيل » للمهدوي ، و « المفتاح » لابن عبد الوهاب ، و « طبقات القراء » لابي عمرو الداني ، و « مخارج الحروف » لابن دري الانصاري ، و «الوقف والابتداء» لابن النحاس ، و « الجامع الكبير » المشتمل على الف وخمسمائة رواية لابي معشر الطبري ، و « التلخيص » للمؤلف نفسه .

ج ــ كتب التفسير ، وهي : اختصار تفسير الثعالبي للطرطوشي ، وتفسير القرءان للواحدي ، وتفسير القرءان لعبد الرزاق الصنعاني ، وتفسير القرءان لعبد المالك الثعالبي ، وتفسير القرءان المسمى « شفاء الصدور » للنقاش ، و « معاني القرءان » لابي جعفر النحاس .

د ــ كتب الناسخ والمنسوخ ، وهي : «الناسخ والمنسوخ » لابي محمد مكي المقرىء ، و « الناسخ والمنسوخ » لهبة الله البغدادي .

ومن المؤكد انه قد اتيح لعياض ان يقرا في غير هذه الكتب من مصادر التفسير والقراءات وعلوم القرءان ويفيد منها فيما كتب والف على نحو ما سنبين بعد ، بل اننا قد نذهب الى ابعد من ذلك فنقول بأن شغف عياض بالقرآن وتفاسيره كان يحمله حملا على استقصاء ما كانت تعرفه المكتبة القرآنية الى عصره من تراث في التفسير على اختلاف نزعة مؤلفيه ، وتباين اتجاهاتهم ، وذلك ما سنلمح جوانب منه في مواضع اخرى من هذه الدراسة .

على اننا يمكن ان نضيف الى هذه الكتب ، التي نص عياض في فهرسته انه قراها او رواها عن شيوخه في القرءان وعلومه مقروءاته من صحاح الحديث ومجاميعه ، من مثل صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، لما افرده فيها مصنفوها من ابواب ادرجوا فيها كثيرا من التفسير المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (49) ، بل لان مجموع محتوياتها من اقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريراته انما هي تبيان لكتاب الله تعالى أو هي ــ كما يعبر عنها ــ تفسير للقرءان بالسنة .

وبوسعنا أن نضيف الى هذا وذاك من مقروء عياض في التفسير والقراءات وعلوم القرءان الاخرى ومرويه فيها ، ما استوعبه الرجل من كتب في اللغة، والنحو ، والصرف ، والاشتقاق ، والبلاغة ، وهي ــ كما نفيد من الغنية ومن آثاره الاخرى كـ « بغية الرائد » ــ من التنوع ، والتعدد ، والكثرة ، بحيث يمكن القول بأنها تمثل جل الاسهامات الاندلسية والمشرقية واهمها ، الى عصر عياض ، في ميدان الدرس اللغوي ، والنحوي ، والبلاغي .

ولعلنا من خلال هذا العرض ، الذي لا نزعم له الاستيفاء ، لمعارف شيوخ عياض في التفسير والقراءات ، ولما استوعبه على ايديهم من الامهات المؤلفة في هذين العلمين أو فيما له مسيس اتصال بهما ، نستطيع ان نتصور مبلغ ما كان لاولئك الشيوخ من اثر بعيد في ثقافة عياض القرآنية ، ليس من قبل الافتراض في شيء القول بأنه ــ اي الاثر ــ كان هو الدافع لعياض على ان ينذر للقرءان الكريم حظا غير يسير من وقته ، يقرأه ويقرئه ، ويجري قلمه بما فيه من معان ، وبيان ، وأحكام ، وفي ذلك جميعه بعض من هذه الملامح التي نريد ان نؤلف بينها في محاولة لتبيين صورة عياض المفسر .

وما سنحاوله من جمع لملامح اخرى في هذه الصورة انما سنعتمد فيه ، ايضا ، تراث الرجل نفسه ، والمعروف ان في هذا التراث كتبا لم يرد بها عياض حين الفها الى تفسير القرءان ، ولكن موضوعاتها من جهة ، وهي اما في السيرة ، او في الحديث ، او في الفقه ، وسعة ثقافة مؤلفها القرآنية ، من جهة ثانية ، جعلا لها حظا من القرءان وتفسيره وعلومه تتفاوت نسبته فيما بينها ، على ان احفل كتبه بذلك واوفرها حظا هو كتاب ( الشفا ) ، وهو كتاب ــ كما لا نحتاج ان نذكر ــ هدف به مؤلفه الى اجتلاء الملامح العقدية ، والخلقية ، والنفسية ، والاجتماعية

(49) انظر ، صحيح البخاري ، 5 : 146 وما بعدها. وانظر ، صحيح مسلم ، 18 : 152 .

لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم . وحقا ان عياضا توسل في انجاز ذلك بما كان لـــه من معارف متنوعة في الحديث ، والسيرة ، والمغازي ، والاخبار والكلام ، والفقه ، ولكن اعتماده بالدرجة الاولى لــم يكن على اي من هذه العلوم ، بل كان على القــرءان ، فمن خلال عشرات ، بل بضع مئات من آي الكتـــاب الكريم استطاع عياض ان يستكشف شخصية الرسول الاعظم في بعدها العقدي والخلقـــي ، وفي افقهـــا النفسي والاجتماعي ؛ ومن هنا فقد وقـــع لنـــا في ( الشفا ) شيء غير يسير من التفسير ، لا شك انــه كان في طليعة مزايا الكتاب وخصائصه العلمية التي لفتت اليه الانظار ، ومكنت له في حلقات الـــدرس ، والى ذلك يلمح الشيخ ابو محمد عبد النور العمراني في بيت من جملة ابيات يشيد فيها بـ ( الشفا ) :

وقدم آيات الكتاب التـــي بهــــا
سما قدره فوق السماكين والنسر(50)

وكان السلطان ابو عنان المريني ( توفي 759هـ ـ 1357 م ) ممن استرعى انتباههم في شفاء عيـــاض جانبه التفسيري فاصدر امره بادراجه ضمن كتـــب التفسير التي كانت تدرس بجامعة القرويين ، ومنها تفسير الثعالبـــي (51) .

ومع اقرارنا بأن وفـــرة المـــادة القرآنيـــة والتفسيرية المبثوثة في مختلف فصول « الشفـــا » جعلت الكتاب اشبه شيء بتفسير جزئي للقرءان فاننا ينبغي ان نبادر الى القول بأن هـــذه المـــادة ، على وفرتها ، ليست تكفي في تبين منهج عياض فى التفسير على نحو مفصل ، مستوفي ، ولكنها ، على اية حال ، مسعفة في تأليف صورة لعياض المفســـر ، مهمـــا يلاحظ فيها من ثغرات فانها لا تخلو ، في تقديرنـــا ، من فائـــدة .

**مصادر عيـــاض المفسر :**

ان مؤلفا مثل عياض في الاطـــلاع الواسع على مختلف المعارف والعلوم ، والاحاطة الشاملة بما الف فيها وكتب، حقيق بأن يكون نتاجه مرآة لثقافته ومعرفته. ومن يقرأ صفحات التفسير في « الشفا » يلف نفسه بازاء مؤلف بقدر ما استوعب وتمثل ما كانت تحويــه المكتبة القرآنية على عصره من كتب في التفسيــر ، وتآليف في القراءات ، وتصانيف في علوم القرءان ، استوعب وتمثل كذلك ما كانت مختلف المكتبـــات العلمية تحويه من امهات الحديث ، وصحاح العربية ، واصول الفقه والكلام وغير ذلك .

ونحب في هذه الفقرة ان تكشف عـــن بعـــض المصادر التي افاد منها عياض في تفسيره ونقـــل عنها ، وهي كثيرة ، ومتنوعة ، بعضها في التفسير ، والقراءات ، وبعضها في الحديث ، وبعضها في علوم اخـــــرى .

**أ ـ مصـــادر التفسيـــــر :**

يمكن ان نميز في هذه المصادر انواعا ثلاثة :

اولا ـ مفسرون عرفوا بكتب لهم في التفسير، ذكر اسماءهم ، ونسب اليهم بعـــض منقولـــه من الاقوال والآراء ، ولكنه لم يسم كتبهم التي رجع اليها في ذلك ، وليس من تعليل لهـــذا في راينـــا ، الا ان عياضا كان يرى فى ذكر اسماء هؤلاء المؤلفين ما يغني عن ذكر اسماء مؤلفاتهم لشهرتها بين جمهور العلمـــاء والمتعلمين ، وانصراف الفكر اليها كلما ذكرت أسماء اصحابها مقرونة بنقول في موضوعات كتبهم ، وعلى هذا فان عياضا لم يجد اي حرج في ذكـــر اسمـــاء العلماء الذين ينقل عنهم واغفال عناوين كتبهم ، وكذلك نجده يفعل في مواضع متعددة من كتب له اخرى من مثل « مشارق الانوار » و « بغية الرائد » .

هؤلاء المفسرون هـــم :

1 ـ البصري ، وهو ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن البصري ( توفي 110 هـ ـ 729 م ) ذكر ابن النديم في ترجمته ان له كتابا في تفسير القرءان ، قال : رواه عنه جماعة (52) .

---

(50) انظـــر ، ازهار الرياض ، 4 : 281 .

(51) انظر ، د. عبد الهادي التازي ، تاريخ جامعة القروييـــن ، 2 : 372 .

(52) انظر ، الداودي ، طبقات المفسرين ، 1 : 147 . ترجمة رقم 144 . وانظر ، الشفا 2 : 34 .

2 ـ بكر بن محمد بن العلاء ، كنيته ابو الفضل ( توفي 344 هـ ـ 955 م ) ، من كبار فقهاء المالكية بمصر في القرن الرابع . الف كتبا جليلة ، منها : كتاب « احكام القرءان » ، وكتاب « ما في القرءان من دلائل النبوة » (53) .

3 ـ الثوري ، وهو ابو عبد الله سفيان بن سعيد ( توفي 161 هـ ـ 778 م ) ، له كتاب في التفسير روي عنه (54) .

4 ـ الزجاج ، وهو ابو اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل ( توفي 311 هـ ـ 923 م ) ، احد مشاهير علماء اللغة والنحو ببغداد . من كتبه : « معاني القرءان » (55) .

5 ـ زيد بن أسلم ، وهو الامام ابو عبد الله العمري ( توفي 136 هـ ـ 755 م ) له تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمن (56) .

6 ـ السلمي ، وهو ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين (57) ( توفي 412 هـ ـ 1021 م ) له كتاب سماه « حقائق التفسير » ، قيل فيه انه ملأه بتأويلات ومحامل للصوفية ينبو عنها ظاهر اللفظ (58) .

7 ـ السمرقندي ، وهو نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم ( توفي 375 أو 393 هـ ـ 985 أو 1002 م ) ، من مصنفاته : القرءان العظيم (59) .

8 ـ الضحاك ، وهو ابو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي ، ( توفي بعد المائة من الهجرة ) ، له تفسير روي عنه (60) .

9 ـ الطبري ، وهو ابو جعفر محمد بن جرير (61) ( توفي 310 هـ ـ 922 م ) ، له كتاب في التفسير سماه « جامع البيان عن تأويل آي القرءان » ، ضمنه تفسير الصحابة والتابعين والسلف الاول ، كما ضمنه آراءه وترجيحاته .

10 ـ ابن عباس ، وهو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، الصحابي الجليل (62) ( توفي 68 هـ ـ 687 م ) ، ومكانته في التفسير اشهر من أن يعرف بها . وينسب اليه كتاب في تفسير القرءان مطبوع باسم « تنوير المقياس من تفسير ابن عباس » .

11 ـ ابن فورك ، وهو ابو بكر محمد بن الحسن بن فورك الاصفهاني (63) ( توفي 406 هـ ـ 1015 م ) ، الف كتبا كثيرة في الحديث والتفسير ، منها : « معاني القرءان » .

12 ـ قتادة ، وهو ابو الخطاب بن دعامة البصري (64) ( توفي 118 هـ ـ 737 م ) ، وصفه ابن حنبل بالعلم في التفسير والفقه . وله تفسير روي عنه .

---

(53) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 118 ـ 120 . ترجمة رقم 112 . وانظر الشفا 2 : 173 .
(54) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 186 ـ 190 ترجمة رقم 186 . وانظر الشفا 2 : 14 .
(55) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 7 ترجمة رقم 10 . وانظر الشفا ، 1 : 25 .
(56) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 176 . ترجمة رقم 175 . وانظر الشفا ، 1 : 20 .
(57) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 137 ـ 139 . ترجمة رقم 484 . وانظر ، الشفا ، 1 : 14 ـ 25 .
(58) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 139 .
(59) نفسه ، 2 : 345 . ترجمة رقم 658 . وانظر ، الشفا ، 1 : 14 ، 2 : 126 ـ 170 ـ 177 ـ 194 ـ 208 .
(60) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 216 ، ترجمة رقم 211 . وانظر ، الشفا ، 2 : 14 .
(61) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 106 ـ 114 ، ترجمة رقم 468 . وانظر ، الشفا ، 1 : 73 ـ 146 ، 2 : 58 ـ 169 ـ 173 .
(62) انظر ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، 3 : 933 ، ترجمة رقم 1588 .
(63) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 129 ، ترجمة رقم 478 . وانظر ، الشفا ، 1 : 171 ، 2 : 175 .
(64) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 43 ، ترجمة رقم 415 . وانظر ، الشفا ، 1 : 35 .

13 ــ القشيري ، وهو أبو القاسم عبد الكريم ابن هوزان (65) ( توفي 465 هـ ــ 1072 م ) . صنف في الحديث ، والتصوف ، والتفسير ، وقيل عن كتابه فى التفسير انه من أجود التفاسير واوضحها(66).

14 ــ الماوردي ، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (67) ( توفي 450 هـ ــ 1058 م ) ؛ عني بالتاليف في التفسير ، وله فيه كتاب ، سماه : « النكت » .

15 ــ مجاهد بن جبر (68) ( توفي في اول المائة الثانية ) ، له تفسير مشهور ، منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ، وهو من مصادر الطبري الرئيسية .

16 ــ مكي بن ابي طالب (69) ( توفي 407 هـ ــ 1016 م ) ، غلب عليه علم القرءان وصنف فيه كتبا هامة ، منها : « الايجاز » في اعراب القرءان ، و « اللمع » و « الموجز » ، و « التبصرة » في القراءات ، و « الهداية » في التفسير ، وكتاب المأثور عن مالك في أحكام القرءان ، وتفسيره في عشرة اجزاء .

17 ــ النقاش ، وهو ابو بكر محمد بن الحسن ابن محمد الموصلي البغدادي (70) ( توفي 351 هـ ــ 962 م ) ، معدود في كبار المقرئين والمفسرين ، ومن آثاره في ذلك : « الاشارة في غريب القرءان » و « شفاء الصدور » في تفسير القرءان .

18 ــ الواسطي ، وهو ابو معاوية هشيم بن بشير (71) ( توفي 183 هـ ــ 800 م ) ، السف في السنن والمغازي ، وله تفسير يرويه عنه ابو هاشم زياد بن ايوب البغدادي .

هؤلاء هم المفسرون الذين نقل عنهم عياض في ( تفسيره ) دون تسمية مظان منقولة ، وهم جميعهم، كما رأينا ، ذوو اسهامات معروفة في التفسير او في علوم القرءان الاخرى ، ونحن لا نستبعد ان يكون عياض افاد من أصول هذه المظان مباشرة ، فمنها طائفة كان أهل العلم في الغرب الاسلامي يروونها ويتدارسونها منذ القرن الثالث ، ومن ذلك التفسير المنسوب للحسن البصري (72) ، والتفسير المنسوب لابن عباس (73) ، وتفسير الطبري (74) . ومنها ايضا تصانيف تأكد لدينا ، فيما سبق ان عياضا

---

(65) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 338 ــ 346 . ترجمة رقم 302 . وانظر ، الشفا ، 1 : 198 ، 2 : 116 ــ 169 ــ 170 ــ 171 .

(66) انظر ، طبقات المفسرين ، 1 : 344 .

(67) نفسه ، 1 : 423 ــ 425 . ترجمة رقم 368. وانظر ، الشفا ، 1 : 17 ــ 34 ، 2 : 102 ــ 107ــ 111 ــ 126 ــ 170 ــ 171 ــ 193 .

(68) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 305 ــ 308 . ترجمة رقم 617 . وانظر ، الشفا ، 1 : 74 ، 34:

(69) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 331 ــ 332. ترجمة رقم 643 . وانظر ، الشفا ، 1 : 17 ــ 36 ، 2 : 102 ــ 107 ــ 111 ــ 126 ــ 170 ــ 171 ــ 193 .

(70) انظر ، السيوطي ، طبقات المفسرين : 29 . وانظر ، الشفا ، 1 : 116 ــ 128 .

(71) انظر ، طبقات المفسرين ، 2 : 352 ــ 353. ترجمة رقم 669 . وانظر ، الشفا ، 1 : 32 ــ 33 ــ 45 ، 2 : 177 .

(72) دخل هذا التفسير الاندلس مع مطالع القرن الثالث على يد بعض القرطبيين العائدين من الشرق امثال أبي بكر يحيى بن يحيى المعروف باسم السمنة ( توفي 237 هـ ــ 851 م ) . انظر ، تاريخ علماء الاندلس ، 2 : 188 . ع 1 .

(73) نعرف من رواته في الاندلس أبا زيد عبد الرحمن بن سعيد الجزيري ( توفي 265 هـ ــ 878 م). انظر ، تاريخ علماء الاندلس ، 1 : 259 . ع.2 .

(74) كان من أوائل رواته في الاندلس أبو أيوب سليمان بن محمد بن سليمان الذي عاد من رحلته التي سمع فيها كتب الطبري سنة 337 هـ . انظر ، تاريخ علماء الاندلس ، 1 : 188 . ع. 1 .

درسها على بعض شيوخه ، ونعني بها تصانيف المقرىء المفسر مكي بن ابي طالب (75) ، وآثار النقاش في التفسير وخاصة كتابه المسمى «شفاء الصدور»(76). وفيها كذلك طائفة اخرى لم يذكر عياض انه درسها على شيوخه او رواها عنهم ، ولكننا لا نستبعد ذلك لسببين ، اولهما : ما نتصوره من حرص عياض على اقتناء مثل هذه التآليف وشغفه بقراءتها ، وثانيهما : انها كانت مما يدرس في حلقات التفسير ، والقراءات، واللغة يومئذ في الاندلس ، ويستجيز طلبة العلم شيوخهم فيها ، وذلك من مثل « معاني القرءان » للزجاج (77) ، و « مشكل القرءان » لابن قتيبة (78).

وليس من المستبعد ، كذلك ، ان يكون عياض افاد ، بطريقة غير مباشرة ، من بعض هذه المصادر ، ولا سيما تلك التفاسير التي رويت عن بعض أعلام القرن الاول والثاني امثال : الضحاك ، وقتادة ، ومجاهد ، وزيد بن اسلم ، وانتهت الينا ، كما انتهت قبلا ، الى عياض ، مدرجة في تفاسير القرون التالية كتفسير ابن جرير الطبري .

ثانيا — مفسرون لم تعرف لهم كتب ، وعرفت لهم اقوال وروايات في التفسير ، ضمت عليها التفاسير المتاخرة . ومن اكثر اسماء هؤلاء المفسرين ورودا في نقولات عياض : علي بن ابي طالب (79) ، وكعب الاحبار (80) ، وجعفر بن محمد الصادق (81) ، والسدي (82) ، وابن الكلبي (83) .

ثالثا — مفسرون لم يعين اسماءهم . الغالب على عياض في ( تفسيره ) أن يعزو الاقوال والروايات لاصحابها ، لكننا وجدناه ، في بعض الاحيان ، يستشهد باقوال ، او يورد آراء دون ان ينص على اسماء اصحابها ، بل كان يكتفي بان يقدم لها بقوله : ( قيل ) (84) او ( اكثر المفسرين على ان ... ) (85) او ( قال المفسرون ) (86) او ( اتفق اهل التفسير — او — قال اهل التفسير ) (87) او ( قال بعض المفسرين ) (88) . وليس من الميسور تعيين اسماء هؤلاء المفسرين الذين رجع اليهم عياض ولم يصرح بأسمائهم ، ولكنهم لن يكونوا ، بأية حال ، الا من هؤلاء الصحابة والتابعين الذين عنوا بتفسير القرءان واثرت عنهم في ذلك بعض الاقوال والروايات ، او من مؤلفي التفاسير الجامعة التي كانت متداولة في عصر عياض .

وأيا ما كانت الحال فان عياضا افاد في ( تفسيره ) من تراث هؤلاء المفسرين . ويمكن تحديد طريقته في هذه الافادة على النحو التالي :

1 — الاستعانة بقول او راي المفسر او المفسرين في اضاءة جوانب الآية او الآيات على النحو الذي يسهم في بلورة دلائل النبوة كما كان يؤمن بها عياض بوصفه مفكرا سنيا . ونكتفي من الامثلة الكثيرة بهذا :

( ... ومن هذا قوله تعالى : « الم نشرح لك صدرك » ، الى آخر السورة . شرح وسع . والمراد بالصدر هنا القلب ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : شرحه بنور الاسلام . وقال سهل : بنور الرسالة .

---

(75) انظر ، ص 6 — 7 — 9 من هذه الدراسة .
(76) انظر ، ص 7 — 9 من هذه الدراسة .
(77) انظر ، فهرسة ابن عطية ، لوحة 43 و . (مصورة خاصة ) .
(78) نفسه ، لوحة 49 ظ .
(79) انظر ، الشفا ، 1 : 11 — 35 .
(80) نفسه ، 1 : 13 .
(81) نفسه ، 1 : 15 — 25 — 29 — 41.
(82) نفسه ، 1 : 35 ، 2 : 34 .
(83) نفسه ، 1 : 11 .
(84) نفسه ، 1 : 14 .
(85) نفسه ، 1 : 18 — 159 .
(86) نفسه ، 1 : 35 — 73 — 74 ، 2 : 6 — 127 .
(87) نفسه ، 1 : 24 — 36 — 44 — 152
(88) نفسه ، 2 : 93 — 125 .

وقال الحسن : ملاه حكما وعلما . وقيل : معناه الم يطهر قلبك حتى لا يقبل الوسواس . « ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك » . قيل : ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة . وقيل : اراد ثقل ايام الجاهلية . وقيل : اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها . حكاه الماوردي والسلمي . وقيل : عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك . حكاه السمرقندي . « ورفعنا لك ذكرك » . قال يحيى بن آدم : بالنبوة . وقيل : اذا ذكرت ذكرك معي في قول لا اله الا الله محمد رسول الله . وقيل : في الاذان والاقامة(89).

وفي ضوء هذه الاقوال والآراء ، يصوغ عياض تفسيره للسورة :

( قال الفقيه القاضي ابو الفضل : هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه ، وشريف منزلته عنده ، وكرامته عليه،بان شرح قلبه للايمان والهداية ، ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ، ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه ، وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله ، وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه ، وجليل رتبته ، ورفعة ذكره ، وقرانه مع اسمه (90) .

ثم عاد ليضوء جوانب السورة باقوال المفسرين:

( قال قتادة : رفع الله تعالى ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول : «اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله » . وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اتاني جبريل عليه السلام ، فقال : ان ربي وربك يقول : تدري كيف رفعت ذكرك ؟ قلت : الله ورسوله اعلم . قال: اذا ذكرت ذكرت معي». قال ابن عطاء: جعلت تمام الايمان بذكرك معي . وقال ايضا : جعلتك ذكراً من ذكري فمن ذكرك ذكرني . وقال جعفر بن محمد الصادق : لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية . واشار بعضهم في ذلك الى مقام الشفاعة ) (91) .

2 ـ ايراد اقوال وآراء المفسر او المفسرين في الآية او الآيات ، ثم تعقبها بالنقد والمناقشة لردها ودحضها ، وتقديم الراي الذي يطمئن اليه لما يحققه من تأكيد لحقائق النبوة ودلائلها ممثلة في شخصية محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، وهو الهدف الرئيس الذي الف عياض من اجله كتابه .

والامثلة على ذلك غير قليلة ، نجتزىء منها بهذا المثال من الفصل الذي عقده عياض حول رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل ، وفيه نرى كيف يورد عياض ، اولا ، آراء واقوال المفسرين في الموضوع انطلاقا من قوله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما راى ، افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى » ، ونقرا فيما نقرأ :

( ... قال احمد بن حنبل : رآه بقلبه . وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار . وقال سعيد بن جبير : لا اقول رآه ولا لم يره . وقد اختلف في تاويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود ، فحكي عن ابن عباس وعكرمة : رآه بقلبه ، وعن الحسن وابو مسعود : راى جبريل . وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال : رآه ، وعن ابن عطاء في قوله تعالى : « الم نشرح لك صدرك » . قال : شرح صدره للرؤية ، وشرح صدر موسى للكلام ، وقال ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه : انه راى الله تعالى ببصره وعيني راسه ... ) (92) .

ثم نراه يتعقب هذه الآراء والاقوال وغيرها مما يجده القارىء في محاله من « الشفا » ، ينتقد ، ويناقش ، ويرد ، معتمدا ، في ذلك ، على قدرته العقلية ، وثقافته النقلية ، وفي هذا التعقيب نقرا فيما نقرا :

( قال القاضي ابو الفضل وفقه الله : والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا ، وليس في العقل ما يحيلها ، والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ،

---

(89) نفسه ، 1 : 14 .
(90) نفسه ، 1 : 14 ـ 15 .
(91) نفسه ، 1 : 15 .
(92) نفسه ، 1 : 155 .

ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه ، بل لم يسال الا جائزا غير مستحيل ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله ... ) (93) .

ثم نقرا :

( وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ، ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى : « لا تدركه الابصار » لاختلاف التاويلات في الآية ، واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة ، وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة ...) (94).

ثم ينتهي عياض الى هذه النتيجة التي يطمئن اليها :

( واما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص ، اذ المعول فيه على آيتي النجم (95) ، والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ، ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ) .

وبعد ان يبين ما في الاحاديث المروية في الموضوع والمفسر بعضها للآية من احتمال التأويل ، ومن اضطراب في الاسناد والمتن ، ومن اشكال ، يقرر في نهاية المناقشة والنقد :

( ... فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه ، اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده ، والله الموفق للصواب ) (96) .

**ب ـ مصادر النحو واللغة والقراءات :**

وأفاد عياض في شروحه اللغوية ، واشاراته الى بعض أوجه الاعراب او القراءات من أمهات الكتب في هذه العلوم . وهذه أسماء المؤلفين الذين نسب اليهم عياض تلك الشروح والاشارات ، وهو لم يذكر اسماء كتبهم التي نقل منها لاشتهارها وذيوعها : الازهري (97) ، وثعلب (98) ، وسيبويه (99) ، والفراء (100) ، والمبرد (101) ، والكسائي (102) ، ونفطويه (103) .

**ج ـ مصادر الحديث :**

كما رجع عياض في ( تفسيره ) الى مجاميع الحديث وصحاحه ، وهي : صحيح البخاري ، (104) وصحيح مسلم ، (105) ومسند ابي داود ، (106) والنسائي (107) ، والترمذي (108) ، وأبن

---

(93) نفسه ، 1 : 156 .
(94) نفسه ، 1 : 156 .
(95) يريد قوله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما راى ، أفتمارونه على ما يرى » ، النجم 11 ـ 12 .
(96) انظر ، الشفا ، 1 : 159 .
(97) نفسه ، 2 : 223 .
(98) نفسه ، 1 : 243 .
(99) نفسه ، 1 : 243 .
(100) نفسه ، 1 : 76 .
(101) نفسه ، 1 : 232 .
(102) نفسه ، 1 : 63 .
(103) نفسه ، 1 : 204 .
(104) نفسه ، 1 : 183 .
(105) نفسه ، 1 : 183 .
(106) نفسه ، 1 : 177 .
(107) نفسه ، 1 : 66 .
(108) نفسه ، 1 : 172 .

حنبل ، (109) ، وموطا مالك ابن انس (110) ، فضلا عن كتب اخرى في الحديث لمؤلفين مشارقة امثال: ابي جعفر محمد بن عمرو العقيلي (111) ، وعبد الباقي بن قانع البغدادي (112) ، وآخرين اندلسيين امثال : ابن عبد البر (113) ، وابي الوليد الباجي(114) وافاد كذلك من مروياته عن بعض شيوخه في الحديث ، وفي مقدمتهم ابو علي الصدفي (115) .

### د ـ مصادر السيرة :

ونظرا الى ان الآيات التي عني عياض بتفسيرها كانت في غالبيتها مما يتصل بسيره الرسول صلى الله عليه وسلم وشخصيته ، فان عياضا كان يفيد في بعض الاحيان من مؤلفي السيرة مثل ابي عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار (116) ، ومحمد بن عمر الواقدي (117) ، وغيرهما .

### هـ ـ مصادر الكلام :

ولما كان الناظر في الآيات المتعلقة بالغيبيات وبالنبوات مدعوا الى التزود من علم اصول الدين فقد وجدنا عياضا يفيد من مؤلفات الاصوليين والكلاميين امثال الاشعري (118) ، والبقلاني (119)، وابن فورك (120) ، والاسفرائيني (121) ، والجويني (122) .

### منهج عياض في التفسير :

ليس من اليسير في شيء استخلاص صورة جلية لـ ( منهج ) عياض في التفسير من خلال ما تناوله في « الشفا » ـ وهو عمدتنا في هذه الدراسة ـ من آيات ، هي وان كانت كثيرة العدد الا انها ليست تمثل من مجموع آيات المصحف الا ما يقرب من عشرها (123) فضلا عن انها تكاد تكون جميعها مقصورة على موضوع واحد من موضوعات القرءان وهو موضوع النبوة والانبياء وما يتصل به من المعجزة ، والعصمة ، وما الى ذلك ، ومن هنا فان ما سنحاول تقديمه في هذه الفقرة هو اشبه بالخطوط العامة و ( التقريبية ) منه بالصورة ذات الملامح البينة والجلية لما دعوناه بـ ( منهج ) عياض في التفسير ، لكن تلك الخطوط على ( عموميتها ) و ( تقريبيتها ) ، تظل ، برأينا ، دالة على مجموع ملامح الصورة وتقاسيمها .

ترى ، اي منهج كان عياض يصطنع لو انه كتب تفسيرا لمجموع النص القرآني ؟ .

---

(109) نفسه ، 1 : 172 .
(110) نفسه ، 1 : 154 .
(111) نفسه ، 1 : 224 .
(112) نفسه ، 1 : 183 .
(113) نفسه ، 1 : 154 .
(114) نفسه ، 1 : 163 .
(115) نفسه ، 1 : 73 ـ 197 .
(116) نفسه ، 1 : 122 .
(117) نفسه ، 1 : 123 .
(118) نفسه ، 1 : 124 .
(119) نفسه ، 1 : 153 .
(120) نفسه ، 1 : 167 .
(121) نفسه ) 1 : 159 .
(122) نفسه ، 1 : 128 .
(123) قال ابو عمرو الداني المقرىء : « اجمعوا على ان عدد آيات القرءان ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال : ومئتا آية واربع آيات ، وقيل : واربع عشرة ، وقيل : وتسع عشرة وقيل : وخمس وعشرون ، وقيل : وست وثلاثون . اما عدد الآيات في « الشفا » فهي ثلاث وسبعون وخمسمائة .

لقد كان عياض ( فقيها ، حافظا لمسائل المختصر والمدونة ، قائما عليها ، حاذقا بتخريج الحديث من مفهومها ، عاقدا للشروط ، بصيرا بالفتيا والاحكام والنوازل ) (124) ، الامر الذي أهله لتولي القضاء ، والتصدر للفتيا ، والتاليف في الفقه، وكان من شانه ذلك كله ان يحمله على اصطناع منهج الفقهاء في التفسير ، وهو منهج يقوم على استنباط الاحكام من الآيات ، وتقرير الادلة للفروع الفقهية .

ولكن عياض ( من ائمة وقته في الحديث وفقهه وغريبه ومشكله ومختلفه ) (125) متمكنا من صحيحه وسقيمه وعلله ، وحفظ رجاله ومتونه ، اسمعه طويلا ، (126) والف فيه ، ولا شك ان مثل هذه المعرفة الواسعة بالحديث كانت كفيلة بأن تدفع بصاحبها ، حين يجلس للتفسير ، الى الافادة من منهج المحدثين في تفسير القرءان ، وهو كما نلمح في نماذجه التي وصلتنا معززة لافراد من جيل الصحابة والتابعين من امثال ابن عباس ، والحسن البصري ، يعتمد القرءان ، بالدرجة الاولى ، في تفسير القرءان، ثم الحديث ، والسيرة التي يكتشف في ضوئها اسباب النزول ، وظروف النسخ .

وكان عياض على اطلاع واسع بالتاريخ ، ( عارفا باخبار الملوك ، وتنقل الدول ، وايام العرب وسيرها وحروبها ومقاتل فرسانها ، ذاكرا لاخبار الصالحين وسيرهم واخبار الصوفية ومذاهبهم ) (127) ، عني بالتاليف في تاريخ مسقط راسه ، وفي تاريخ الدولة القائمة على عصره ، وفي تاريخ شيوخه ، وفي تاريخ اعلام مذهبه المالكي ، ومثل هذا الشغف بالتاريخ والتعلق به كان قمينا بان يوجه صاحبه ، كلما اراد الى تفسير القرءان ، نحو منهج المؤرخين و ( الحكائيين) في التفسير ، وهو منهج يشغل فيه اصحابه بالقصص والحكايات ، والتوسع في ذكر اخبار الامم والانبياء والرسل ، صحت أم لم تصح .

وكان عياض ( حافظا للغة والاغربه والشعر والمثل ) (128) ، فيما بوجوه القراءات ، عارفا بمعانيها ، ( نحويا ريان من الادب ، شاعرا مجيدا . . . من اكتب اهل زمانه ) (129) ، ولقد عكست كثير من مؤلفاته ، من مثل « المشارق » و « بغية الرائد » ، جوانب من ثقافته هذه . وكان من شان هذا التمكن في العلوم اللسانية ، الى جانب ما كان عليه الرجل من احساس مرهف ، وما كان يمتلكه من ذوق رفيع ، أن يغري صاحبه حين يفسر القرءان باحتذاء منهج اللغويين ، والنحويين ، والبيانيين في التفسير ، وهو منهج يقوم في جانبه اللغوي على توضيح اللفظ القرآني وتبيين مدلوله ، وفي جانبه النحوي على درس المعنى في التركيبة اللغوية للجملة القرآنية في ضوء الاوجه الاعرابية ، وفي جانبه البياني على استكشاف ما في النص القرآني من روعة في الاداء ، واحكام في التعبير ، ودقة في التركيب ، مما تتشكل منه الصورة البلاغية المعجزة .

واذن ، فان هذه المناهج المختلفة في التفسير لم تكن لتستعصي على معارف عياض او تتابى على مواهبه ، ولكننا مع ذلك نجهل ايا منها كان يؤثر بالاصطناع او انه ندب نفسه لافراد القرءان بتفسير كامل ، ومن يدري ، فلعله كان الف بينها ، او بين جلها ، وجمع ، على نحو ما سيتراءى لنا من خطوط ( منهجه ) العامة ، و ( التقريبية ) التي سنجتهد في لمها من صفحات « الشفا » .

## 1 ـ عياض مفسرا نقليا :

لعل أول ما يسترعي النظر في تفسير عياض اعتماده بالدرجة الاولى على النقل أو ما اصطلح على تسميته ب ( التفسير المأثور ) ، ويتجلى ذلك من خلال عنايته باضاءة النص القرآني بالاشارة الى :

---

(124) انظر ، التعريف بالقاضي عياض : 4 .
(125) نفسه : 4 .
(126) نفسه : 12
(127) نفسه : 5
(128) نفسه : 4
(129) نفسه : 5

## 1 – أسباب النزول :

يقدم بها ، احيانا ، للآيات التي يريد تفسيرها كقوله في سبب نزول « والضحى والليل اذا سجى» السورة ( اختلف في سبب نزول هذه السورة . فقيل : كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام . وقيل : بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة ) (130) .

والقاضي عياض يستقصي في ايراد أسباب النزول مختلف الروايات والاقوال مثلما راينا في المثال السابق ، ومثلما تراه يصنع بشيء من التفصيل في الحديث عن أسباب نزول قوله تعالى : « قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك » (131) ، ( قال علي رضي الله عنه : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم : « انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به » ، فانزل الله تعالى : « فانهم لا يكذبونك » ، الآية . وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال : ما يحزنك ؟ قال : كذبني قومي . فقال : انهم يعلمون انك صادق . فانزل الله تعالى الآية ) (132) .

والغالب على عياض حرصه على اسناد سبب النزول الى رواته ، ففي سبب نزول قوله تعالى :

« والله يعصمك من الناس » (133) يقول :

( اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري ، قال : حدثنا ابو الحسن الصيرفي ، قال : حدثنا ابو يعلى البغدادي ، حدثنا أبو علي السنجي ، حدثنا ابو العباس المروزي ، حدثنا أبو عيسى الحافظ ، حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا مسلم بن ابراهيم ، حدثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها ، قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية : والله يعصمك من الناس » فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة ، فقال لهم : يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل ) (134) .

لكنه ، احيانا ، لا يسند الرواية الى راو بعينه ، وذلك مثلما راينا في المثال الاول ، ونرى في المثال التالي حيث يتحدث عن سبب نزول قوله تعالى : « لا تجعلوا ادعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » (135) ( قيل : نزلت الآية في وفد بني تميم، وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه : « يا محمد اخرج الينا » . فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن اكثرهم لا يعقلون ) (136) .

وليس يكتفي عياض في بعض الاحيان بايراد أسباب نزول هذه الآية أو تلك ، بل نجده الى جانب ذلك يفصل القول فيما كان لها من اثر ووقع في نفوس الصحابة ، ونجتزيء من ذلك بهذا المثال :

( ... وقيل نزلت الآية الاولى (137) في محاورة كانت (138) بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما . وقيل : نزلت في ثابت بن

---

(130) انظر ، الشفا ، 1 : 27 – 28 .
(131) الانعام 33 . وتتمتها : « ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .
(132) انظر ، الشفا ، 1 : 23 .
(133) المائدة : 67 . ونص الآية : « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين » .
(134) انظر ، الشفا ، 1 : 289 – 290 .
(135) النور ، 63 . وتتمتها : « قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » .
(136) انظر ، الشفا ، 2 : 35 .
(137) المراد قوله تعالى : « يا أيها الذين ءامنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وانتم لا تشعرون » . الحجرات : 2 .
(138) في النسخة التي اعتمد ( وكانت ) .

قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله ، ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : يا نبي الله ، لقد خشيت ان أكون هلكت ، نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا ثابت ، اما ترضى ان تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا ، وتدخل الجنة ». فقتل يوم اليمامة . وروى أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية ، قال : « يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار » ، وان عمر كان اذا حدثه كاخي السرار ، ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، فانزل الله تعالى فيهم : « ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم » (139) ، وقيل : نزلت « ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (140) ، في غير بني تميم نادوه باسمه . وروى صفوان بن عسال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري : أيا محمد ، أيا محمد ، أيا محمد ، فقلت له : اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت » (141) .

## 2 ــ تفسير القرءان بالقرءان :

وهذا عنصر رئيس في التفسير النقلي او التفسير المأثور ، وهو يقوم على قاعدة ان القرءان يفسر بعضه بعضا كما يقول الزمخشري (142) ، ولما كانت بنية ( الشفا ) ترتكز على مجموعة من الفصول ، يصور المؤلف في كل منها جانبا من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم او يتناول موضوعا من موضوعات النبوة والانبياء بصفة عامة فقد استدعى هذا منه ــ كما استعان بالقرءان ــ ان يورد في كل فصل الآيات التي تشترك ، من هذا النحو أو ذاك ، في معالجة موضوعه ، ومن الامثلة على ذلك ما نقراه في تفسيره لقوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من انفسكم ... » (143) ، فبعد ان فسر الآية قال : ومثله في الآية الاخرى قوله تعالى : « لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم »(144) الآية . وفي الآية الاخرى : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم » (145) الآية . وقوله تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم » (146) (147) .

## 3 ــ تفسير القرءان بالسنة :

وهذا عنصر بالغ الاهمية في التفسير بالمأثور، يقوم على استخلاص مفهومات النص القرآني ودلالاته من الحديث النبوي الشريف . وقد أكثر عياض في تفسيره من الاعتماد على الحديث ، وهو أمر بدهي بالنسبة لمفسر اجمع المترجمون به على الاشادة بتمكنه من الحديث وتضلعه في علومه .

وهذه بعض الامثلة :

في تفسيره لقوله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (148) ، كان مما اورده من الحديث

(139) الحجرات : 3 .
(140) تتمة الآية « اكثرهم لا يعقلون » . الحجرات : 4 .
(141) انظر ، الشفا ، 2 : 35 ــ 36 .
(142) انظر ، الكشاف ، 1 : 456 .
(143) تتمة الآية « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » التوبة : 128 .
(144) تتمة الآية « يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين» آل عمران : 164 .
(145) تتمة الآية « يتلو عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » الجمعة : 2
(146) تتمة الآية : « يتلو عليكم ءاياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » البقرة : 151 .
(147) انظر ، الشفا ، 1 : 11 .
(148) الانبياء : 107 .

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حياتي خير لكم وموتي خير لكم » ، وقوله : « اذ اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعلـه لها فرطا وسلفـا » ، واضاف عياض : ( وحكي ان النبي صلى الله عليـه وسلم قال لجبريل عليه السلام : هل أصابك من هذه الرحمة شيء ؟ قال : نعم ، كنت اخشى العاقبـة فأمنت لثناء الله عز وجل علي بقوله : « ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين » (149) (150) .

وفي تفسير قوله تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » (151) اورد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنزل الله علي أمانين لامتي : وما كان الله ليعذبهم وانـت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفـرون ، فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار » (152) .

وفي تفسير قوله تعالى : « خذ العفو وأمـر بالعرف » (153) الآية ، قال : ( روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هـذه الآية سأل جبريـل عليه السلام عن تأويلها . فقال له : حتى أسأل العالم . ثم ذهب فأتاه فقال : « يا محمد ، ان الله يأمـرك ان تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفـو عمن ظلمك ... ) (154) .

## 4 ـ تفسير القرءان بالمنقول عن الصحابـة والتابعيـــن :

هذا عنصر آخر واخير من التفسير بالمأثور ؛ وهو ما نقل عن الصحابة أو روي عن التابعين مـن اقوال في التفسير واسباب النزول وما اليهما . وقد استعان عياض كثيرا في تفسيره بهذا العنصر ، فنقل في غير ما موضوع عن ابن عباس ، والسيدة عائشة، وعلي بن ابي طالب ، وجعفر الصادق ، وكعب الاحبار، وسفيان الثوري ، والضحاك ، ومجاهد ، وابن الكلبي وسعيد بن جبير ، والسدي ، وقتادة ، وعطـاء بن رباح ، ومالك ابن دينار ، على أن اكثر هذه الاسمـاء ورودا في تفسير عياض هو اسم ابن عبـاس (155) رضي الله عنهما .

والامثلة هي منقولة عن هؤلاء جميعا مما يطالعنا في مختلف الآي التي تناولها بالتفسير ، نكتفي ببعضه في الاستشهـــاد :

في تفسير قوله تعالى : « وكان تحتـه كنـز لهما » (156) ، نقل قول ابن عباس ( لوح من ذهـب فيه مكتوب : عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصـب ، عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك ، عجبـا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها ، انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي ) (157) .

وفي تفسير قوله تعالى : « واذا اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه ، قال ، أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قال اقررنا قال فاشهـدوا وانا معكم من الشاهدين » (158) نقل قول علي بن أبي طالب ( لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ

---

(149) التكويـر : 20 ـ 21 .
(150) انظـر ، الشفا ، 1 : 12 ـ 13 .
(151) الانفـــال : 33 .
(152) انظر ، الشفا ، 1 : 38 .
(153) تتمة الآية « واعرض عن الجاهلين » . الاعراف : 199 .
(154) انظـر ، الشفـا ، 1 : 78 .
(155) انظر ، على سبيل التمثيل ، الشفا ، 1 : 14 ـ 134 ـ 148 ـ 153 ـ 154 ـ 155 ـ 160 ـ 161 ـ 181 ، 2 : 108 ـ 126 ـ 175 الخ .
(156) نص الآية « واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته من أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا » . الكهف : 82 .
(157) انظـر ، الشفـا ، 1 : 134 .
(158) آل عمـــران : 81 .

عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم ان بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومــــه ) (159) .

وفي تفسير قوله تعالــى : « وتقلبــك فــي الساجدين » (160) اورد قول مجاهـد ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه ) (161) .

وفي تفسير قوله تعالى : « ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل » (162) ، قال : ( اي هديناه صغيرا، قاله مجاهد وغيره ، وقال ابن عطاء : اصطفاه قبــل ابداء خلقه ) (163) .

وقد تلمح شخصية عياض المفسر من خــلال اعتماد صاحبها الرواية المأثورة في التفسير ، قرآنا كانت او سنة ، واقوال صحابة كانت او آراء تابعين ، شخصية لا تملك القدرة على تجاوز حدود النقــل والرواية بالاجتهاد في ابداء الراي والادلاء به ، وهذا غير صحيح ، فان عياضا كان يفيد ، حقا ، من الرواية المأثورةما وجد اليها سبيلا،ولكنهلم يكن يكتفيبذلك، بل كان غير ما مرة يتعقب الاقوال ، ويناقش الآراء ، ويرد منها ما يرد ، ويقرر ما يقرر ، ولسنا نحب ان نستكثر من الامثلة ، ولكننا لا نجد مفرا من تقديــم بعضهــا :

مــن ذلــك :

( ... فان قلت فما معنى قوله : « فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » (164) الآيتين ، فاحذر ــ ثبت الله قلبك ــ ان يخطر ببالك ما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلــم فيما أوحى اليه وانه من البشر ، فمثل هذا لا يجوز عليه جملة ، بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحــوه عن ابن جبيــر والحسن . وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليــه وسلم قال : ما اشك ولا اسأل ، وعامة المفسريــن على هذا ، واختلفوا في معنى الآية ، فقيل : المراد، قل يا محمد للشاك : ان كنت في شك ــ الآيــة ــ . قالوا : وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل ، قوله : « قل يا ايها الناس ان كنتــم في شك مــن ديني » (165) الآية ، وقيل : المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلــم كما قال : لئــن اشركت ليحبطن عملك » (166) الآية . الخطاب لــه والمراد غيره ، ومثله « فلا تك في مرية مما يعبــد هؤلاء » (167) ونظيره كثير . قال بكر بن العلاء : الا تراه يقول : « ولا تكونن من الذين كذبــوا بآيــات الله » (168) . وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب فيما يدعو اليه ، فكيف يكون ممن كذب به ، فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره . ومثل هذه الآية قوله : « الرحمن فاسأل به خبيرا » (169) . المأمور ههنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبــي

---

(159) انظــر الشفــا ، 1 : 135 .

(160) الشعــــراء : 219 .

(161) انظــر ، الشفــا ، 1 : 54 .

(162) تتمة الآية : « وكنا به عالمين » الانبياء : 51

(163) انظــر ، الشفــا ، 1 : 74 .

(164) تتمة الآية « لقد جاءكم الحق من ربك ، فلا تكونن من الممترين » يونس : 94 .

(165) تتمة الآية « فلا اعبد الذين تعبــدون من دون الله ولكن اعبد الذي يتوفاكم وامرت ان اكون مــن المومنيــن » يونس : 104 .

(166) نص الآية « ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونــن مــن الخاسرين » الزمــر : 65 .

(167) تتمة الآية : « ما يعبدون الا كما يعبــد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقــوص » هـــــود : 109 .

(168) تتمة الآية : « فتكون من الخاسرين » يــونس : 95 .

(169) نص الآية : « الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العــرش فاسأل به خبيرا » الفرقــان : 59 .

والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤول لا المستخبر السائل ) (170) .

وهو في تعقيباته ومناقشاته ينطلق مما كان عنده من ثقافة واسعة في الحديث ، واللغة ، والاصول ، بل اننا نجده يوظف معرفته ، أيا كان مجالها ، في تاكيد دلائل النبوة وترسيخ علاماتها في النفوس ، فلننظر اليه وهو يتصدى بالرد على منكري معجزة انشقاق القمر ، لنرى كيف انه لا يعتمد في هذا الرد على معرفته بالتفسير فحسب ولكنه ، الى جانبهما ، يستعين بمعرفته في الفلك :

( قال الله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » (171) . اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه ) (172) .

وهو بعد ان يضيء جوانب الآية بالاحاديث التي تكشف عن ظروف النزول وملابساته ، وتشرح ما اوجزت الآية ذكره ، يشرع في التعقيب :

( واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة ، والآية مصرحة ، ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم ، اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة ، اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض ، فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على الآخرين ، وقد يكون من قوم بضدنا ما هو من مقابلهم من اقطار الارض ، او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ، ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض ، وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية ، وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ، ذلك التقدير العزيز العليم . وآية القمر كانت ليلا ، والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ، ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ، ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر ، وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها ) (173) .

ولنا ان نستشف من اختياراته وترجيحاته نفسها جانبا من مكانة الراي والاجتهاد عنده :

( ... فان قلت فما معنى قوله تعالى في قصة زيد : « واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك » (174) الآية ، فاعلم ـ اكرمك الله ـ ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين . واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه ، فلما شكاها اليه زيد قال له : « امسك عليك زوجك واتق الله » واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها . وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري ، قال : نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش ، فذلك الذي اخفى في نفسه . ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا : « وكان امر الله مفعولا » (175) اي لا بد لك ان تتزوجها . ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها ، فدل انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان اعلمه به تعالى ) (176) .

---

(170) انظر ، الشفا ، 2 : 100 ـ 101 .
(171) القمر : 1 ـ 2 .
(172) انظر ، الشفا ، 1 : 234 .
(173) نفسه ، 1 : 235 ـ 236 .
(174) تتمة الآية : « واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق من تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا » الاحزاب : 37 .
(175) الاحزاب : 37 .
(176) انظر ، الشفا ، 2 : 205 ـ 206 .

ويختم عياض هذا التعقيب القائم على اختيار الراي السديد وترجيحه :

( وقال ابو الليث السمرقندي : فان قيل : فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها ؟ فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما أعلمه الله به ، فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته ، كما قال تعالى : « لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم » (177) وقد كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها ، وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاة واستحسنها ، ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه الحسن ، ونظرة الفجاة معفو عنها ، ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها ، وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة . والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك ، وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير ) (178) .

5 ـ ولا بد ، ونحن بصدد البحث عن ملامح عياض المفسر النقلي ، أن نحاول التعرف على موقفه مما روى عن اهل الكتاب من احاديث وقصص فصل القول فيها عما سكت عنه القرءان ، وسكتت عنه السنة الصحيحة ، وهو ما يعرف بـ « الاسرائليات» .

ولعل أول ما يتبادر الى الذهن عن موقف عياض ، وهو من عرفنا علمه الواسع بالحديث متنا وسندا ، أن يكون موقف رفض لهذه الاحاديث والقصص الاسرائلية التي تحفل بضروب من الطعن في سلوك الانبياء والرسل ، وقد اكد هو نفسه بان ( ما ورد من اخباره ـ اي الرسول صلى الله عليه وسلم ـ واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا يجب أن يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ) (179) .

وقد طبق عياض هذا الراي في وقفاته عند بعض المرويات الاسرائلية ، ينتقدها ، ويبين زيفها ، ويكشف عن بطلانها ، ومن ذلك ما كتبه حول داود في قوله تعالى : « وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب » (180) : ( واما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت الى ما سطره فيه الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين (181) ، ولم ينص الله على شيء من ذلك ، ولا ورد في حديث صحيح ) (182) .

ثم مضى يستشهد بأقوال المفسرين والمحدثين في دحض الشبهات التي روجها اهل الكتاب حول قصة داود :

( ... فمعنى « فتناه » اختبرناه ، و « اناب» ، قال قتادة : مطيع . وهذا التفسير أولى . قال ابن عباس وابن مسعود : ما زاد داود على ان قال للرجل « انزل لي عن امراتك واكفلنيها » فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا . وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره . وقيل خطبها على خطبته . وقيل بل أحب بقلبه ان يستشهد . وحكى السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين : لقد ظلمك ، فظلمه بقول خصمه . وقيل : بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا . والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين ، قال الداودي : ليس في قصة داود

---

(177) الاحزاب : 37 .
(178) انظر ، الشفا ، 2 : 207 ـ 208 .
(179) نفسه ، 2 : 270 ـ 271 .
(180) نص الآية : « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر وخر راكعا واناب » .
(181) انظر ، القصة في جامع البيان في تفسير القرءان للطبري ، والدر المنشور للسيوطي .
(182) انظر ، الشفا ، 2 : 177 .

وما روى خبر يثبت ، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم . وقيل : ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الآية ) (183) .

وهو في دحضه للمفتريات ، التي يتضمنها القصص الاسرائلي الذي حيك للانتقاص من مكانة الانبياء ، يعتمد ، بالدرجة الاولى ، الصحيح من الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ففي الآية الكريمة « ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسداً ثم اناب » (184) . يقول: ( ... وقوله « ولقد فتنا سليمان » فمعناه ابتليناه ، وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله . فقال له صاحبه : قل ان شاء الله ، فلم يقل ، فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لو قال : « ان شاء الله » لجاهدوا في سبيل الله » . قال اصحاب المعاني : والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته ... ) (185) .

وبعد ان اشار الى بعض الاقوال التي رويت في سبب محنة سليمان ، قال :

( ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان بهبه وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله ) (186) .

وكذلك نجده يرد ما تناقله بعض المفسرين من قصص اسرائلي اريد به الى الطعن في عصمة الملائكة، معتمداً في ذلك على عدم ورود اثر صحيح في الموضوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال :

( وما ذكر فيها ــ اي قصة هاروت وماروت ــ اهل الاخبار ونقله المفسرين ، وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم ــ أكرمك الله ــ ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ) (187) .

وبعد ان اشار الى اختلاف المفسرين حول ما ورد من ذلك في القرءان الكريم (188) وانكار السلف لما قال بعضهم فيه ، حدد مصدر هذا الافتراء، فقال:

( وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله او الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه ) (189) .

ثم توجه الى ( ما كشف غطاء هذه الاشكالات)، على حد تعبيره ، في حديث واف وشاف ، هو من عيون كتابات عياض في ( الشفا ) .

هذا موقف عياض الصارم والمتشدد من الاخبار والروايات الاسرائيلية ، وهو موقف لم نكن نتوقع سواه من رجل كان من اعلم الناس بالحديث ، واحفظهم له ، وابصرهم بعلله ورجاله ، ومن مؤلف كان هدفه الرئيس من تاليف كتابه ، ونريد به « الشفا » ، اثبات دلائل النبوة ، وترسيخ حقائقها ــ كما اسلفنا الاشارة ــ من خلال نصوص القرءان والسنة .

غير انه ينبغي الاشارة هنا الى ان تشدد عياض في نقد تلك الاسرائيليات والكشف عن تهافتها لم يحل دون تسرب شيء منها الى كتابه ، لعله ، فيما نحسب ، من اثر قراءته في روايات السدي والضحاك واضرابهما من المفسرين الذين عرفوا بنزوعهم الى الخيال والقول ( بغير رواية على غير أساس ) في

(183) نفسه ، 2 : 177 ــ 178 .
(184) ص : 34 .
(185) انظر ، الشفا ، 2 : 181 .
(186) نفسه ، 2 : 182 ، وانظر القصة في تفسير : 23 : 100 ــ 102 .
(187) نفسه ، 2 : 191 ــ 192 .
(188) انظر ، البقرة : 102 .
(189) انظر ، الشفا ، 2 : 192 .

عبارة الجاحظ (190) . قال عياض حول ابتلاء يعقوب بابنه يوسف :

( وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له . وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل لحم مشوي وهما يضحكان ، وكان لهم جار يتيم فشم رحيه واشتهاه ، وبكي وبكت له جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه ، فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن ، فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه : « الا من كان مفطرا فليتغذ عند آل يعقوب » . وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها ) (191) .

وقد كانت رواية هذه القصة من طرف عياض في « الشفا » مثار دهشة بعض العلماء ، ومنهم الدميري ( توفي 808 هـ ـ 1405 م ) الذي قال : ( وقد عجبت من القاضي عياض كيف ذكرها ـ اي حكاية ابتلاء يعقوب بيوسف ـ في كتابه . والذي يجب تنزيهه عن هذه الرذيلة . وان كان الطبراني قد روى في معجمه الاوسط والصغير عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل شيئا من ذلك ، وان يعقوب كان بعد اذا اراد الغذاء امر مناديا ينادي : الا من اراد الغذاء فليتغذ مع يعقوب . واذا كان صائما نادى مناد : الا من كان صائما فليفطر مع يعقوب ، فانما رواه الطبراني عن شيخه محمد بن احمد الباهلي البصري وهو ضعيف جدا ) (192) .

## 2 ـ عياض مفسرا لغويا :

ان المادة اللغوية التي نقع عليها في التفسير المدرج فى « الشفا » ليست من الوفرة بالدرجة التي تتيح لنا ان نتبين بوضوح وجلاء ملامح عياض مفسرا لغويا ، ولكننا مهما يكن من امر ، سنجتهد في الكشف عن بعض هذه الملامح التي لا نشك في انها ستسهم في تاليف هذه الصورة العامة لعياض المفسر .

ويمكننا ان نرصد الملامح اللغوية في تفسير عياض من خلال التفاته الى :

### 1 ـ الشرح اللغوي :

يهتم عياض ، شانه في ذلك شأن غيره من المفسرين على اختلاف نزعاتهم ، بمعالجة اللفظ القرآني لغويا ، اي شرحه واستخلاص معانيه من موقعه في السياق . فلننظر اليه كيف يتناول لفظة الوحي متتبعا دلالاتها المختلفة في مختلف الآي :

( واما الوحي فاصله الاسراع ، فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا ، وسميت انواع الالهامات وحيا شبيها بالوحي الى النبي ، وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ، ووحي الحاجب واللحظ لسرعة اشارتهما، ومنه قوله تعالى : « فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا » (193) اي اوما ورمز ، وقيل : كتب ، ومنه قوله : الوحا اي السرعة . وقيل : اصل الوحي السر والاخفاء ، ومنه سمي الالهام وحيا ، ومنه قوله تعالى : «وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم » (194)، اي يوسوسون في صدورهم ، ومنه قوله : « واوحينا الى ام موسى » (195) ا( القي في قلبها ، وقد قيل

---

(190) انظر ، الحيوان ، 1 : 343 .

(191) انظر ، الشفا ، 2 : 224 ـ 225 .

(192) ورد هذا النص في مقال الشيخ الرحالي الفاروقي عن ( شخصية القاضي عياض ومكانته العلمية والاجتماعية ) . انظر ، مجلة الايمان ، العدد : 72 ـ 73 ـ . ص 16 ـ 17 ( صفر وربيع النبوي 1398 ـ يناير وفبراير 1978 ) .

(193) نص الآية : « فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا » مريم : 11.

(194) نص الآية : « ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون » الانعام : 121 .

(195) تتمة الآية : « ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » القصص : 7 .

ذلك في قوله تعالى : « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا » (196) اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة ).

وهو في شروحه اللغوية يستقي من مصادر يسمي أصحابها ويعزو اليهم ما ينقل عنهم . فحول مادة ( نصح ) الواردة في قوله تعالى : « ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم » (197) يكتب :

( قال الامام ابو ( حاتم ) (198) السبتي : النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له ، وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها، ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم : نصحت العسل اذا خلصته من شمعه . وقال ابو بكر بن ابي اسحاق الخفاف : النصح فعل الشيء به الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخط الذي يخاط به الثوب ، وقال ابو اسحاق الزجاج نحوه ) (199) .

وحول مادة ( عود ) في قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا » (200) ، وقوله : « قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها » (201)، قال :

( فلا تشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم ، فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا جمعا ولم يكونوا قبل كذلك . ومثله قول الشاعر :

تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد ابوالا ) (202)

وبالجملة فان عياضا يبدو في معالجته للفظ القرآني بالشرح صاحب اطلاع واسع على المعجم العربي ، وخبرة جيدة بمعاني الالفاظ ودلالتها التي تكتسبها من سياق الجملة في النص القرآني .

## 2 ـ النحو والاعراب :

من اجل تجلية المعنى وتوضيحه تلفت عياض ، في مواضع معدودة ، الى بعض التعليلات النحوية وأوجه الاعراب ، يشير اليها اشارة ، ليستدل بها على صحة المدلول الذي استقر عنده للآية . ومن ذلك اشارته الى أن ضمير ( ظنوا ) في قوله تعالى : « اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا » (203) ( عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل ، وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء ... ) (204) ، واشارته ، وهو بصدد نفي كون ابليس من الملائكة ، وهو ما يدل عليه ظاهر الآية « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين » (205) ، الى ان ( الاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب

---

(196) تتمة الآية : « أو من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه عليم حكيم » الشورى: 51
(197) اول الآية : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ... » التوبة : 91 .
(198) في المطبوع ابو البستي والصحيح ما اثبتناه .
(199) انظر ، الشفا ، 2 : 30 ـ 31 .
(200) تتمة الآية : « فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين » ابراهيم : 13 .
(201) تتمة الآية : « وما يكون لنا ان نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » الاعراف : 89 .
(202) انظر ، الشفا ، 2 : 116 .
(203) تتمة الآية « جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » يوسف : 110 .
(204) انظر ، الشفا ، 2 : 103 .
(205) البقرة : 34 .

سائغ ، وقد قال الله تعالى : « ما لهم به من علم الا اتباع الظن » (206) . (207) .

### 3 ـ القـــــــراءات :

كان عياض ، كما أشرنا من قبل ، متمكنا من علم القراء فيما فسر من آ( الا لماما . ويعلل صديقنـــا كان من المتوقع ان يفيد كثيرا من هذا التمكن فيما يعرض له بالتفسير من الآي التي تعددت القراءة فيها، ولكنه ، على عكس ذلك لم يلتفت الى الاختلاف بيـن القراء فيما فسر من آي الا لماما . ويعلل صديقنـــا الدكتور الراجي التهامي الهاشمي ذلك بقوله : ( أمـا لماذا لم يظهر أثر القراءات بشكل واضح في فصول « الشفا » فامر يرجع ، فيما اعتقد ، الى أن أبا الفضل لا يوجه كتابه الى الخـواص الذيـن لا تقنعهـم الا البراهين المستمدة من علم راسخ في العمـق والا الحجج المعززة بمقدمات ونتائج تحير أولي الالبـاب وانما يوجهه الى العموم الذين يكفيهم لاقناعهم البرهان البسـيط والحجة المعتمدة على عاطفة وشعور ديني ؛ لذا ابتعد ما أمكنه الجهد عن القراءات ) (208) .

وايا ما كانت الحال فان لنا في الوقفات القليلة التي وقفها عياض عند القراءات القرآنية في تفسيره ما يكفينا للدلالة على هذا الملمح من ملامحـه كمفسر لغـــوي .

وقد بدا لنا من خلال تتبعنا لهـذه الوقفات ان عياضا كان يقفها ، غالبا ، من أجل :

أ ـ استجلاء وجهين في تفسير الآية . ومـن هذا القبيل ما كتبه في تفسير قوله تعالى : « لقـد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريـص عليكم بالمومنين رؤوف رحيـم » (209) . ابتـدا بالاشارة الى اختلاف القراءة في ( انفسكم ) ، ونقـل عن السمرقندي قوله : ( وقرا بعضهم من انفسكـم بفتح الفاء . وقراءة الجمهور بالضم ) (210) . وفي ضوء قراءة الضم جعل عياض يستجلي الوجـه الاول في تفسير الآية ، قال :

( أعلم الله تعالى المومنين او العرب او اهـل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين مـن المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهـم رسولا مـن انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ، ويعلمون صدقـه وامانته ، فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحـة لهـم لكونه منهم ، وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة ، وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى : « الا المودة في القربـــى » ) (211) (212) .

وفي ضوء قراءة الفتح يستجلي عياض ، ولكن في ايجاز بالغ ، الوجه الثاني في تفسير الآية :

( وكونه من أشرفهم وارفعهم وافضلهـم على قراءة الفتح ، هذه نهاية المدح ) (213) .

ومن هذا القبيل أيضا استجلاؤه وجهيـن في تفسير قوله تعالى : « فانهم لا يكذبونك » (214) على

---

(206) نص الآية : « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلـــوه يقينـــا » النساء : 157 .

(207) انظـــر ، الشفـــا ، 2 : 194 .

(208) انظر ، د. الراجي التهامي الهاشمي ، التعريف بكتاب الشفا للقاضي عياض . مجلة الايمـــان ، العدد : 72 ـ 73 . ص 102 ( صفر وربيع النبوي 1398 ـ يناير وفبراير 1978 ) .

(209) التوبـــــــة : 128 .

(210) انظـــر ، الشفـــا ، 1 : 10 .

(211) نص الآية : « ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسالكم عليه أجـرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور » الشورى : 23.

(212) انظـــر ، الشفـــا ، 1 : 10 ـ 11 ـ 11 .

(213) نـــــــفسه ، 1 : 11 .

(214) نص الآية : « قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالميـــن بآيـــات الله يجحـــــدون » الانعـــام : 33 .

ضوء اختلاف قراءة « يكذبونك » ما بين التخفيف والتشديد :

1 ــ ( فمن قرأ « لا يكذبونك » بالتخفيف فمعناه : لا يجدونك كاذبا . وقال الفراء والكسائي : لا يقولون انك كاذب . وقيل : لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ) (215) .

2 ــ ( ومن قرأ بالتشديد فمعناه : لا ينسبونك الى الكذب . وقيل : لا يعتقدون كذبك ) (216) .

ب ــ التنبيه الى مخالفة القراءة للمصحف ، ومثال ذلك :

1 ــ قال في قوله تعالى : « النبي أولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم » (217) : ( وقد قرىء « هو اب لهم » ولا يقرا به الآن لمخالفته المصحف ) (218) .

2 ــ قال في قوله تعالى : « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم » (219) : ( وهذه قراءة الجمهور . وقد قرا جماعة « فانك انت الغفور الرحيم » وليست من المصحف ) (220) .

ج ــ التنبيه الى شذوذ القراءة ، ففي قوله تعالى : « وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » (221) ، ذكر ان الحسن وعبد الرحمن بن ابزى قرآ « الملكين » بالكسر ، وقال : ( والقراءة بالكسر اللام شاذة ) (222) ، وفي راي عياض ان ( القراءة الشاذة غاية امرها ان تعلم ولا تجوز بها التلاوة ولا الصلاة ولا الحجة ) (223) ولذلك رايناه يوجه تفسيره في ضوء قراءة ( الملكين ) بالفتح .

## 4 ــ البلاغة :

ابان عياض في بعض ما كتب عن علمه بأسرار البلاغة ، وبصره بمصطلحها ، كما ابان عن ذائقته الادبية الرفيعة ، وقدرته البالغة على الفهم ، وكل اولئك ، فضلا عما كان له من شفافية في الاحساس، ورقة في الشعور ، كانت ، برأينا ، مفاتيح في يد عياض يستطيع بها ، لو شاء ، ان يفتح في التفسير البياني للقرءان الكريم ابوابا ، يدخلها ، ومن معه من القراء ، الى عوالم تمور بروعة الفن وجلاله .

وفي تفسيره المدرج في « الشفا » تطالعنا بعض لفتاته الى ما ضمت عليه هذه الآية او تلك من اساليب بلاغية ، يضع يده عليها ، ويسميها ، ويشرح اثرها في المعنى . ولننظر اليه من خلال هذه الامثلة:

أ ــ في اشارته الى قصة الاسراء ، وانتهاء الرسول صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى ، وتصديق بره فيما راى ، قال : ( ولما كان ما كاشفه صلى الله عليه وسلم منذلك الجبروت ، وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ، ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول ، رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم ، فقال تعالى : « فاوحى الى عبده ما أوحى » (224) ، وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة، وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز . وقال : « لقد راى من آيات ربه الكبرى » (225) انحسرت الافهام عن

---

(215) انظر ، الشفا ، 1 : 24 .
(216) نفسه ، 1 : 24 .
(217) تتمة الآية : « واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا » الاحزاب : 6
(218) انظر ، الشفا ، 1 : 44 .
(219) المائدة : 118 .
(220) انظر ، الشفا ، 2 : 142 .
(221) البقرة : 102 .
(222) انظر ، الشفا ، 2 : 194 .
(223) انظر ، مشارق الانوار ، 2 : 329 .
(224) النجم : 10 .
(225) النجم : 18 .

تفصيل ما اوحى ، وتاهت الاحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى ) (226) .

ب ـ وفي قوله تعالى : « يد الله فوق ايديهم » (227) قال : ( يريد عند البيعة . قيل : قوة الله ، وقيل : ثوابه ، وقيل : منته ، وقيل : عقده ، وهذه استعارات وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم ) (228) .

ج ـ وفي قوله تعالى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى» (229)، قال : ( وقد قيل في هذه الآية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته ، اي ما قتلتموهم وما رميتهم اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع ، اي منفعة الرمي كانت من فعل الله ، فهو القاتل والرامي بالمعنى وأنت بالاسم ) (230) .

ونسوق ، الى هذه الامثلة ، مثالا آخر ، مستقره ، هذه المرة ، في غير « الشفا » ، يكشف لنا عن اثر ما كان للرجل من ادراك عقلي ، ويقظة وجدانية، وذوق رفيع في فهمه لبيان القرءان وبلاغته ، ففي حديثه عن الارداف والتتبيع ، وهو ـ بعبارته ـ ( من اجى وجوه البلاغة ، وارق انفاس البديع ) (231) يقول :

( ومنه قوله تعالى : « مدهامتان » (232) فانه عبر بهذه اللفظة الواحدة الوجيزة ، والكلمة المفردة البليغة ، عن نعمة هذه الجنة ، ونضارة ثمارها ، وكثرة ريها ، وجمال منظرها ، وتمام حسن أشجارها، ورونق نباتها ، بتابع من توابعها ، وهي دهمة خضرتها، التي لا تكون الا مع تناهي الري ، وشباب النبات ، وعدم الآفات . وكذلك قوله تعالى في ذكر المسيح وامه كانا ياكلان الطعام » (233) ، فعبر عن حدوثهما وابان عن حلول العوارض البشرية بهما ، بحاجتهما الى اكل الطعام ، وكنى بذلك وأشار الى ان من ياكل الطعام يكون منه الحدث ، وكل هذا مناف لصفات الجلال والالهية ، فتضمنت الآية الارداف والتتبيع والكناية والوحي والاشارة ، فان تحت قوله : « ياكلان الطعام » معاني عظيمة ، وفصولا كثيرة ) (234) .

ومثل هذا التناول لآي القرءان ، ان دل ، من نحو ، على بصر صاحبه بالمصطلح البلاغي ، فانه ، من نحو آخر ، يدل ، بوضوح ، على وفرة حظه ، من اتقاد القريحة ، ويقظة الوجدان ، وهو ما كان يجعله ( دراكا للمحة وان لطف شانها ، منتبها على الرمزة وان خفي مكانها ) (235) على حد تعبير الزمخشري فيما اشترطه في مفسر القرءان .

ولعله مما يتصل بهذه الفقرة ، وينور بعض الخلفيات في صورة عياض المفسر أن نعرف رايه في اعجاز القرءان . وباعتباره ان هذا الموضوع يمثل جانبا بالغ الخطر والشأن من جوانب الموضوع الرئيسي الذي يتمحور حوله « الشفا » ، وهو اثبات دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وآياتها ، فقد خصه عياض بفصل من كتابه ضمنه رايه حول وجوه

---

(226) انظر ، الشفا ، 1 : 30 .
(227) نص الآية : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما » الفتح : 10 .
(228) انظر ، الشفا ، 1 : 41 .
(229) تتمة الآية : « وليبلي المومنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم » الانفال : 17 .
(230) انظر ، الشفا ، 1 : 42 .
(231) انظر ، بغية الرائد : 206 .
(232) الرحمن : 64 .
(233) نص الآية : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يوفكون » المائدة : 75 .
(234) انظر ، بغية الرائد : 206 ـ 207 .
(235) انظر ، الزمخشري ، الكشاف ، 1 : 17 .

الاعجاز القرآني وانواعه في شيء غير قليل من الاسهاب والافاضة .

وفي راي عياض ان القرءان وان كان ينطوي على وجوه من الاعجاز كثيرة الا انه يمكن تحصيلها من جهة انواعها في اربعة وجوه :

اولها يتمثل في ( حسن تاليفه ، والتئام كلمه وفصاحته ، ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ) (236) . وفي هذا الوجه يصف عياض عجز العرب ، وهم الذين كان ( الكلام طوع مرادهم ، والبلاغة ملك قيادهم ، قد حووا فنونها ، واستنبطوا عيونها ) (237) . عن معارضة القرءان ومماثلته ، وهو يصف في هذا الوجه ايضا مظاهر الجمال والاحكام في الصياغة القرآنية :

( احكمت آياته ، وفصلت كلماته ، وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتظافر ايجازه واعجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه ، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه ، واعتدل مع ايجازه حسن نظمه ، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه ... ثم هو ، ف سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان ، آية لمتامله من ربط الكلام بعضه ببعض ، والتئام سرده ، وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ، ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسى في البيان صاحبتها ، وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ، ولا نفور للنفوس من ترديدها ، ولا معاداة لمعادها ) (238) .

وثاني وجوه الاعجاز القرآني في راي عياض يتمثل في ( صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقفت مقاطع آيه ، وانتهت فواصل كلماته اليه ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ، ولا استطاع احد مماثلة شيء منه ، بل حارت فيه عقولهم ، وتدلهت دونه احلامهم ، ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ) (239) .

والوجه الثالث للاعجاز القرآني عند عياض هو ( ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر ) (240) .

اما الوجه الرابع والاخير فهو ( ما انبأ به من اخبار القرون السالفة ، والامم البائدة ، والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ، فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ، وياتي به على نصه ، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه ، وان مثله لم ينله بتعليم ، وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم ... ) (241) .

والملاحظ ان الوجهين الاولين من هذه الوجوه الاربعة للاعجاز القرآني في نظر عياض يمكن ردهما الى وجه واحد هو الوجه المبتدي في اعجاز الصورة البيانية للقرءان او ما اصطلح على تسميته ب ( نظم القرءان ) . وقد كان هذا الوجه مدار ابحاث الدارسين للاعجاز القرآني من كتابات الجاحظ ( توفي 235 هـ ) الى كتابات معاصري عياض من مثل الزمخشري ( توفي 538 هـ ) في المشارقة ، وابن عطية ( توفي 541 هـ ) في الاندلسيين . والحقيقة ان عياضا لم يضف جديدا الى البحث في هذا الوجه من الاعجاز يمكن ان يتميز به دون غيره من الدارسين له ويتفرد ، لكننا لا نشك في انه كان بوسعه ، وهو المتفنن في علوم البلاغة ، والمتمرس بالاساليب العربية ، فضلا عما وهب من استرسال في

---

(236) انظر ، الشفا ، 1 : 212 .

(237) نفسه ، 1 : 213 .

(238) نفسه ، 1 : 213 – 414 ، 217 ، 218 .

(239) نفسه ، 1 : 218 .

(240) نفسه ، 1 : 221 .

(241) نفسه ، 1 : 223 .

الطبيعة ، ويقظة في الوجدان ، ان يجري قلمه في ابحاث تطبيقية حول النظم القرآني ، ما كان ليقصر فيها بحال عن شأو المبرزين فيها وخاصة عصريه الزمخشري .

وفضلا عن هذه الوجوه الاربعة للاعجاز القرآني التي وصفها عياض بـ ( أنها بينة لا نزاع فيها ولا مرية ) (242) ، أورد وجوها اخرى وصفها ، ايضا ، بانها بينة 243) . وقد لاحظنا ان بعضها مما ادرجه غير عياض من الدارسين في الاعجاز بالصدق في الاخبار عن الغيب من مثل قوله تعالى : « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت أن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه ابدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » (244) . وقوله: « وان كنتم في ريب مما أنزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله أن كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (245) ، وقد قال عياض نفسه عن هذه الآية الاخيرة بانها أدخل في باب الاخبار عن الغيب (246) . ومن تلك الوجوه ما تمثله عياض في ( الروعة التي تلحق سامعيه ـ أي القرءان ـ والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله ، وانافة خطره ، وهي على المكذبين به اعظم ، حتى كانوا يستثقلون سماعه « ويزيدهم نفورا » كما قال تعالى : ويودون انقطاعه لكراهيتهم له ) (247) .

وعلق الاستاذ عبد الكريم الخطيب على راي عياض بقوله : ( وهذا الوجه هو في راينا عمدة وجوه الاعجاز في القرءان ، ان لم يكن وحده وجه اعجاز القرءان ، فالروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه ، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته هي مناط اعجازه ، وهي المعجزة القائمة فيه ابد الدهر ... وقد رأيت أن القاضي عياض قد جعل هذا الوجه حاشية في وجوه الاعجاز ، وهو الوجه الذي من حقه ـ في راينا ـ أن يكون وجه الاعجاز وحده ) (248) .

وختم عياض الفصل الذي عقده في اعجاز القرءان بطائفة من وجوه اخرى للاعجاز ، قال بأن جماعة من الائمة ومقلدي الامة عدوها فيه (249) ، في حين أن بعضها معدود ، باعترافه هو ، في فضائله ـ أي القرءان ـ وخواصه (250) .

* * *

وبعد :

فان تركيب صورة ما من اجزاء لها مبعثرة هنا وهناك ليس بالامر الهين ، الميسور .. ومع ذلك فان لنا أن نتساءل في ختام هذا العرض :

هل في هذه ( الملامح ) التي اجتهدنا في جمعها والتاليف بينها ما يسعف في استجلاء ( جوانب ) من صورة عياض المفسر ؟ .

ذلك هو الرجاء ..

ومن الله نستلهم الهداية والتوفيق .

---

(242) نفسه ، 1 : 225 .
(243) نفسه ، 1 : 225 .
(244) البقرة : 94 ـ 95 .
(245) البقرة : 23 ـ 24 .
(246) الشفا ، 1 : 226 .
(247) نفسه ، 1 : 227 .
(248) انظر ، عبد الكريم الخطيب ، الاعجاز في دراسات السابقين : 318 .
(249) انظر ، الشفا ، 1 : 229 .
(250) نفسه ، 1 : 223 .

# ملاحــــــــق (*)

## الملحـــــــــق 1

### ســــــورة ( والضحــــى ) *

( بسم الله الرحمن الرحيم ، والضحى ، والليل اذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الاولــى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضــالا فهدى ، ووجدك عائلا فاغنى ، فاما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر ، واما بنعمة ربك فحدث ) ، اختلف في سبب نزول هــذه السورة ، فقيل : كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام ، وقيل : بل تكلم بــه المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة ، قال الفقيه القاضي وفقه الله تعالى : تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه . الاول : القسم لــه عمــا اخبره به من حاله بقوله تعالى ( والضحى والليل اذ سجى ) أي : ورب الضحى ، وهذا من اعظم درجات المبرة . الثاني : بيــان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى : ( ما ودعك ربك وما قلى ) اي : ما تركك وما ابغضك . وقيل : ما أهملك بعد أن اصطفاك . الثالث : قوله تعالى : ( وللآخرة خير لك من الاولى ) ، قال ابن اسحاق : أي مآلك في مرجعك عند الله أعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا . وقال سهل : أي ما ادخرت لك من الشفاعة والمقــام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا . الرابع : قوله تعالى : ( ولسوف يعطيك ربك فترضى ) وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين والزيادة . قال ابــن اسحاق : يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة . وقيل : الحوض والشفاعة . وروى عن بعض آل النبي صلى الله عليــه وسلم انه قال : ليس آية في القرءان ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل أحد من أمته النار . الخامس: ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من الائه قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية النــاس بــه على اختــلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما آتاه ، او بما جعله في قلبه مــن القناعة والغنى ، ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه ، وقيــل : آواه الى الله ، وقيل : يتيما لا مال لك فآواك اليه ، وقيل : المعنى ، الم يجدك فهدي بك ضالا وأغنى بك عائلا وآوى بك يتيما . ذكره بهذه المنن ، وانه على المعلوم من التفسير لم يهملــه في حــال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ، ولا ودعه ولا قلاه ، فكيف بعد اختصاصه واصطفائه . السادس : أمره باظهار نعمته عليه ، وشكر ما شرفه به بنشره ، واشادة ذكره ، بقوله تعالى : « واما بنعمة ربك فحدث » ، فان من شكر النعمة التحدث بهــا ، وهذا خاص له ، عــام لامتــه .

## الملحــــــــق 2

### قصــة هــــاروت ومــــاروت (*)

قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهــل الاخبــار ونقلــة المفسرين ، وما روى عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما ، فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيــم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس هو شيئــا يؤخذ بقياس ، والــذي منه في القرءان اختلــف المفسرون في معناه ، وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره . وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة ، وها نحن نحبر في ذلك ما يكشف غطاء هــذه الاشكالات ان شاء الله . فاختلف اولا في هاروت وماروت ، هل هما ملكان او انسيان ؟ وهل هما المراد بالملكين أم لا ؟ وهــل القراءة ملكين او ملكين ؟ وهل ما في قوله ( وما انزل ) ، ( ومــا يعلمان من احد ) نافية او موجبة ؟ فاكثر المفسرين ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبنيه ، وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن ، قال الله تعالى : « انما نحن فتنة فلا تكفر » ، وتعليمهما الناس له تعليم انذار ، أي يقولان لمن جــاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا ، فانه يفرق بين المــرء وزوجــه ولا تتخيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفر ، فعلى هذا فعل الملكين طاعــة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة . وروى ابن وهب عن خالد بن أبي عمران أنه ذكر عنده هاروت ومــاروت وانهما يعلمان السحر فقال : نحن ننزههما عن هذا ، فقرأ بعضهم: ( وما انزل على الملكين ) ، فقال خالد : لم ينزل عليهما ، فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما مأذون لهما في تعليمه ، بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء ، فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصــي والكفر المذكورة في تلك الاخبار . وقول خالد ( لم ينزل ) : يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس ، قال مكي : وتقدير الكلام ( وما كفر سليمان ) يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود ( وما أنزل على الملكين ) ، قال مكي : هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمــان فاكذ بهم الله في ذلك « ولكن الشياطين كفروا يعلمــون النــاس السحر ببابل هاروت وماروت » ، قيل : هما رجــلان تعلمــاه . قال الحسن : هاروت وماروت علجان من اهل بابل ، وقرا : ( وما انزل على الملكين ) بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا ، وكذلك قراءة عبد الرحمن بن أبزى بكسر اللام ولكنه قال : الملكان هنــا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم ، وقيل : كانا ملكيــن من بني اسرائيل مسخهما الله . حكاه السمرقنــدي . والقــراءة بكسر اللام شاذة ، فمحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا ، وقد وصفهم الله بانهم مطهرون ، وكرام بررة ، ولا يعصون الله ما أمرهم .

## الملحـــــــــق 3

### فــي اعجــــاز القـــــرءان (*)

الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلــوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقفت مقاطع آيه ، وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه ؛ بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ، ولم يهتــدوا الــى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر .

والاخبار في هذا صحيحة كثيرة ، والاعجاز بكل واحد مــن النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته ، كــل واحد منها نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العــرب على الاتيــان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها ، والى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب وأتى على ذلــك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب ، والصحيــح ما قدمنــاه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ، ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف

---

(*) انتخبنا من ( الشفا ) نماذج من كتابات عياض المفسر ، تدرج بعضها في هذه الملاحــق تتميمــا للفائــــدة .

(*) انظــــر ، الشفــــا ، 1 : 27 – 29 .

(*) انظـــر ، الشفـــــا ، 2 : 191 – 194 .

(*) انظـــر ، الشفــا ، 1 : 218 – 219 – 221 .

خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه . وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه ؛ فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تأليفه وأسلوبه ، لا يصح أن يكون في مقدور البشر ، وانه من باب الخوارق الممتنعة عن أقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصى وتسبيح الحصا ؛ وذهب الشيخ أبو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون ؛ فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه ، وقال به جماعة من أصحابه ، وعلى الطريقتين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز ؛ واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيىء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم ، وهو أبهر آية وأقمع دلالة ؛ وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل ، وكانوا من شموخ الانف واباءة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا ؛ والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم ؛ وأسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدرة في المعرفة به لجميع الانام ، وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره ، فما خلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد ؛ وكثرة العدد ؛ وتظاهر الولد وما ولد ، بل ابلسوا فما نبسوا ، ومنعوا فانقطعوا .

## المصادر والمراجع


1 ـ القرءان الكريم .

2 ـ ازهار الرياض في اخبار عياض :
شهاب الدين بن محمد المقري التلمساني . ج 1 . تحقيق: سعيد أحمد أعراب ومحمد بن تاويت . ط. فضالة ( المحمدية ) ـ المغرب ( بدون تاريخ ) .

3 ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب :
أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر . تحقيق : محمد علي البجاوي ، مكتبة نهضة مصر القاهرة ( بدون تاريخ ).

4 ـ الاعجاز في دراسات السابقين :
عبد الكريم الخطيب . ط. دار المعرفة للطباعة والنشر ( بيروت )

5 ـ بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد :
القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي . تحقيق : صلاح الدين بن أحمد الادلبي ومحمد الحسن اجانف ؛ ومحمد عبد السلام الشرقاوي . ط. وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ( مديرية الشؤون الاسلامية ) المملكة المغربية . 1393 هـ ـ 1975 م .

6 ـ تاريخ جامعة القرويين :
د. عبد الهادي التازي . ط. دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ( بدون تاريخ ) .

7 ـ تاريخ علماء الاندلس :
عبد الله بن محمد ابن الفرضي ط. الدار المصرية للتاليف والترجمة ( 1966 ) .

8 ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك:
القاضي عياض بن موسى . ج 1 . ط. وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية . المغرب ( بدون تاريخ ) .

9 ـ التعريف بالقاضي عياض :
لولده ابي عبد الله محمد . تقديم وتحقيق : د. محمد بن شريفة . منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ( بدون تاريخ ) .

10 ـ جامع البيان عن تاويل آي القرءان :
محمد بن جرير الطبري . ط. الحلبي ( 1954 ) .

11 ـ الحيوان :
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق : عبد السلام هارون . ط . الحلبي .

12 ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور :
عبد الرحمن السيوطي . ط. طهران ( 1377 هـ ) .

13 ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب :
الطبعة الاولى ( 1329 هـ ) .

14 ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى . جزآن :
القاضي عياض . ط. مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني . القاهرة .

15 ـ صحيح البخاري :
أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري . المطبعة العثمانية ـ مصر 1932 م .

16 ـ صحيح مسلم :
أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري . مطبعة السعادة ـ مصر ـ 1928 م .

17 ـ طبقات المفسرين :
عبد الرحمن السيوطي . طبعة طهران ( 1960 م ) .

18 ـ طبقات المفسرين :
شمس الدين محمد بن علي الداودي . تحقيق : علي محمد عمر . الناشر : مكتبة وهبة ـ القاهرة ( 1972 م ) .

19 ـ الغنية ( فهرسة شيوخ عياض ) :
القاضي عياض . تحقيق : د. محمد بن عبد الكريم . طبعة الدار العربية للكتاب ( ليبيا ـ تونس ) .

20 ـ فهرسة ابن عطية :
عبد الحق بن عطية المحاربي ( مصورة خاصة ) .

21 ـ الكشاف :
محمد بن عمر الزمخشري . الطبعة الثانية ـ المكتبة التجارية ـ القاهرة ( 1953 م ) .

22 ـ مشارق الانوار على صحاح الآثار :
القاضي عياض . ط. المكتبة العتيقة ـ دار التراث .

23 ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرءان الكريم :
محمد فؤاد عبد الباقي . دار ومطابع الشعب (بدون تاريخ).

24 ـ معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الاقصى :
عبد العزيز بنعبد الله ( 1392 هـ ـ 1972 م ) .

25 ـ المقدمة :
عبد الرحمن بن خلدون . ط. بيروت ( بدون تاريخ ) .

26 ـ مجلة الايمان ( عدد خاص بالقاضي عياض ) :
العدد 72 ـ 73 . صفر وربيع النبوي 1398 هـ ـ يناير وفبراير 1978 م .


تطوان ـ د. حسن الوراكلي

# قرأت العدد الماضي



بقلم: الأستاذ أحمد شوكي

وضعني الاخ الاستاذ عبد القادر الادريسي رئيس تحرير هذه المجلة في موقف حرج حقا ، اذ طلب الي ان اقدم للقراء قراءتي للعدد الماضي من مجلة « دعوة الحق » . ولم املك القدرة على رفض هذا الطلب ، وفي نفس الوقت ترددت كثيرا في الاقدام على تجربة كهذه تتطلب من الشجاعة والجراة قدرا ربما كنت آخر من يملكه . ولم استطع أن اخلف الوعد الذي قدمته لرئيس التحرير ، ولم أجد حجة اتعلل بها للخروج من هذا المازق ، وبقي لي ان التمس من الظروف ان تعفيني من ذلك الوعد ، ووددت من صميم قلبي لو ان رئيس التحرير يفاتحني يوما بان احد أصحاب الاقلام الذين يقرأون ويكتبون لهذه المجلة قد قبل ان يتحمل عوضا عني مشاق هذه المهمة ، فيكون قد اراحني ، وارحت ، واسترحت .

واخيرا ، سلمت امري لله واقتحمت هذه الغمرة التي كان العقاد رحمه الله يتهيبها ويخشاها أشد الهيبة والخشية ، وذلك لانه كان ولا يزال يقال دائما ان النقد والناقد والمنقود مصيرهم الى جهنم ، فماذا يريد هذا القلم المتطفل ان يقول عن عمل فكري ممتلىء بالحياة والقوة والاستقامة قد هيا له صاحبه اسبابه وعناصره ومقدماته ونتائجه ؟ وماذا يريد هذا القلم الفضولي أن يقوله حيال عمل فكري مكتمل الجوانب، مدقق في ملامحه ، معمق في زواياه القريبة والبعيدة ؟ الا ، ان النقد او المراجعة او التقديم لاشبه ما تكون بذلك الغصن الشائك الملتوي الذي يندس بين غصون الشجرة الطيبة الوارفة الظلال ، او ذلك النبت الذي يسمونه العليق ، يحاول دائما ان يتسلل الى شجيرات الياسمين والريحان ، ويود لو يستطيع ان يماثل نفسه بها ، وان يمتص منها رحيق العطر ورضاب الطيب الاصيل الثابت من جذور الارض والتراب !

وحتى اوهم نفسي انني لن اصب على احد تهمة من التهم او شبهة من الشبهات ــ التي يطاردها النقد والنقاد في الاعمال المنقودة ــ وحتى اخيل لنفسي انني بريء مما اقول وانني قد عصمت نفسي مما يعلق بها من زيغ او ضلال ، فقد قرات العدد الماضي واعدت قراءته ، واستعذت بالله الرحيم من نزعات النقد الرجيم ، وحمدته حمدا كثيرا وتوكلت عليه وبدات اكتب .

وطالعتني افتتاحية العدد ، وهذه مناسبة أود فيها ان ازجي الى رئيس التحرير تهنئتي الخالصة الصادقة على الافتتاحيات القيمة التي داب على كتابتها في هذه المجلة منذ تولى رئاسة تحريرها ، فهي افتتاحيات تضع القارىء دائما في قلب مشكلة من مشكلات حياتنا ، او صميم قضية من القضايا التي نحياها ،سواء كانت فكرية او اسلامية او حضارية او اخلاقية . واستطيع ان أجزم بأن افتتاحية العدد هي وحدها طبق شهي من الفكر الاصيل الملتزم الذي يعرض لموقف معين ، ويحلله ويقدم له اسبابه ويرتب له نتائجه في تسلسل منطقي محكم بعيد عن الحذلقة والتشدق ومحاصرة ذهن القارىء بشتى التحليلات والتعليلات الفارغة الجوفاء التي تعودناها من بعض المجلات الوطنية والعربية التي تدعي أنها تحمل لواء الفكر وتدافع عنه .

وافتتاحية العدد الماضي ، تتعرض لقضية من اخطر القضايا التي جابهت وتجابه الامة الاسلامية ، والتي لم تستحوذ بعد على اهتمام المفكرين — مع انهم هم المعنيون بها — ، وهي قضية العلاقة بين الفكر وأصحابه وبين الصحوة الاسلامية التي يعيشها العالم الاسلامي ، ورغم المجال الضيق الذي عالجت فيها الافتتاحية هذا الموضوع الحيوي الدقيق ، فقد استطاع رئيس التحرير ان يحجمها ويرصد فيها خمسة عناصر رآها ضرورية وذات أولوية لا بد للمفكر المسلم ان يسترشد بها ويستوحيها في عمله وفكره ، وهي :

1 — الرجوع الى اصول الدين حينما نريد استنباط الحلول للمشكلات الحضارية القائمة .

2 — تطوير اساليب التفكير والتحليل والخروج بها من دائرة رد الفعل الى دائرة الفعل نفسه .

3 — الدفاع عن كرامة العقل الاسلامي .

4 — قيادة الراي العام .

5 — اشاعة التفاؤل في النفوس وجعلها تطمئن وتقبل على الحياة .

وبالطبع ، فان السطور القليلة المعدودة التي افردها الاستاذ عبد القادر الادريسي في افتتاحية العدد لمعالجة — او للتنبيه — الى قضية علاقة الفكر بالصحوة الاسلامية ، ليست كافية للاحاطة بجوانب وابعاد هذه القضية التي كانت ولا تزال الشغل الشاغل للمفكر الاسلامي الحق الذي يفكر لامته ولعقيدته ولخيرها وصالحها حاضرا ومستقبلا . وكنت أود من رئيس التحرير لو يخصص لكل عنصر من العناصر المذكورة افتتاحية خاصة تعالجه وتحلله للقارىء حتى تتضح له ملامح الصورة أو القضية كاملة . وقد يقال ان الافتتاحية موجهة الى المفكر الاسلامي نفسه ، أي الى خاصة الخاصة وليس الى عامة العامة ، فالامر اذن لا يقتضي التطويل والاطناب بقدر ما هو في حاجة الى تركيز وتكثيف يقدمان القضية الى صاحبها دون الدخول معه في تفاصيل وجزئيات قد تخلف للقضية تأويلات يصعب معها امساك راس الخيط ، ولكن الامر في حقيقته يهم المفكر ويهم القارىء معا ، لان المسألة في جوهرها هي علاقة الفكر بالصحوة العامة ، اي علاقة الخاص بالعام ، وهذا الفكر يتحمل صاحبه مسؤولياته بنفس القدر الذي يتحمل مسؤولياته متلقي ذلك الفكر ، اي مستهلكه . ثم ان الصحوة ليست وقفا على فئة معينة ، ولم تقدها طبقة خاصة دون سائر الطبقات الاخرى ، بل انها صحوة اسلامية مترامية الاطراف ، متراحبة الاكناف ، لان جذورها وعروقها وماء الحياة والاستمرار والبقاء فيها ، نبع من حياة الامة وواقعها ومطالبها وآمالها ، وهذا لا ينفي ان للصحوة روادها الذين بشروا بها وقادوها وحملوا مشعلها ، غير ان هؤلاء الرواد هم — بصفة أساسية— الابناء البررة لامتهم الاسلامية . ومن هنا قلت انني اطلب من رئيس التحرير ان يفرد لكل عنصر من العناصر التي رصدها في الافتتاحية ، كلمة خاصة يقدم فيها مزيدا من التحليل الذي يسلط الضوء على الموضوع من جميع جوانبه .

وتواجهنا — بعد الافتتاحية — مقالة العلامة الاستاذ الجليل عبد الله كنون ، تطرق فيها الى موضوع فكري وحضاري خطير ، لا يزال يجرد ذيوله في حياتنا العامة والخاصة ، وفي حياتنا العقلية وحياتنا الاخلاقية ، وهو موضوع التبعية التي طالب سيادته بأن تسقط من حياتنا . وقد مهد الاستاذ الجليل لهذه الدعوة باستعراض موجز لمجمل الاحداث التي دهمت العالم الاسلامي خلال القرن

الهجري الذي ودعناه ، ثم استخلص ـ بايجاز ايضا ـ مجموعة من الظواهر السلبية التي لحقت المجتمعات الاسلامية ، هذه الظواهر التي اخذها واقتبسها المجتمع الاسلامي من المجتمع الغربي وجعلها قوانين وقواعد لا تسير حياة المسلمين بها كما تصوروا ذلك ، ولا يستقيم لهم معاش بدون تحكيمها والرجوع اليها كما توهموا . ثم نبه سيادته بالقول بان المسلمين يستقبلون القرن الهجري الجديد وحالهم لا تزال على ما كانت عليه بل واسوا ، فالغرب المسيحي ـ كما يقول الكاتب ـ يتحكم في مصائرنا، والشرق الشيوعي يقطع اواصرنا حتى لا تقوم لنا قائمة ، والعالم الاسلامي ـ رغم عوامل الوحدة والتكاثف والتضافر التي يتوفر عليها ـ مشتت ممزق ، فهو دول وامصار ، وكيانات واقطار ، والقوى والقدرات والطاقات المتعددة ، ماديا وبشريا ومعنويا، التي يزخر بها ، بدل ان توجه الى محاربة العدو الدخيل وتقليم اظافره وقطع دابره ، تسخر لمحاربة الاشقاء والجيران والاصدقاء والخلان ، وبعض الحكام في العالم الاسلامي يفرضون على شعوبهم ايديولوجيات ومذاهب وعقائد دخيلة تناقض الاسلام من اساسه ، وكل ذلك يضعف القوة الاسلامية ويوهن عراها ويجعل جهودها مبعثرة شتيتة لا تؤثر ولا تستطيع ان تؤثر في مواجهة المخاطر التي يدبرها الاعداء والمتربصون.

ويصل فضيلة الاستاذ عبد الله كنون الى المحور الذي تدور عليه فكرة المقالة ، وهو ضرورة رفض التبعية بجميع اشكالها وصنوفها وضروبها ، ويدعو سيادته الى العمل على اعادة الخلافة الاسلامية التي كان الغاؤها بداية انهيار وانحطاط وانحلال القوة الاسلامية وتضعضع مركزها وثقلها ، كما يطالب بانشاء الولايات المتحدة الاسلامية « وبهذا يتمكن المسلمون من اداء رسالتهم وانقاذ البشرية مما تتخبط فيه من ظلم وظلام ، وتعود الحضارة الشرقية الاسلامية سيرتها الاولى من المزاوجة بين الروح والمادة والدين والعلم والدنيا والآخرة ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ويومئذ يعلو الحق ويزهق الباطل ، ويومئذ يحل السلام في الارض وتعم السعادة الناس » .

والذي لا مرية فيه ان خلاص المسلمين مما هم فيه من شتات وتمزق ومعاناة شديدة ، ومما هم فيه من ضياع وحيرة واصطدام لا يكمن الا في العودة الى خلافة اسلامية حقة موحدة ، تتولى شؤونهم وتسوسهم وترعى امورهم ومصالحهم وقضاياهم طبقا للشريعة ، وعلى راسها كتاب الله وسنة رسوله الاكرم. وستظل الامة الاسلامية تتخبط في مشاكلها وتتردى في حياتها ، ما لم تتدارك هذه الحالة المزرية التي نعيشها ، وهذا التناقض العميق الذي تعاني منه في شؤونها الاجتماعية والفكرية والنفسية . واعتقد ان هذا الهدف البعيد لا يمكن ان نصل اليه بالدعوة فقط، بل لا بد وان تتهيأ له جهود المفكرين وادواتهم ووسائلهم في الاقناع ، وهنا نذكر بموضوع الافتتاحية الذي خصه رئيس التحرير للحديث عن الفكر والصحوة . ولقد تبين ان الساسة ورجال الاقتصاد والمال والاعمال ورجال الحرب لا يملكون القدرة ـ اولا يستطيعون استعمال هذه القدرة ـ لاحداث التغيير الشامل او حتى التغيير التدريجي نحو ذلك الهدف الكبير ، وهو توحيد الامة الاسلامية ، وبقي الامل معقودا على المفكرين المسلمين ، فهم الذين سينقلون امتهم من هذا الطور المتخلف الذي تضطرب فيه الى طور تسوده القيم والمثل والضوابط التي جاء بها الاسلام . فما احوج الامة الاسلامية اذن في هذا الوقت بالذات الى قيادة فكرية اسلامية تعبد الطريق ، وتنير السبيل ، وتضيء المعالم ، وتمهد للاجيال القادمة ان تتقبل فكرة الوحدة الاسلامية فتعمل لها ؛ قيادة فكرية في مستوى جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومحمد اقبال وغيرهم من المصلحين الرواد الذين غيروا مسيرة التاريخ في العصر الحديث ؛ واحدثوا ثورة فكرية اسلامية عميقة؛ هذه الثورة التي نجني ثمارها ونقطف اكلها . فالافكار التي دعا اليها ونادى بها هؤلاء الرواد قد تحققت اليوم ووجدت الارض والعقول والاذهان والنفوس لكي تعمل على كشف المخبوء وابراز الضوء واظهار الحق . وسوف تظل كل الاماني التي تخالجنا والمطامح التي تراودنا وتلح علينا مجرد احلام ينقصها نبض الحياة ووهج الواقع حتى يخرج لنا من صلب الامة الاسلامية رعيل قيادي في الفكر والعمل والممارسة الاسلامية ، هذا الرعيل الذي سيحول التاريخ ويغير مجراه ويطرح امام الشعب الاسلامي تصورات اسلامية مستنيرة نقية طاهرة . والتاريخ الاسلامي يعلمنا في كل عصوره وحقبه ومراحله ان التحديات التي تفرضها على الاسلام القوي المعادية له ، تخرج منها دائما صفوة من الرجال الاصلاء الذين يخدمون

جديدة لامتهم في سبيل استمرار عزة الاسلام ومنعته وقوته ومجده التاريخي وتألقه الاخلاقي واشعاعه الحضاري . وهذه هي عبقرية الاسلام التي لا ينضب لها معين في كل زمان ومكان وفي كل ظرف وأوان .

ونصحب الدكتور محمد عزيز الحبابي في رحلة ممتازة خلال احدى وعشرين صفحة . صحبة فكرية لا يملها القارىء بل ويود لو سارت به اشواطا اخرى ابعد وابعد . فمقالة الحبابي المعنونة بـ « محمد صلى الله عليه وسلم ملتزما » تطرح تساؤلات في الشكل والمضمون . فأسلوب الحوار وما يتضمنه من سؤال وجواب استخدمه الكاتب للوصول الى فكرة معينة والى تثبيتها في ذهن القارىء ، وهذا الاسلوب يذكرنا بمحاولة افلاطون الا انه اقل منه عمقا وجاذبية ونصاعة ، والجديد الذي جاء به الحبابي هو انه جعل المحاور ( بفتح الواو ) محمد صلى الله عليه وسلم . وهي فكرة ـ مع طرافتها وجدتها ـ لا تخلو من مزالق ومن عثرات . ويمكن أن نعتبر المقال اعادة جديدة في كتابة السيرة النبوية لا تعتمد على السرد او الحكاية كما جرت العادة . وهو لون أدبي جديد في معالجة وتناول سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، واذ لم تكن الاقلام التي تمارسه واعية ومتبصرة ومثقفة ومسؤولة ، فقد يتعرض هذا الاسلوب الى مخاطر قد تسيء الى الشخصية التي يجري معها الحوار ، وهكذا قد تتحول الفكرة الى تقليد لا يستطيع أن يؤديه الا القلم المتمرس بالكتابة ، الواعي بالموضوع ، المستوعب للفكرة ، المحيط بالابعاد والخلفيات .

تطرق الدكتور الحبابي في حواره اذن عدة قضايا اساسية في الاسلام ، وعرض موقفه منها باختصار شديد يستند الى القرءان واحاديث الرسول، ومن تلك القضايا ما يتصل بالحياة الشخصية للرسول الاعظم ، ومنها ما يتصل بموضوعات اخرى لها علاقة حميمة بالعصر الذي نعيش فيه ، مثل قضايا المساواة ، والحرية ، والامانة ، والعقلانية ، وسلوك المسلم في السلم والحرب ، وموقف الاسلام والرسول من هذه القضايا . ولئن كانت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ومواقف السيرة هي رآها مفسرة لجوانب من الاسلام وشارحة لها ، كما لم يفته ايضا ان يقدم ، لا اقول شرحا جديدا لها ، بل رؤية جديدة لها تستقيم مع الرؤية الانسانية الحديثة والمعاصرة .

ويبدو لي ان الدكتور الحبابي ، بسبب تحمسه الروحي وعاطفته الدينية ، كانت الاجوبة هي التي تبحث عن اسئلتها الملائمة وليس العكس كما كان ينبغي . ولا أستطيع أن أطالب الدكتور الحبابي بأكثر مما صنعه ، فطريقة الحوار والسؤال والجواب لا تذهب بعيدا في التفسير والتأويل والتقويم ، الا أنني كنت أود من الدكتور أن يشرح بتوسع اكثر الافكار التي خرج منها الرجل الانجليزي بعد ما غادر مجلس الرسول ، فلا يكفي الحكم بقول هذا الرجل « لقد ظفرت اليوم بأعظم اكتشاف في حياتي ، ان رسالة هذا الرجل الفذ ( يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم ) رسالة مناضلة ، وغنية بالعطاءات ، وصالحة لان تلهمنا وترشدنا في هذا العصر ، كما فعلت في العصور السابقة » .

فهنا ، كنت احب من الدكتور الحبابي ان يعقد على لسان الرجل الانجليزي مقارنة بين رسالة الاسلام في هذا العصر وفي العصور السابقة ، وبين الادوار التي قامت وتقوم بها اليهودية ( مناهضة الرسالة المحمدية ، واغتصاب فلسطين ، واحراق المسجد الاقصى ) ، والمسيحية ( الحروب الصليبية، غزو العالم الاسلامي ) والمذاهب والايديولوجيات الحديثة ( محاربة الاسلام في دياره ، التشويش على الفكر والحضارة الاسلاميين ) ، وذلك حتى يتضح للقارىء الفارق بين العطاءات الغنية الحقيقية التي ينطوي عليها الاسلام والتي يقدمها لحياة البشرية ، وبين العطاءات المدمرة لتلك المذاهب والايديولوجيات التي تخرب وجدان الانسان وتحطم انسانيته وتملأه « بالسأم والملل والقلق والضياع الذي يتسرب الى كل مرافق الحياة المعاصرة » .

وعلى اي حال ، فاننا نعلق أملنا بالوعد الذي قطعه الدكتور على نفسه في نهاية الحوار بالعودة الى الموضوع في مناسبة اخرى .

وننتقل بالقارىء الى موضوع قريب الصلة بالموضوع السابق ، وهو بحث الاستاذ محمد بن البشير عن « مدينة الرسول الفاضلة التي اسست على الحق والشريعة والتكافل » ، فتبين ان الرسول حينما شرع في تأسيس المجتمع الاسلامي الجديد المتكامل بعد الهجرة ، حدد صلوات الله وسلامه عليه اربعة اهداف اساسية قادت الى قيام مدينة الرسول الفاضلة ، وهذه العناصر هي :

ا ــ ارساء الدين الجديد كعقيدة شاملة .

ب ــ ابراز التشريع الاسلامي المتكامل وتفصيل اغراضه في العبادات والمعاملات .

ج ــ الحرص على التطبيق الصالح في البيئة الاسلامية الجديدة .

د ــ تثبيت اخلاق الاسلام لتحل محل اخلاق الجاهلية .

وهذه العناصر الاربعة هي الوعاء الذي يستوعب فضائل الاسلام ، وهي الاهداف التي ارسى المجتمع الاسلامي الفاضل قواعده ودعائمه بفضلها وبفضل حكمة الرسول الكريم في تطبيقها وتنفيذها .

ويربط الاستاذ ابن البشير بين هذه الاهداف وبين مواقف الرسول الكريم في المجتمع الاسلامي الذي تأسس بعد الهجرة الى المدينة ، ولا يكتفي بايضاحها وتبيانها من خلال حياة الرسول ، بل ويتعقب ذلك الى حياة الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، مستشهدا بآيات القرءان واحاديث الرسول واقوال عمر .

فالمقالة اذن تقدم التصور الاسلامي للمدينة الفاضلة كما اسسها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي « مدينة » واجهت في مرحلة البناء ووضع القواعد والاسس الكثير من المشاكل والمتاعب والتحديات التي كانت كفيلة بالقضاء على اي مجتمع بشري آخر ما لم يكن قائما على ثبات العقيدة ورسوخ الايمان وصيانة حقوق الانسان ودعم التكافل والتعاون بين افراد المجتمع . وتظل المقالة بعد هذا وذاك ، صورة تبين بوضوح أن المجتمع الاسلامي في اي زمان ومكان ، خليق بان يرقى الى ذروة التماسك اذا طبقت فيه ــ تطبيقا صالحا وسليما ــ التعاليم التي جاء بها الاسلام . وتوضح أيضا أن المجتمع الاسلامي اذا تبنى تلك التعاليم في فكره وسلوكه وممارساته ، لا يمكن أن يتعرض لاي تناقض أو اختلال او اهتزاز اذا تمسك ــ تمسكا مرنا خاليا من التعصب والتقليد الفارغ ــ بالقرءان والسنة .

ونلتقي بدراسة الاديب يوسف الشاروني التي يتناول فيها رواية الاستاذ احمد عبد السلام البقالي « الطوفان الازرق » ، ويقارن بينها وبين قصص الخيال العلمي الذي يعتبر قصصا جديدا في ادبنا العربي ، ولم يطرقه حتى الآن الا نفر قليل من كتاب العرب مع شيء غير قليل من الخجل والاستحياء ، وربما يعود ذلك الى ندرة المادة العلمية التي تسعف هؤلاء الكتاب على طريق هذا اللون من القصص ، او الى نفور القارىء العربي الذي حاصره ــ منذ ظهور الرواية العربية ــ سيل جارف من الروايات التي تعالج المواضيع الاجتماعية وعلاقات الرجال والنساء والاحداث السياسية الكبرى .

ولا اريد أن اعقب على دراسة يوسف الشاروني، ولكنني اريد ان انبه الى حقيقة ناصعة عميقة لعل بعض اذهان الكتاب والنقاد المغاربة لم تنفذ اليها ان لم اقل لم تستطع حتى الآن ان تدامسها وتتصل بها، وهي أن الاستاذ احمد عبد السلام البقالي رائد كبير من رواد ادبنا المغربي الحديث ، شارك فيه بالقصة القصيرة والقصيدة والمقالة والرواية . وحياته الادبية التي بداها منذ أربعين سنة تشكل نموذجا حيا للاصالة والابداع والمثابرة والالتحام بالكلمة الصادقة الفنانة ، وله ما يزيد عن عشرة أعمال ادبية تتوزع بين الشعر والقصة القصيرة والرواية والمقالة والمسرحية ، علاوة على بعض الاعمال الاذاعية ، وكل هذه الاعمال تشهد ــ فضلا عن خصوبة الموضوع وثراء الفكر ــ على اصالة الاسلوب ووضوح العبارة وجدة الفكرة وطرافتها ، ورغم ذلك كله ، فان هذا الاديب الرائد الذي خدم الادب المغربي الحديث ولا يزال يخدمه بدون ضجيج واضواء ، لم يشجع احد النقاد المغاربة نفسه عناء قراءته وفهمه وتقديمه لجمهور القراء ، ولا استطيع أن التمس لاحد من نقادنا العذر في هذا الموقف الذى يتناقض مع الروح الادبية والرؤية النقدية السليمة . واعتقد أن ما يبرر هذا الموقف المرفوض هو ان احمد عبد السلام البقالي اديب « لا منتمي » ، مخلص للادب وحده ، ولا

يلامس قشرة المجاملة والصداقة الاخوانية الخاصة التي تعشش في حياتنا النقدية التي يبدو أنها لا تنظر الى الامور نظرة يحكمها الادب الحق ويحكمها النقد الخالص .

وارجو ان تكون هذه الملاحظة العابرة حافزا لادبائنا ونقادنا على الاهتمام والالتفات الى هذا الاديب الكبير والى اعماله الادبية الرائدة التي اثرت الادب المغربي الحديث واغنته من كل وجوهه . ولا يزال حقل الاديب احمد عبد السلام البقالي يدر – الموسم بعد الآخر – بغلال شهية وقطوف دانية ، تنتظر من يمتصها ويتمثلها ويكتب عنها . وها هو قلم من الشرق يكتب بروح نقدية منصفة عن رواية البقالي « الطوفان الازرق » ويقارنها برواية علمية اخرى كتبها الكاتب المصري نهاد شريف ، هي رواية « سكان العالم الثاني » .

وتظل بعد ذلك خمس مقالات تتناول موضوعا واحدا ولكن من زوايا مختلفة ، فالاستاذ محمد الفاسي يتحدث عن « فلسفة سياسة الملوك العلويين » ، والاستاذ محمد الخطيب يكتب عن « ذكرى عيد العرش : تأكيد للاصالة والتحديث » ، والاستاذ محمد العربي الزكاري يكتب عن « اعيادنا متعاقبة ، وملاحمنا متلاحقة » ، والدكتور يوسف الكتاني يكتب عن : « الحسن الثاني : رائد البعث الاسلامي » ، والاستاذ احمد بكن يكتب عن : « مآثر جلالة الملك الحسن الثاني في نشر الفكر الاسلامي واحياء تراثه الخالد » . هي اذن خمسة مواضيع اختار كتابها ان يطرقوا جانبا معينا من جوانب النهضة الفكرية والثقافية والروحية في عهد جلالة الملك الحسن الثاني ، وقد وفى كل كاتب الموضوع حقه من الدقة والاستيعاب والاحاطة ، وجمع له عناصره الاساسية ، وحلل بايجاز واختصار – لا يخلوان من بسط – تلك الجوانب الفنية التي تعد ملامح دالة على التأثير الحسني الواسع المتألق في حياة ومسيرة المغرب الحديث . وهي مقالات تستعصي على التلخيص لان كل موضوع تترابط فيه اجزاؤه وعناصره ، وتتكامل فيه مقدماته ونتائجه .

وفي العدد ايضا ، ترجمتان ، احداهما لشخصية مناضلة بالسيف ، وهي شخصية المجاهد المغربي المنصور بن أبي عامر ، كتب ترجمتها الدقيقة الوافية المدعومة بالمراجع والمصادر الاستاذ المحقق والباحث الكبير سعيد أعراب ، والاخرى لشخصية مناضلة بالقلم ، وهي شخصية الاستاذ العلامة الجليل عبد الله كنون ، كتب ترجمتها الاستاذ مصطفى الشليح . ودين أستاذنا عبد الله كنون علينا كبير يكون عبئا ثقيلا نرجو الظروف أن تساعدنا على ايفائه حتى نرضي الله والضمير . وهذه الترجمة – في حلقتها الثالثة – تعكس هذه الرغبة لتحقيق المطلوب . وقد خصصها صاحبها للحديث عن عبد الله كنون شاعرا من خلال ديوانه « لوحات شعرية »، ودرس من خلال مستويين هما مستوى البنية السطحية ومستوى البنية العميقة كما قال ، والحق انني لم أفهم ما المقصود بالبنية السطحية والبنية العميقة ، ولعله اراد بهما الموضوع والشكل .

وما دمنا في منطقة الادب ، فلا ننسى دراسة الاستاذ زين العابدين الكتاني عن « أدب المغرب الصحراوي » ، وهي بحث جديد في الموضوع ، وقلما تطرق اليها بتفصيل واحكام من ادبائنا المعاصرين الا قلة ، حتى جاء الاستاذ زين العابدين الكتاني فجمع لموضوعه مادة غزيرة غنية ، قراها ودرسها وربط بينها وبين الحياة الوطنية والفكرية والسياسية والاجتماعية للشاعر في بيئته الصحراوية . وكنت قرات لنفس الكاتب سواء في « دعوة الحق » او في غيرها من المجلات – مقالات وأبحاثا مماثلة ، فليت الوقت والجهد يسمحان له بجمع تلك الدراسات بين دفتي كتاب يرجع اليه القارىء والباحث والمؤرخ والدارس .

ولا احب ان اغادر هذا المجال من القول الذي اتاحه لي مشكورا رئيس التحرير ، دون ان اعتب عليه عتبا رقيقا ارجو ان يتقبله بصدره الرحب ، وهو انني قرات العدد كأنني أرقى جبلا صعبت مسالكه وتعقدت مسالكه دون ان اصادف بين منحنياته ومنعطفاته ما يريحني من وعثاء الصعود والهبوط ، ولا اقصد بذلك ان اساليب الكتاب معقدة متشابكة ، معاذ الله ، فالاقلام التي كتبت في موضوعاتها تناولت افكارها بسهولة وسلاسة وليونة ورفق ، لا ترمي اساليبها الى التعمية او الغموض ، ولا تتقعر فيها اللغة حتى يختفي القصد وراء سدول متراخية من الابهام ، ولكنني اقصد الى ان مادة العدد خالية من شعر – الا قصيدة الاستاذ وجيه فهمي صلاح – استظل به

واحتمي بدفئه من حرارة الدرس بما ينطوي عليه من فكر وراي وموقف يستلزم التأمل والتدبر ، كما تخلو من قصة قصيرة أستروح فيها نسائم الانفعال والحس الرقيق والشعور المرهف .

وبعد ، فلعلي اثقلت على القارىء وضيقت عليه من الوقت حتى كاد يبرحني الى مجال آخر ، ولعلي ايضا سرقت من رئيس التحرير مجالا كان في حاجة اليه يفسحه لمادة اصلح وافضل واجدى ، ولهـذا وذاك ، اقدم المعذرة والتمس العفو .

## ردود

** توصلت ( دعوة الحق ) برسالة مفتوحة وجهها الشاعر الاستاذ محمد محمد العلمي الى الاستاذ عبد القادر العافية الذي كتب باب ( قرات العدد الماضي ) المنشور فيمـا يتعلق بالرد . نجيز لانفسنا ان تنشر رسالة الاستـاذ العلمي كما وردت علينـا :

تحية طيبة ، مع موفور المودة والتقدير والاحترام .

وبعد فقد قرات في العدد 2 السنة 22 من مجلـة « دعـوة الحق » الغراء ، الصفحات من 79 الى 86 ، مقالا دبجته براعتكم السيالة ، تحت عنوان : ( قرات العدد الماضي ) . وقد ذكرتم كل كاتب وا شاعر في ذلك العدد باسمه ، وعنـوان مقالتـه أو قصيدته ، مع بعض التحليل ووجهة نظركم بالمناسبة .

الا انكم ـ سامحكم الله ـ عندما تحدثتم عن قصيدتي التـي تحمل عنوان ( موعد مع التاريخ ) ، لم تثبتوا هذا العنوان ، ولا اسمي ، وانما تحدثتم عن انتاج وشخص مبهم ، وقلتـم بالحرف الواحد في الصحيفة 85 من نفس العدد المذكور :

« ثم نلتقي مع شاعر شهير ، له في ميدان القريض جولات ، وهو كثير ما ينظم الملاحم الطوال ، بنفس طويل .

وجاءت ملحمته هذه المرة تختال باشراق ديباجتها ، وجمال اسلوبها .. واستوعبت الملحمة ميادين القـول في الذكـرى ، فكانت بليغة التعبير ، لامعة القسمات » .

هذه شهادة تقدير واعجاب من قلـب كبيـر نبيـل ، وذوق مرهف ، وحساسية عميقة . ولكن كان من الاليق اثبات عنـوان القصيدة واسم الشاعر الذي جادت بها قريحته من باب احقـاق الحق ، فما دون ذلك اجحاف يأباه المنطـق السليـم . ولست أدري هل ذلك النسيان كان عن قصد ؟ أو هو مجرد سهو عفوي أملت ظروف أنتم أعرف بها من سواكم ؟ المهم بـل الاهـم هـو التشبع بروح الانصاف والشجاعة الادبية المثالية . فعين الشمس لا تغطى بالغربال ، ولا ينقص من ضوئها شيئـا ، مـن يتجاهـل اشراقها ولمعانها . فمنها تقتبس الاقمار والنجـوم أنوارهـا ، على كل حال . وصدق الله العظيم اذ يقول : « فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » . فأعطوا ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر ! ومناسبة عيد العرش المجيد أدعى الى الحق والصدق !

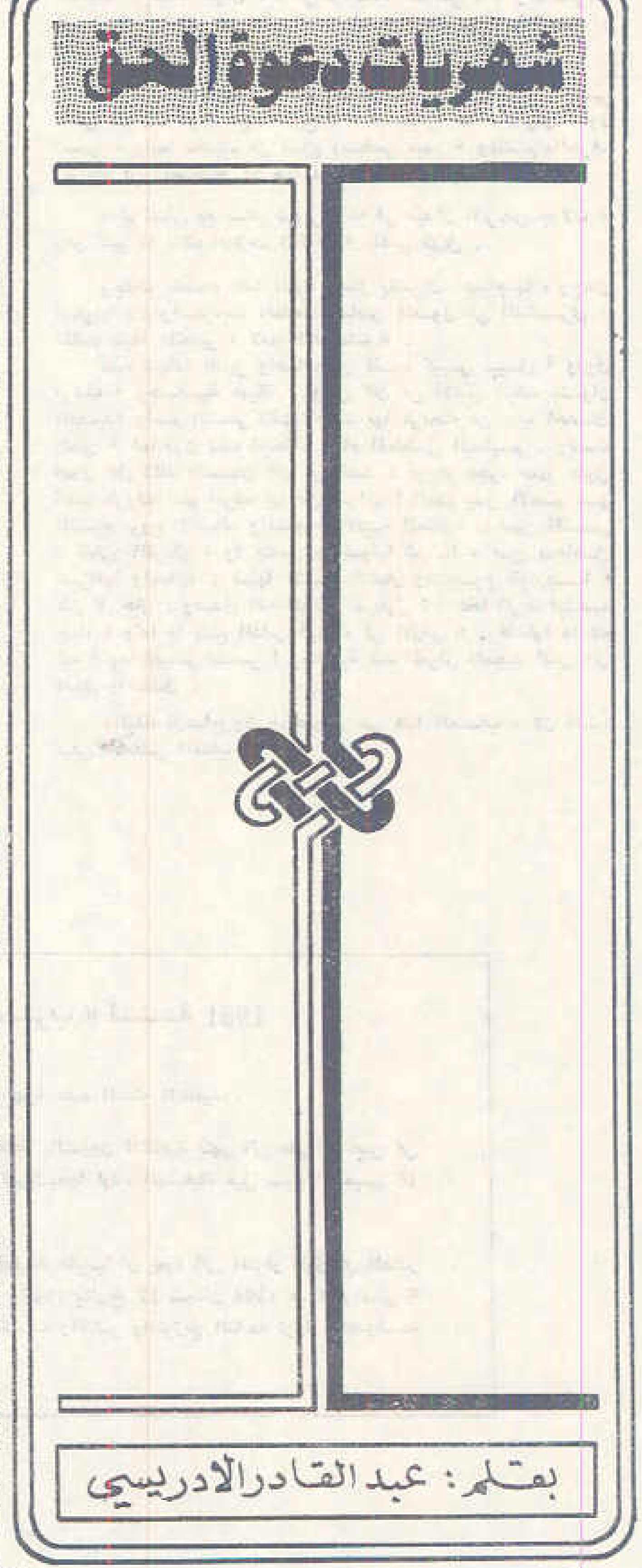
والبقاء للاصلح ولا تؤاخذوني على هذا العتـاب ، لان الـود يبقى ما بقـي العتاب .

## « جائـــزة المغـــرب » لسنـــة 1981

ستمنح جائزة المغرب لسنة 1981 في نهاية هذه السنة الحالية .

وبناء على هذا ، فان وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية تنهي الى علم الراغبين في المشاركة ان يوجهوا الكتب التي يودون ترشيحها لهذه المسابقة قبل يـوم الخميس 15 اكتوبر 1981 .

وعلى من يريد الاطلاع على الشروط المطلوبة قانونيا ان يعود الى القرار الوزاري الصادر في الجريدة الرسمية عدد : 3230 رقم : 15474 بتاريخ 17 شعبان 1394 هـ الموافـق 5 سبتمبر 1974 ، أو ان يتصل بمصلحة المكتبات والنشر والتوزيع التابعة لوزارة الدولـة المكلفة بالشؤون الثقافية .




# عبقرية اليوسي

لا يزال الدكتور عباس الجراري يواصل، في دأب وصمود، اثراء المكتبة المغربية على نحو يعز نظيره بين انداده وزملائه في الجامعة. فهو يصدر في السنة الواحدة كتابا او كتابين، وينشر باستمرار في المجلات المغربية والشرقية ابحاثا جديدة ويناقش ويشرف على مدار العام على رسائل جامعية تدور حول موضوع تخصصه او تتصل بالقضايا الفكرية والادبية عموما. وهو في كل هذه النشاطات العلمية والجامعية مثال الاستاذ المخلص لرسالته التعليمية، وصورة مشرقة للباحث الجاد الذي لا تصرفه مشاغل الحياة عن العلم والايغال في ميادينه والانتاج في مجالاته والبروز والتفوق في ساحاته. وهو بهذا الاعتبار نموذج لرجل العلم الذي يخلص للفكر والثقافة اخلاصه لدينه وعقيدته، ويعطي للجامعة ما هي اهل له من قداسة وحرمة وقيمة واعتبار.

بيد ان الجانب اللافت للنظر في الحياة العلمية عند الدكتور الجراري، ليس هذا الاصرار على اثبات الذات بالحق والقسطاس، وبالعدل والانصاف فحسب، وانما هو هذا التحول الفكري الذي حدث في خط سير الباحث الشاب دون ان يثير ضجة، بل من غير ان يلفت النظر، اللهم الا عند المتتبعين لدقائق وخفايا الحياة الثقافية في بلادنا.

وان كتاب ( الثقافة في معركة التغيير ) الذي اصدره الدكتور عباس الجراري سنة 1972 عن دار النشر المغربية بالدار البيضاء يعطي لنا صورة تختلف تمام الاختلاف عما نعهده اليوم في الكاتب الذي نحن بصدده اليوم. ولعل اختياره لمقولة كارل ماركس الشهيرة : ( ان الفلاسفة لم يفعلوا شيئا غير وصف العالم وتفسيره من زوايا مختلفة، والمطلوب هو تغيير العالم ) مقدمة وتمهيدا واستهلالا لهذا الكتاب تكفي للدلالة على الطابع الفكري الذي كان يحكم الاتجاه الثقافي عند الدكتور عباس الجراري.

ولئن كانت هذه ظاهرة بارزة في حياة كاتبنا، فانها لا تقتصر عليه فقط، وانما هي تكاد تكون قاسما مشتركا بين فئة غير قليلة من كتاب الضاد ومفكري الاسلام في العصر الحديث ابتداء من الدكتور محمد حسين هيكل صاحب ( حياة محمد ) ومرورا بالعقاد وطه حسين، وانتهاء باعلام جيلنا

الحاضر من أمثال خالـــد محمد خالـــد والدكتــور مصطفى محمود ومحمد جلال كشك وقدري قلعجي ورهط كبير من الكتاب والصحافيين والمفكرين الذين بداوا نشاطهم الفكري معبئين بافكار مناهضة لقيــم هذه الامة ثم ما لبثوا أن نبذوها ظهريا وعدلوا عنهــا ورفضوها رفضا ، بعضهم أعلن عنه بشجاعة محمودة بينما آثر البعض الآخر التجاوز عن هذه المرحلة في صمت او فيما يشبه الصمت .

ولست غافلا عن الفرق الجوهري بين كاتبنـــا الدكتور عباس الجراري وبين الفئة الاخرى التـــي ذكرت اسماء بعضها . ذلك ان عباسا يختلــف عــن هؤلاء في امر ذي بال ، وهو انه لم يجهــر بميولـــه الفكرية الاولى ، اللهم الا ما كان من اختياره لكلمـــة ماركس الآنفة الذكر مدخلا لاحد كتبه . ومـــا سوى ذلك ، فليس هو الا اجتهادا وتجديدا في اساليـــب البحث والكتابة وانحيازا لاتجاه ادبي لا ينكر احـــد طغيانه وشيوعـــه في الساحة الثقافيـــة العربيـــة الاسلامية طوال عقدي الخمسينات والستينات .

وهكذا ، وكما هو متوقع دائما من كتابنا الاصلاء المرتبطين بجذور الفكر الاسلامي باكثر من صلة عاد الدكتور عباس الجراري الى الينابيع الثرة لفكر امته وبرز في هذا الميدان وتالق ، فالف ونشر ابحاثـــا ودراسات لعل اهمها في تقديري الخـــاص كتـــاب ( الفكر الاسلامي والاختيار الصعب ) الذي يبدو فيه مفكرا اسلاميا قوي الحجة وجهير الصوت ، شجاع الراي واسع الاطلاع ، عميق النظر الى واقع الامـــة الاسلاميـــة .

واذا كان هذا الكتاب ـ مثل الكتب الجـــادة التي تصدر في المغرب بين الحيـــن والآخر ـ لـــم يخلف الصدى الواسع في الاوساط الثقافية ، فليس مرد ذلك الى كساد بضاعة مؤلفه او الى ضآلة علمه ، حاشا لله ، وانما السبب في هذا السكوت عن كتاب قيم ونفيس وجريء يعود في المقـــام الاول الى مـــا يطبع حياتنا الثقافية عموما من روح التبعية للفكـــر الاجنبي والنظر الى الانتاج المحلـــي نظرة ملؤهـــا الحساسيات والحزازات والاحكام المسبقة التي تتجاوز المضمون الى الشكل والفكر الى صاحبه . وهذا هو الجانب البارز من ماساة النقد والمتابعة والرصد في صحافتنا الادبية ومنابرنا الفكرية على وجه الاطلاق .

وليس يجدي الدخول في منعرجات ومنعطفات ملتوية ليس هذا اوانها ، وانما الذي يعنيني بالدرجة الاولى صدق الدكتور عباس الجراري مـــع نفسه اولا ومع جمهوره وطلبته ، وقبل هذا وذاك مع ربه الذي وهبه عقلا نيرا وفهما واسعا وعلما يزكيـــه عملـــه وتفانيه في كل يوم وليلة .

واني لالمس هذا الصدق في اوضح صورة في هذا الكتاب القيم النفيس الذي اصـــدره الدكتـــور عباس الجراري عن ( عبقرية اليوسي ) رضي الله عنه .

وهناك قضية اساسية تستوقف النظـــر بادىء ذي بدء ، وهي ان اختيار ( اليوسي ) موضعا للتامل وموضوعا للدرس ومادة للكتابة ، يعتبر في حد ذاته نزوعا نحو الاصالة الفكرية كما لا احتاج ان اقـــول . ذلك ان اليوسي ، اولا وقبل كل شيء ، رجل مسلـــم شديد التمسك باسلامه ، وعالم عامـــل ، ومجاهـــد صادق في جهاده بالقلم واللسان وداعيـــة الـــى الله بالعلم لا بالخرافة والشعوذة والدروشة والهذيـــان . وهذه صفات تجعل صاحبها في نظر ( نقـــاد الادب والفكر ) واساتذة الاجيال في المغرب والوطن العربي والاسلامي ـ مع الاسف ـ محط اتهام بالرجعيـــة والتزمت والانهزامية وما الى هذه النعوت التي نصبح ونمسي عليها فيما نقرا من كتابات هنا وهناك .

الاختيار في حد ذاته ، اذن ، شجاعة وموقف وصمود واعلان صريح العبارة عن الهوية الفكريـــة . واذا اضفنا الى ذلك كله المنهج العلمي الصارم الذي اعتمده الدكتور الجراري في دراسته المستوعبـــة لفكر وحياة وآثار اليوسي ، نجد انفسنا امام باحـــث لا تطغى عليه عاطفته ، ولا تستولي على فكره مشاعره تجاه الشخص الذي يدرسه ، وانما هو يسلك مسلك الذي يتقن اساليب البحث العلمي ويجيد استخدامها ولا يقصر ابدا في اللجوء اليهـــا واعتمادهـــا اساسا للمعالجة والتناول .

والدكتور الجراري في ( عبقرية اليوسي ) انما هو باحث في ( عبقرية المغـــرب ) ، باعتبـــار ان اليوسي مثال فذ للنبوغ المغربي في مختلف حقـــول العلم . ولذلك جاءت الدراسة معبرة اصدق تعبير عن الاصالة المغربية المؤمنة بالاسلام دينا وباللغة العربية لسانا وبحضارة وتراث هذه الامة نبراسا .

هذا من حيث النظرة الاجمالية الى كتاب ( عبقرية اليوسي ) التي تتخطى التفاصيل ومحطات الوقوف الى المجمل والمعنى العام والمضمون الاساسي . اما اذا شئنا التعريف بالكتاب بالمعنى المتداول للتعريف بالكتب ، فلنا ان نقول ان المؤلف قسم عمله هذا الى قسمين اثنين : القسم الاول عن ( اليوسي رائد عصره ومجدده ) ويشتمل على مقدمة وثلاثة فصول تعقبها خاتمة . والقسم الثاني يتناول ( بيوبيلوغرافيا اليوسي او سيرته البيليوغرافية ) .

وهكذا يدرس المؤلف شخصية الامام اليوسي كنمط متميز من الثقافة والشخصية ، ويتناوله ايضا من جانب الامتياح من الذات والانصهار في المجتمع ويحدد مواقفه الجريئة ويستعرض آراءه الصريحة ، كل ذلك في افاضة وتوسع واحاطة دقيقة بالموضوع مما يعطي للكتاب تلك الصفة العلمية الجامعة التي نكاد نفتقدها فيما ينشره كتابنا ومؤلفونا من كتب ومؤلفات .

ولعل القسم الثاني اهم بكثير من القسم الاول، فقد درس فيه المؤلف انتاج اليوسي من كتب وتقاييد واشعار ومنظومات ورسائل وفتاوي ، واحصى المصادر التي ترجمت لليوسي بكيفية دقيقة شملت ما نشر في المجلات والصحف وما صدر من كتب في المغرب والمشرق . وهو جهد علمي شاق لا يعرف قيمته الا من يتعاطى هذا الضرب من التخصص .

والخلاصة العامة للكتاب أجملها المؤلف ـ في براعة ودقة ـ في كلمة الاهداء التي جاء فيها :

( ـ الى كل مثقف يعي رسالته .

ـ والى كل حاكم يقدر مسؤوليته ) .

والحق ان امامنا اليوسي قدوة للمثقفين والحكام سواء بسواء . وهنا يكمن نبوغه .

وما احرانا في هذه الفترة الحرجة من تاريخنا الحديث ان نقف طويلا عند حياة هذا العالم المغربي الذي صدع بالحق وجهر به واثبت للعالم ان المغرب بلد الخير والصلاح ، وان الاسلام في هذه الارض عقيدة ودولة ومنهج حياة .

بل ما احرى امتنا اليوم الى الاقتباس من حياة اليوسي ، وبالاخص العلماء والدعاة والمفكرون وكل متصدر للحياة الفكرية . فلقد كان الرجل قدوة وسيبقى قدوة لكل ذي عقل يعي رسالته ويدرك مسؤوليته .

وجزى الله الدكتور الجراري عنا خيرا ، فقد وضعنا في الصورة الحقيقية لرجل كانت اهم صفاته بعد الايمان انه ( مغربي ) . واكرم بها من صفة يحق لنا اليوم ان نعتز بها ونعض عليها بالنواجذ ●

# من مكة المكرمة

●● هدية كريمة وافاني بها بريدي من مكة المكرمة اعتززت بها وسعدت . وهي من عالم رائد وشيخ جليل وامام من ائمة الصحافة الاسلامية بدون منازع ، الاستاذ الكبير محمد سعيد العامودي . لقد اهداني مشكورا كتابه الجديد ( من حديث الكتب ) الذي اصدره ( نادي الطائف الادبي ) . والكتاب جولة ادبية ممتعة في بطون نحو ثلاثين كتابا من انفس ما اصدرته المطبعة العربية خلال نصف القرن الماضي في مختلف فروع العلم والادب والشعر والاجتماع والحكم والسياسة والتنمية والاقتصاد . اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ( بطل الابطال ) للاستاذ عبد الرحمن عزام رحمه الله ، و ( الفاروق القائد ) للواء الركن محمود شيث خطاب ، و ( الخليفة الزاهد: عمر بن عبد العزيز ) للاستاذ عبد العزيز سيد الاهل رحمه الله و (رجال من التاريخ) للشيخ علي الطنطاوي و ( لا شيوعية ولا استعمار ) لعباس محمود العقاد رحمه الله ، و ( الاستعمار احقاد واطماع ) للشيخ محمد الغزالي ، و ( نحن والقرءان ) لمحمد عبد الله السمان ، و ( وعي المستقبل ) لقدري حافظ طوقان ... الخ .

والكتاب بنفسه الاسلامي واسلوبه السلس المتع وامتداد افق كاتبه يقدم لك مكتبة اسلامية عربية زاخرة بالنفائس عامرة بامهات الكتب التي قامت عليها نهضتنا . والمؤلف ياخذك معه في رحلة عقلية لا تزداد في كل شوط فيها الا رغبة واقبالا على القراءة وتطلعا الى الرجوع للاصل لتروي ظماك من

المصدر . ولا عجب ، فالمؤلف فحل من فحول العربية في العصر الراهن وان كان ليس لاسمه رنين الاسماء الزائفة التي تملأ دنيانا اليوم . وقليل من قراء المغرب من يعرف محمد سعيد العامودي . ويكفي ان يقال في حقه ان من الرواد الاوائل الذين اشتغلوا بالصحافة الاسلامية . فقد قضى ربع قرن رئيسا لتحرير مجلة ( الحج ) التي اصبحت تحمل اسم ( التضامن الاسلامي ) وتصدر من مكة المكرمة ، ثم عمل رئيسا لتحرير مجلة ( رابطة العالم الاسلامي ) ، واشترك مع ابناء جيله في اصدار صحف ومجلات رائدة .

اذكر اني زرت الشيخ محمد سعيد العامودي رفقة الزميل محمد الخضر الريسوني ببيته العامر بمكة المكرمة في موسم حج عام 1398 . ودار الحديث بيننا حول المغرب ودوره في الاشعاع الاسلامي . وقد ابدى الكاتب الكبير اعجابه البالغ بعدد من رجالات المغرب واعلام الفكر والصحافة . ولم تسعني الدنيا يومها من الفرح والاغتباط ، واحسست بالزهو من انتمائي الى هذا البلد الذي رغم كيد الكائدين لم يقصر يوما في الدفاع عن الاسلام ونصرة قضاياه .

والشيخ العامودي في كتابه الجديد يحمل قلما مجاهدا ، ويوجه الرأي العام الى حقائق هذا الدين وعظمة هذه الامة من خلال قراءته الطويلة لعدد من الكتب القيمة باقلام رجال افذاذ منهم من لقي ربه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

يقدم الاستاذ علي حسن العبادي رئيس ( نادي الطائف الادبي ) الكتاب فيقول :

« الاستاذ الاديب الكبير محمد سعيد العامودي من ادبائنا الرواد وهو من مواليد مكة المكرمة ووالده هو الشيخ عبد الرحمن العامودي من تجارها المعروفين ، قرشي صحيح النسب ؛ ينتسب الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبيت العامودي في الجزيرة العربية بيت علم وفضل وحسب ..

والاستاذ العامودي ممن شاركوا في تكوين دعامة الادب السعودي ووضعوا أساسه المتين وثبتوا أركانه ، وعلى يده وبعض من زملائه الرواد قامت نهضة ادبية صادقة مباركة ، وشع من وطننا مهبط الوحي ومنزل الفصاحة والبيان والاعراب أدب حي ، أعاد الينا مجدنا التالد وتاريخنا الخالد .

وهو كاتب وشاعر ملك زمام الصناعتين ، فله بجانب نثره وكلماته ذات المعاني الفصاح والسحر الحلال شعر بديع رائع لا يجاريه فيه الا شاعر مفلق ، وقصيدته في ( السياسة ) مشهورة معروفة تدور على الالسن ويرددها الشادي والمبرز والظالع والظليع ، وكانت من محفوظاتنا في فترة من الزمان وقصيدته ( الزمن والانسان ) كانت احدى القصائد الثلاث التي فازت في مسابقة أجرتها مجلة الهلال سنة 1933 ، كما له رباعيات مهياة للنشر ؛ وكتابه « من حديث الكتب » الذي نقدمه اليك أيها القارىء الكريم كتاب ماتع قيم قمين بان يقرأه الاديب والعالم والمؤرخ ، لانه كتاب جمع بين دفتيه كل ما يغني هؤلاء عن قراءة ما يميلون اليه من الكتب ، ومعرض جامع للاضطلاع والاستفادة والتامل والآراء والملاحظات ، كتاب لا يمله النظر ولا تقتحمه العين » .

## وجودنا العلمي في تونس

●● الباحث التونسي الاستاذ مصطفى بوهلال انقطع خلال الفترة الاخيرة لدراسة موضوع من الاهمية بمكان ، وهو التعاون المغربي التونسي في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر . وقد وصلتني منه رسالة في هذا المعنى أنشر فقرة منها تهم الباحثين :

« .. هذا ومنذ مدة وانا انقب في المصادر لاعداد بحث عن التعاون المغربي التونسي في الثلث الاخير من القرن 18 ، والثلث الاول من القرن 19 ، في المجال السياسي والعلمي ، وهو يدور حول مراسلات وسفارات من طرف بايات تونس الى سلاطين الدولة العلوية وحول دور هؤلاء ( الكتابية ) ، وحول تقديم علماء مغاربة استقروا بتونس للتدريس ـ في هاته الفترة ـ كالشيخ محمد الفاسي ( ت 1817 ) أو علماء تونسيين تعلموا بالقرويين في فاس واخذوا من الولي الصالح احمد التجاني وعن العالم المؤلف التاودي ابن سودة ـ شارح العاصمية ـ ثم عادوا لتونس لنشر الطريقة التجانية ولبث شرح التاودي الذي اقره علماء الزيتونة كتابا مدرسيا مهما يعتمد في التدريس للطلاب الزيتونيين ... »

## تكريم الأحياء

●● طرح الاستاذ محمد القاضي في رسالة له الى ( دعوة الحق ) فكرة أراها شخصيا جديرة بالتنفيذ لقيمتها ووجاهتها ، ويتعلق الامر بتكريم الاستاذ العلامة المجتهد الكبير السيد عبد الله كنون باصدار عدد ممتاز من هذه المجلة يكون سجلا لاعماله ومساهماته في الفكر المغربي الحديث . تقول رسالة الاستاذ القاضي :

« لا يخفى عليكم المكانة المتميزة التي يحتلها استاذنا الكبير عبد الله كنون ، فعلمه غزير وانتاجه خصب في حقل الدراسات الادبية والاسلامية ، حقق دفائن التراث الفكري المغربي ، وأنجز دراسات تتسم بالتحري والدقة ما رفعه الى مصاف أعلام الفكر العربي المعاصر ، وجعله موضع تقدير رجال الفكر والادب في الشرق والغرب على السواء . وقد يطول بنا الحديث لو احصينا ما قام به من مجهود جبار في البناء العلمي والثقافي لبلادنا وللعالم الاسلامي .

ولهذا اقترح عليكم بحكم عملكم الصحفي كرئيس تحرير مجلة « دعوة الحق » أن تتبنى هذه المجلة اصدار عدد خاص بالاستاذ العلامة عبد الله كنون يشارك فيه الادباء والكتاب المغاربة ( نثرا وشعرا ) ، ويكون بمثابة هدية يقدمها الادباء المغاربة للاستاذ الجليل اعترافا منهم بمكانته ومجهوداته ، لينعم بها وهو ما زال على قيد الحياة ، كما فعل تلامذة الدكتور طه حسين في مصر حين قاموا باهداء كتاب شارك في انجازه كثير من الادباء وكان بمناسبة عيد من أعياد ميلاده على ما أعتقد ، واذا كان عمر الانسان يقاس بالعمل الذي يقدمه لغيره فان الاستاذ عبد الله كنون قدم من الاعمال الكثير ، انه دين في عنقنا جميعا نحن طلاب العلم والمعرفة فأرجو أن تحظى هذه الدعوة من طرفكم بنوع من العناية والتقدير ، وتكون بهذا قد كرمتا عالما وأديبا من احسن ما انجبت هذه الارض الطيبة ، تفانى في خدمة وطنه وابنائه .

ارجو أن أعرف رأيكم في هذا الموضوع حتى أتمكن من انجاز ما أستطيع لأكون من المشاركين في هذا العدد المقترح » .

و ( دعوة الحق ) لا يسعها الا ان تطرح هذا الاقتراح الوجيه للدرس والتأمل ، آملة ان تتلقى من السادة الباحثين والراغبين في المشاركة في هذا العدد المقترح ما يشكل ملفا صالحا للنشر ان شاء الله .



## المغـــرب :

* بعد ( لوحات شعرية ) الديوان الاول للاستاذ عبد الله كنون صدر مؤخرا الديوان الثاني للشاعر بعنوان ( ايقاعات الهموم ) . ويقع في 128 صفحة من القطع الصغير ويضم 41 قصيدة مع اناشيد للاطفال ومقدمة وآراء الكتاب والادباء في شعر الاستاذ كنون .

والديوان ترجمة أمينة لطبيعة الاستاذ عبد الله كنون في التزامه الصادق بالقيم والمقومات الاساسية لهذه الامة ووفائه المخلص للعقيدة الاسلامية . وهو على جانب كبير من السلاسة والجزالة والرقة ، هذا الى جانب الشفافية والتحليق في آفاق الفكر والشعور . والروح الغالبة على الديوان هي الوطنية المؤمنة والتعلق بالامجاد والدعوة الى التجديد والوفاء لاعلام الامة في الادب والفكر والثقافة والكفاح السياسي .

وهكذا نقرأ في ( ايقاعات الهموم ) قصائد رائعة عن ( الظهير البربري ) ، ورثاء شوقي ، ورثاء الاستاذ عبد الخالق الطريس ، ورثاء الزعيم علال الفاسي ، بالاضافة الى قصائد وجدانية شديدة التأثير في نفس القارىء ، وتأملات في الكون والنفس والحياة .

والاستاذ كنون في ديوانه الثاني شاعر ملتزم بالمعنى الحضاري غير المبتذل للالتزام ، فهو يجمع بين مهارة الصنعة وحذق الفن وجودة الاداء الى روعة المعنى وجمال الصورة وجلال المضمون . وبذلك يكون شعر كنون من الصنف الذي افتقدناه كثيرا بحكم طغيان نماذج هابطة من الادب الرخيص الذي لا يمت الى التراث الشعري لهذه الامة بأدنى صلة اللهم الا الكتابة بالحروف العربية .

* من مطبوعات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط صدر للاستاذ العلامة الباحث محمد المنوني كتاب جديد بعنوان ( ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ) . ويتضمن الكتاب مجموعة من الابحاث والدراسات المغربية المعمقة سبق نشرها في المجلات المغربية مثل ( دعوة الحق ) و( البحث العلمي ) و ( المناهل ) .

والكتاب دراسة جادة وعميقة لمختلف المظاهر الحضارية والفكرية للحياة في عهد الدولة المرينية . تمتاز هذه البحوث بما عهد في المؤلف من مقدرة على التحليل وتمكن من المادة موضوع الدرس وغوص في اغوار التاريخ .

والمؤلف حجة في مثل هذه الموضوعات . ولذلك جاء كتابه مستوفيا لشروط الكتابة التاريخية الجادة والهادفة .

* ( الحماية الفرنسية : بدءها نهايتها حسب افادات معاصرة ) . كتاب جديد وقيم أصدره الدكتور عبد الهادي التازي مدير المعهد الجامعي للبحث العلمي . الكتاب يكشف الستار عن حقائق جديدة لم تكن متداولة عن البدايات الاولى لاحتلال المغرب . وقد بذل المؤلف ، الذي اعتمد على كتابات اوروبية جديدة ، جهدا علميا شاقا من أجل الخروج بهذا الكتاب النفيس الذي يثري المكتبة المغربية في جوانبها التاريخية .

* الاديب المغربي القاص أحمد عبد السلام البقالي صدرت له رواية بعنوان ( سأبكي يوم ترجعين ) ، وذلك عن منشورات ( دار ميثاق المغرب ) . الرواية تجيب ببراعة فنية متناهية عن هذا السؤال : ما ذا يحدث للعقل العبقري حين ينقطع عنه تيار الحب ! . وقصة ( اسماعيل البناء ) ـ بطل الرواية تجيب عن ذلك .. وتأخذ القارىء داخل العقل العبقري البارد ودهاليز العاطفة البشرية المحترقة .

والبقالي في روايته الجديدة كاتب مقتدر وروائي فنان ومحلل اجتماعي لنوازع النفس البشرية . وهو اسلوب امتازت به جميع اعمال الروائي المغربي احمد عبد السلام البقالي .

واللافت للانتباه في جميع الاعمال الادبية لكاتبنا سواء منها النثرية أو الشعرية هو هذا الضبط اللغوي والانضباط البياني ومراعاة قواعد الفصحى . وهي ميزة ادبية قلما يتوفر عليها ادباؤنا وشعراؤنا وكتابنا .

وجملة القول ، ان رواية ( سأبكي يوم ترجعين ) عمل ادبي رفيع المستوى ورفيع الاداة والوسيلة أيضا .

تقع الرواية في 275 صفحة من القطع المتوسط .

* أصدر الاستاذ عبد الهادي بوطالب كتابا جديدا بعنوان : ( النظم السياسية العالمية المعاصرة ) . وهو يقدم نماذج مختارة من العالم الرأسمالي والعالم الاشتراكي والعالم الثالث . ويقع الكتاب في نحو 450 صفحة من القطع الكبير . وهو عمل علمي عظيم النفع جليل القدر باعتباره دراسة تحليلية ناضجة للانظمة السياسية المعاصرة من منظور منفتح ومتطور ورؤية شمولية تنم عن سعة اطلاع وعمق معرفة وحسن ادراك للتيارات والايديولوجيات المعاصرة .

ويضم الكتاب دراسة مفصلة لنظام الحكم في المغرب ، ويشتمل على نصوص الدساتير التي صدرت في المغرب سنة 1962 وسنة 1970 وسنة 1972 . ويستغرق الفصل الخاص بالمغرب حوالي سبعين صفحة .

* الكاتبة المغربية خناثة بنونة صدر لها كتاب جديد ( الغد والغضب ) .

* الشاعر احمد عناوي صدر له ديوان شعر جديد بعنوان ( أحزان هذا العصر ) ، يلاحظ على الشاعر في ديوانه الجديد استعمال الرموز والاصطلاحات الاسلامية ، وهذا اتجاه جديد في الشعر المغربي الحديث . ولعل وراء هذا الاتجاه تحولا من دنيا التيه والضياع في عالم الايديولوجيات الى الينابيع الثرة والاصول الثابتة لامتنا .

احمد عناوي شاعر ذو صوت قوي ، وهو في ديوانه هذا يختلف عنه في دواوينه السابقة .

* يواصل الدكتور محمد كمال شبانة اثراء المكتبة العربية بالجديد المفيد من التراث الاندلسي بعد تحقيقه ودراسته واخراجه للناس في حلة قشيبة وفي قالب يصوغ نبه الفكرة دون المساس

بجوهر الاصول الرئيسية لهذا التراث .

وقد أصدر الدكتور شبانة مؤخرا كتاب ( الاشارة الى ادب الوزارة ) للوزير المؤرخ لسان الدين ابن الخطيب السلماني . ويقع الكتاب في 150 صفحة من القطع المتوسط .

والكتاب نفيس وهو من التراث الاسلامي السياسي الذي يكشف لنا عن أصالة الفكر السياسي في الحضارة العربية الاسلامية .

* ( الاصول : دراسة ابيستمولوجية لاصول الفكر اللغوي العربي )، كتاب جديد صدر عن دار الثقافة بالدار البيضاء للدكتور العالم اللغوي المعاصر تمام حسان . يضم الكتاب 29 موضوعا تغطي جوانب النحو وطرائقه وقواعده وتعرجاته واشكالاته. هذا الى جانب فصول عن فقه اللغة والبلاغة . ويقع الكتاب في 394 صفحة .

* ( شعب ضد الرصاص ) كتاب قيم من تأليف الدكتور ابراهيم دسوقي أباظة ، صدر عن مطبعة الانباء بالرباط . أما الشعب فهو الشعب المغربي ، وأما الرصاص ؛ فهو رصاص المرتزقة والعملاء والخونة والضالعين مع القوى الاستعمارية المتآمرة ضد المغرب المسلم القوي بوحدته الوطنية ونظامه الراسخ وأصالة كيانه السياسي والفكري .

المؤلف صادق في آرائه ونظراته واجتهاداته . وهو لا يدافع عن المغرب لانه البلد الذي يقيم فيه منذ ما يزيد عن عشر سنوات ولكنه يدافع عن الحق والعدل والمشروعية ويسجل أحداثا ووقائع بأمانة الاستاذ الجامعي الموضوعي المنصف .

يقع الكتاب في 212 صفحة من الحجم المتوسط .

* صدر عن (مكتبة المعارف) بالرباط رواية بعنوان ( فاس وشجرة التفاح ) للكاتب محمد العلمي . وقد استوحى المؤلف روايته من الانتفاضة الشعبية التي قام بها سكان فاس سنة 1912 والتي قام الجيش الاستعماري على اثرها باعدام عشرات المواطنين .

الرواية اضافة جيدة للادب المغربي القصصي الذي يؤرخ لفترة مهمة من تاريخ الحركة الوطنية .

* ( أحمد بناني : فقيد الادب والوطنية ) . كتاب يشتمل على الدراسات والابحاث والكلمات التي القيت بمناسبة الذكرى الاربعينية للفقيد . صدر الكتاب عن مطبعة ( الرسالة ) بالرباط .

* عن منشورات ( الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ) . صدر كتاب (وصف افريقيا ) لمؤلفه الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بجان لويس الافريقي . وقد ترجم الجزء الاول عن اللغة الفرنسية الدكتور محمد حجي عميد كلية الآداب بالرباط والدكتور محمد الاخضر الاستاذ في نفس الكلية . يقع الجز الاول الذي صدر مؤخرا عن مطبعة ( البلاد ) بالرباط في 300 صفحة .

* طبعة جديدة من كتاب ( من وراء السدود او الحركة الوطنية بفاس سنة 1937 وسنة 1944 ) لمؤلفه امحمد ابن هاشم العلوي . صدرت عن ( دار نشر الثقافة ) بالقاهرة . ويقع الكتاب في 166 صفحة من القطع الكبير. وكانت الطبعة الاولى قد صدرت بمدينة فاس منذ سنتين مهلهلة ورديئة ومليئة بالاخطاء المطبعية التي افسدت الكتاب .

طبعة القاهرة من ( من وراء السدود ) للاستاذ امحمد ابن هاشم العلوي جيدة وممتازة . والكتاب في الجملة تاريخ من وطني مكافح لاهم مرحلة مرت بها الحركة الوطنية في المغرب .

* أصدر الاستاذ عبد الله التليدي بطنجة كتابا بعنوان : ( المطرب بذكر بعض مشاهير أولياء المغرب ) . ويقع في نحو 220 صفحة من القطع المتوسط . ويلاحظ على المؤلف اغراقه في ترجمة نماذج عادية من الرجال الذين اشتهروا بالتصوف ، هذا الى جانب اعتماد بعض الخرافات والروايات العامية أساسا في الترجمة لطائفة من الاولياء ورجال الدعوة والتصوف . ويا حبذا لو استغنى المؤلف عن هذا الحشو واكتفى بالمهم والمعقول لجاء كتابه موضوعيا ومنسجما مع الحقائق .

* استقر رأي وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية على أن تصدر اعدادا متتابعة خاصة من مجلة « المناهل » ، يشتمل المقبل منها على دراسات وابحاث تتجلى من خلالها معالم الحركة الفكرية التي ازدهرت بمدينة سبتة . ويبرز في اثنائها الدور الثقافي الهام الذي اضطلعت به هذه المدينة المغربية السليبة .

كما ستنظم الوزارة في غضون الخريف المقبل لقاء يتدارس خلاله نخبة من علماء المغرب والمشرق وعلماء الاستشراق موضوع تاريخ الاندلس بصورة عامة وموضوع حياة وآثار المؤرخ الاندلسي الفذ الكاتب الماهر والاديب الكبير أبي مروان ابن حيان بوجه خاص .

* نظمت كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط ندوة في موضوع البحث اللساني والسيميائي في أبعاده الخاصة والعامة أيام 7 و 8 و 9 ماي شارك فيها باحثون من المغرب ولبنان والاردن ومصر وفرنسا والمانيا .

وقد تم خلال الندوة القاء عروض بالاضافة الى تنظيم موائد مستديرة نظمتها خمس مجموعات دراسية هي :

1 – مجموعة الدراسات الصوتية .
2 – مجموعة الدراسات التركيبية .
3 – مجموعة الدراسات الدلالية .
4 – مجموعة السيميائيات.
5 – مجموعة اللغة والفكر.

* نظمت جمعية الاقتصاديين المغاربة ندوة في موضوع : « العالم العربي والمجموعة الاقتصادية الاوروبية » .

## رسائل جامعية :

* دافع الاستاذ حسن الطريق عن الرسالة التي تقدم بها الى كلية الآداب بفاس لنيل ديبلوم الدراسات العليا في موضوع ( الشعر المسرحي في المغرب : حدوده وآفاقه ) . وكانت لجنة المناقشة مركبة على النحو التالي : الدكتور محمد

الكتاني رئيسا ، والدكتور عباس الجراري مشرفا ، والدكتور حسن المنيعي ، والدكتور محمد السرغيني عضوين .

* نوقشت بدار الحديث الحسنية رسالة لنيل الدبلوم في العلوم الاسلامية المقدمة من السيد محمد بالوالي في موضوع : ( « الايضاح لما يتبهم عن الورى في قراءة عالم أم القرى » لابي زيد عبد الرحمن بن القاضي ـ دراسة وتحقيق ـ ) .

وقد تكونت لجنة المناقشة من السادة :

ـ الدكتور التهامي الراجي رئيسا ومشرفا .

ـ الاستاذ محمد المتوني عضوا .

ـ الدكتور معمر نوري عضوا .

* ونوقشت بدار الحديث الحسنية رسالة لنيل الدبلوم في العلوم الاسلامية المقدمة من السيد عبد السلام العسري في موضوع : (نظرية الاخذ بما جرى به العمل في المغرب في اطار المذهب المالكي ) . وقد تكونت لجنة المناقشة من السادة :

ـ الاستاذ حماد العراقي رئيسا ومشرفا .

ـ الدكتور أحمد الخمليشي عضوا .

ـ الدكتور عبد السلام الادغيري عضوا .

* ونوقشت بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ، رسالة حضرها السيد ادريس الناقوري لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها في موضوع :

« الاصطلاحات النقدية والبلاغية في كتاب ( نقد الشعر ) لقدامة بن جعفر : دراسة لغوية تاريخية نقدية »

وتكونت لجنة المناقشة من السادة : الدكتور عباس الجراري رئيسا ، الدكتور امجد الطرابلسي مقررا والدكتور محمد الكتاني عضوا .

* نوقشت بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالدار البيضاء رسالة لنيل ديبلوم الدراسات العليا في العلوم القانونية تقدم بها السيد محمد اوغريس حول الموضوع الآتي : « التعاقد بطريقة النيابة في ضوء التشريع المدني المغربي» وقد تكونت لجنة المناقشة من السادة : الدكتور ادريس العلوي العبدلاوي رئيسا ، الدكتور محمد المرنيسي والدكتور نوري عبد الحليم عضوين .

* ونوقشت بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالدار البيضاء رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم القانونية للسيد أحمد أجويد حول الموضوع الآتي : « جريمة رشوة الموظف العمومي في التشريع المغربي » . وقد تكونت لجنة المناقشة من السادة : الرئيس : الدكتور أحمد الخمليشي ، عضو الدكتور مشيش العلمي ، عضو الدكتور مصطفى فريج .

## تـــــونس :

* من مطبوعات الدار العربية للكتاب في تونس هذه المنشورات الجديدة :

( ومضات فكر ) للشيخ الفاضل ابن عاشور .

( رحلة التيجاني ) تحقيق العلامة حسن حسني عبد الوهاب .

( مذكرات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة ) للكاتب الرشيد ادريس .

## مصـــــر :

* احتفالا بمطلع القرن الخامس عشر الهجري بدأ المؤرخ الاسلامي أحمد عطية الله في اصدار موسوعة تؤرخ لاحداث العالم الاسلامي سنة بعد سنة منذ مشرق الامة الاسلامية في المدينة الى ختام سنة 1400 هجرية .

ويتضمن تاريخ كل سنة أهم أحداث العالم الاسلامي وتصدر الموسوعة في أجزاء يغطي كل جزء منها قرنا من الزمان .

* أصدر الدكتور حلمي علي مرزوق أستاذ اللغة العربية بكلية الآداب جامعةالاسكندرية كتاب بعنوان « شوقي وقضايا العصر والحضارة » دافع في كتابه عن أمير الشعراء ضد هجمات عديد من النقاد ، وتعرض فيه أيضا لحجج شوقي التي أثبتت مدى مراوغة بعض المستشرقين الغربيين ومخالفتهم للحقائق الخاصة بالدين الاسلامي الحنيف والمنهج الذي اتبع في نشره .

ويستهل الدكتور حلمي مرزوق كتابه بابراز سمة من السمات الاساسية لشعر أحمد شوقي ، وهي خلط الشعر بالقضايا العصرية والحضارية وجعل القارىء لشعره يشعر بتيارات العصر وحركة التاريخ مخالفا بذلك شأن البحتري في القديم وحافظ ابراهيم في الحديث، ويمضي الدكتور حلمي ليقول: ان شعر شوقي هو تأمل في وقائع الحياة والاحياء ، شأنه شأن المتنبي في هذا الصدد.

ويمضي الدكتور مرزوق ليقول : « اتهم الاسلام بأنه دين سيف وحرب ، لا دين منطق واقناع ، وهما فرية فشت في هذا العصر الحديث على ألسنة فريق من المستشرقين » ، ومن الملاحظ عنا أن الدكتور مرزوق يقول: « فريق المستشرقين » وليس كل المستشرقين « لانه يعرف ان هناك منهم من أنصف الاسلام في هذه القضية وفي غيرها ، وعلى رأسهم كل من توماس أرنولد وارنولد توينبي » .

* صدرت في القاهرة رواية للكاتب « فاروق خورشيد » عنوانها « حفنة من رجال » تدور أحداثها في العصر المملوكي بمدينة القاهرة .

* أصدر مجيد طوبيا رواية جديدة بعنوان : ( جفاف ) .

* ( أوراق عاشق ) ديوان شعر جديد للشاعر أحمد عبد الرحمن الشرقاوي .

* للاديب المصري صبحي الجبار كتاب حصل به على جائزة الدولة التشجيعية وعنوانه : « ربع قرن في القيود » قررت مكتبة مدبولي نشره من جديد بعنوان : ( 40 عاما في القيود ) صبحي الجبار يستعد الآن لاصدار مجموعة قصصية جديدة . والجدير بالذكر أن الكاتب مشلول وطريح الفراش منذ 40 سنة .

* المستشرق الاميركي « كارل بيتري » زار مصر

للانتهاء من اعداد كتابه الثاني عن « حضارة القاهرة في العصور الوسطى المتأخرة » وكان د كارل بيتري قد حصل على الدكتوراه في الفلسفة الاسلامية في العصور الوسطى.

* ( في القصة القصيرة ) للدكتور رشاد رشدي صدرت طبعة جديدة منه ويعتبر هذا الكتاب هو الاول في المكتبة العربية الذي يتناول فن القصة القصيرة .

* ( تعريف بالرواية الاوروبية) أحدث كتاب للناقد الدكتور سيد حامد النساج صدر من المكتبة الثقافية بهيئة الكتاب .

* ( ناجي شاعر الحب والجمال ) كتاب جديد لمحمد رضوان يتناول فيه بالدراسة والتحليل حياة ناجي وشعره في ضوء المنهج النفسي . ستصدر للمؤلف أيضا الطبعة الثانية من كتابه « صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك».

* « لا تظلمي الحب » أول ديوان للشاعر اسماعيل عبد الفتاح .

* « الشاعر سمير صبري» صدر له أول ديوان بعنوان : ( ملحمة مستحيل ) .

* ( الفلسفة الايرانية الاسلامية ) تأليف المستشرق هنري كوربان . وهو الجزء الثاني من كتابه الشهير (تاريخ الفلسفة الاسلامية ) الذي صدرت له ترجمة عربية .

## المملكة العربية السعودية

*** قررت جامعة الملك عبد العزيز بجدة تقديم الدكتوراه الفخرية لجلالة الملك خالد ابن عبد العزيز .**

وقد حدد الدكتور عبد الله نصيف مدير الجامعة الحيثيات الاكاديمية الست لترشيح جلالة الملك خالد لنيل درجة الدكتوراه الفخرية في خدمة الاسلام والمسلمين .

**أولا ــ بالنسبة للفئة :**

المرشح هو صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية.

**ثانيا ــ نبذة عن حياة المرشح:**

ــ ولد في مدينة الرياض في عام 1331 هـ الموافق1913م وتلقى تحت رعاية والده المغفور له جلالة الملك عبد العزيز تعليما اسلاميا وعاما على أيدي أفاضل من رجال التربية والتعليم .

ــ اشترك في شبابه في الحملات العسكرية التي ادت فيما بعد الى توحيد ارجاء المملكة وتثبيت أركانها .

ــ اشترك في عام 1352 في المفاوضات مع امام اليمن ووقع معاهدة السلام السعودية ــ اليمنية ، التي رسمت فيما بعد افضل علاقات الجوار بين الشعبين الشقيقين .

ــ وفي عام 1359 اشترك جلالته مع شقيقه الراحل جلالة الملك فيصل رحمه الله في المؤتمر الخامس بفلسطين الذي عقد في المملكة المتحدة .

ــ حضر جلالته مناسبة انشاء منظمة الامم المتحدة عند انشائها في عام 1384 نائبا لرئيس مجلس الوزراء .

ــ ونصب جلالته في عام 1385 وليا للعهد في المملكة العربية السعودية .

ــ وبعد وفاة المغفور له جلالة الملك فيصل مستشهدا تولى الملك خالد الملك ابتداء من الثالث عشر من ربيع الاول عام 1395 هـ .

**ثالثا ــ تحديد المجالات التي أسهم بها المرشح في مجالات الخدمة العامة :**

لجلالة خالد بن عبد العزيز اسهامات عظيمة في مجالات الخدمة العامة نوجز أهمها على سبيل التذكير لا الحصر:

ــ ساهم جلالته في بداية حياته العلمية في المشاركة في الجهود المختلفة التي أدت الى توطيد كيان المملكة العربية السعودية وتوحيد اجزائها ، وتعميم الرخاء والامن والاستقرار بها وتحت راية التوحيد والعدل والحق .

ــ ساهم في الانجازات الادارية التي تولاها جلالته كرئيس لمجلس الوزراء وكولي للعهد وكقائد لمسيرة هذه الامة الى ابراز دور المملكة الحالي بكل ما تحمله من ثقل ووزن على المستوى الدولي والعالمي .

ــ يتولى جلالته بعد استشهاد شقيقه جلالة المغفور له جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز حمل راية التضامن الاسلامي والاخوة الاسلامية ويعمل بلا كلل او تعب على نبذ الخلافات وتوحيد الكلمة وجمع شمل المسلمين في بلاد الارض قاطبة تحت راية التوحيد والاخوة والتآلف والتآزر والمحبة والتضامن والتي اسفرت عن عقد مؤتمر القمة الثالث وبجوار بيت الله العتيق واصدار بلاغ مكة التاريخي.

ــ تشهد البلاد بتوجيهات قيادة جلالة الملك النهضة الحكيمة في مختلف المجالات وفق خطط حكيمة متزنة.. يراعى فيها التأكيد المستمر على القيم الروحية والاخلاقية للمجتمع السعودي .

**رابعا ــ تحديد التصنيف الموضوع المقترح للدرجة :**

اقتراح تقديم درجة الدكتوراه الفخرية في خدمة الاسلام والمسلمين لجلالة الملك خالد بن عبد العزيز المفدى .

**خامسا ــ وضع المبررات والاسباب للترشيح :**

الغرض من تقديم الدرجات الفخرية لفائدة المجتمعات يحمل في طياته معنى تقديريا وتكريميا بالغا يكتسب أهميته في الاعتراف والتقدير بمنجزات يقوم بها جلالته الا وهو ملكها وقائد مسيرتها .

سادسا :

والجامعة تحتفظ لجلالة الملك بفضل كبير فقد تولاها بالرعاية والعناية .

* في مختلف فنون الكتابة والتاريخ والعلم نلتقي مع الشيخ هاشم دفتر دار المدني في كتابه « توابغ الكلم » ومن خلال 54 موضوعا تشمل الذرة والالكترون وموضوعات أخرى.

والكتاب الذي يقع في نحو 256 صفحة من القطع المتوسط هو ما كتب عنه أو خاطر حوله أو اذاعه او نشره الشيخ هشام منذ سنوات طويلة مضت. ويستهل المؤلف « توابغ الكلم » بمقال عن جامعة الامم المتحدة وعالم

# شهريات الفكر والثقافة

الذرة والسياسة العالمية الجديدة ، يعقد المؤلف في هذا المقال مقارنة طريفة بين الذرة كنعمة للانسانية وكنقمة عليها ، وينتقد المؤلف ميثاق جامعة الامم بوصفه يخلو من السلطة التنفيذية التي تكون احكامها مرعية الجانب مضمونة الاتباع .

* شيعت مكة المكرمة مؤخرا ابنا من ابنائها الذين عشقوا ترابها ، ولهجوا بقدسيتها ، وتغنوا بأمجادها .. وهو الشاعر الكبير الشيخ أحمد ابن ابراهيم الغزاوي .. احد رجالات المملكة العربية السعودية الاوائل الذين خدموا في جهات عدة ، بعد ان طال اعتكافه في منزله في السنوات الاخيرة بسبب اعتلال صحته.

– ولد عام 1900 بمكة المكرمة .

– شغل عدة مناصب هامة، وفي البداية عمل مديرا لمكتب رئيس القضاة ، ثم سكرتير عام مجلس الشورى وعضوا به . وعين بعد ذلك نائب رئيس مجلس الشورى واحتفظ بهذا المنصب حتى وفاته .

– من الاعمال التي تقلدها أيضا : رئيسا للجنة الحج العليا . نائبا لرئيس المجلس البلدي بمكة . عضوا في عدة لجان بمجلس الشورى . أحد مؤسسي جمعية الاسعاف بمكة المكرمة .

– منحه الملك عبد العزيز لقب .. ( حسان جلالة الملك) وكان يلقب به منذ عهد الملك عبد العزيز .. حيث كان الفقيد يلقي قصائده الشعرية في المناسبات واهمها .مناسبة عيد الاضحى .. فقد كان يلقي قصيدته في هذا اليوم أمام الملك وضيوفه من المسلمين في منى ؛ وتسمى القصيدة : ( الحولية ) .

– يحمل وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الاولى .. منح له في عهد المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز، وأهديت اليه أوسمة عديدة من زعماء وملوك الدول الاسلامية والعربية .

– اختير رائدا من رواد الادب السعودي في مؤتمر الادباء الاول الذي نظمته جامعة الملك عبد العزيز بجدة قبل سنوات، وهو شاعر من شعراء الرعيل الاول .

– يتميز شعره بالجزالة والقوة ولديه مقدرة على تطويع القافية .

– اشتهر بتعليقاته ومقالاته في الصحف السعودية المحلية، وكان يكتب تحت عنوان : ( قراءات وتعليقات ) و « شذرات الذهب » .

– لديه مجموعة كبيرة من القصائد الوجدانية اثر عدم نشرها .

* صدر في الرياض عن لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر بجامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية كتاب قيم عن « المخطوط العربي منذ نشأته الى آخر القرن الرابع الهجري » يقع الكتاب في 300 صفحة من القطع الكبير مع عدد من اللقطات المصورة لبعض نماذج المخطوطات العربية .

* تقوم الادارة العامة للآثار والمتاحف بدراسة انشاء متحف تعليمي يعرض فيه التاريخ الخاص بنشأة التعليم بالمملكة ، وذلك بهدف ابراز التقدم في وسائل التعليم من البداية الى الآن ، وكذا ابراز دور رواد التعليم القدماء والمحدثين في الحركة التعليمية السائرة بخطى سريعة في شتى المناطق التعليمية مستخدمين في ذلك مختلف الوسائل السمعية والبصرية التوضيحية

* قررت الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي فتح معهد للدراسات الاسلامية بمكة المكرمة، يلتحق به ابناء مختلف الاقطار والشعوب الاسلامية .

* أصدرت كلية الطب والعلوم الطبية التابعة لجامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية مجلة طبية دورية احتوت على مواد علمية وثقافية وقد اتخذت اسم « الفيصل الطبية » .

* حصل الكاتب السعودي فهد العرابي الحارثي على الدكتوراه من جامعة السوربون بمرتبة الشرف الاولى ، وكان موضوع رسالته « العلاقة بين الشعر كشكل قولي والاسلام كايديولوجية نظام سياسي واجتماعي » .

* أصدرت ادارة النشر بجامعة الرياض كتاب «ضوابط الاعلام في الشريعة الاسلامية وانظمة المملكة العربية السعودية » للدكتور يوسف محمد قاسم .

* انطلاقا من اهتمامها بالطفولة أصدرت الخطوط الجوية العربية السعودية سلسلة من الكتب اسهاما منها في ايجاد مكتبة خاصة للطفل، منها : – وطار الانسان ، طائرتي المفضلة ، الجراء الملونة ، للاذكياء فقط .. وكلها للكاتب يعقوب اسحاق.

* أقيم في الرياض المعرض الدولي الرابع للكتاب وذلك تحت اشراف عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض ، وقد استمر حتى يوم 15 مارس الماضي ، اشترك في المعرض أكثر من 400 ناشر يمثلون مختلف المؤسسات من جميع أنحاء العالم ، وتضمن المعرض مطبوعات جديدة عرضت لاول مرة حيث بلغ عدد العناوين المعروضة اكثر من 12 000 عنوان من الكتب المعروضة خصص منها قسم لكتب الاطفال .

* تنوي الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ( ومقرها الرياض ) اصدار سلسلة جديدة بعنوان : « المكتبة السعودية » تتناول الموضوعات الدينية والعلمية والادبية والفنية ، وقد دعت الكتاب والمثقفين للمشاركة في هذه السلسلة الجديدة واظهارها الى حيز الوجود ، حددت عدد صفحات كل كتاب بستين صفحة من القطع الصغير .

* « تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الاول من القرن العشرين » تأليف الدكتوراة مديحة أحمد درويش ، صدر عن « دار الشرق » للنشر والتوزيع بجدة .

* « صلوات وصلوات » ديوان جديد للشاعر عبد الملك عبد الرحيم ، صدر عن وكالة تير للدعاية والنشر والاعلام بالرياض .

* « مكعبات من الرطوبة » مجموعة قصصية للقصاص عبد الله السالمي ، صدرت عن دار العلوم بالرياض .

* تبنت مؤسسة الملك فيصل الخيرية برنامجا للمنح الدراسية للمتفوقين من ابناء العالم الاسلامي لاكمال تعليمهم العالي لمرحلة الماجستير او

الدكتوراه في مجالات الدراسات الاسلامية ، والعلوم والتكنولوجيا والاقتصادية على نفقة المؤسسة .

ويشترط للاستفادة من هذا البرنامج أن يعود الطالب للعمل في وطنه او أحد الاقطار الاسلامية الاخرى ، وأن يكون مسلما والا يزيد عمره عن اربعين عاما ويجيد اللغة الانجليزية .

تقدم الطلبات على النماذج الخاصة التي تطلب من المؤسسة ـ ص. ب 352 ـ الرياض .

## الاردن :

❋ نشرت المنظمة العربية للعلوم الادارية التي تتخذ العاصمة الاردنية مقرا لها ، ( المعجم العربي الموحد لمصطلحات الحاسبات الالكترونية ) .

ويشتمل هذا المعجم على 3414 مصطلحا باللغات العربية والفرنسية والانكليزية ، وكانت المنظمة المذكورة قد أعدت المعجم بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب بالرباط ومشاركة خبراء من الاقطار العربية المختلفة . ويستند هذا المعجم اساسا على ثلاثة معاجم صدرت في الرباط وبغداد والقاهرة هي (مصطلحات الاعلامية ) لمكتب تنسيق التعريب بالرباط و (الحاسبات الالكترونية ) للجهاز المركزي للاحصاء بالقاهرة .

## اليمن . ش :

❋ نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني في صنعاء مخطوطة نادرة عن يهود اليمن كان د. عبد الهادي التازي عثر عليها في مكتبة الجغبوب ( ليبيا ) بعنوان : « النصوص الظاهرة في اجلاء اليهود الفاجرة » ألفها القاضي احمد ابن أبي الرجال من علماء القرن الحادي عشر الهجري .

وقد قام د. التازي بتحقيق المخطوطة والتقديم لها والمقارنة بين يهود المغرب والمشرق ، وطبعت ضمن سلسلة «الدراسات اليمنية» التي تصدر في الجمهورية العربية اليمنية .

## السنيغال :

❋ صدرت في السنيغال مجلة عربية بعنوان : (الافكار) يصدرها ( الاتحاد الوطني للكتاب والصحفيين السنغاليين باللغة العربية ) .

يضم العدد الاول عددا من الموضوعات الاسلامية الهادفة .

## انجلترا :

❋ الرسائل الشخصية الخاصة للكاتب همنغواي نشرت في كتاب جديد بعنوان « رسائل مختارة » قام بالاشراف على تنسيقها وتبويبها كارلوس بيكر كما قامت بالاشراف على طبعها دار غرناطة .

يقع الكتاب الجديد في حوالي 900 صفحة ، ووردت فيه مواضيع عديدة كشفت النقاب بشكل واضح عن « شخصية » همنغواي الحقيقية لانه كان يكتب رسائله هذه بشكل شخصي ولم يحلم في يوم من الايام بنشر هذه الرسائل على العالم لانها خاصة بالاشخاص المرسلة اليهم بالاضافة الى ان مواضيعها شخصية وخاصة للغاية .

عبرت رسالة من الرسائل عن رغبة همنغواي بان يذكره التاريخ على اساس انه كاتب فقط ، وجاء في مقطع من هذه الرسالة ما يلي : « اشعر برغبة عميقة في أن يحكم علي ككاتب ولا احب ان يفكر الناس عند ما يحاولون معرفة شخصيتي على اساس اني رجل خاض غمار الحروب او مقاتل او صياد او لاعب ماهر في (سباق الخيل) ، وانما احب ان أكون بكل بساطة كاتبا وان يتم الحكم على هذا الاساس فقط » .

## بولونيا :

❋ عقد ( اتحاد المترجمين الدولي ) مؤتمره العالمي التاسع في العاصمة البولونية في الفترة 8 ـ 13 ـ مايو 1981 . وكان موضوع المؤتمر الرئيسي « رسالة المترجم اليوم وغدا » وتناولت اشغال المؤتمر وابحاثه القضايا التالية :

1 ـ الترجمة الادبية .

2 ـ الترجمة العلمية والتقنية

3 ـ مكانة المترجم قانونيا واجتماعيا .

4 ـ الترجمة في الاقطار النامية : ترجمة الآداب العالمية الى اللغات المحلية ، وتدريب المترجمين والمصطلحين ، والمنظمات المهنية للمترجمين ، وتطور وسائل معالجة المصطلحات وتبادل الخبرات ، وغيرها .

5 ـ الترجمة من اللغات ذات الانتشار المحدود واليها .

6 ـ تدريب المترجمين والمصطلحيين في الجامعات .

7 ـ نظرية الترجمة ، والدراسات الادبية المقارنة .

8 ـ المترجم والادلة او الترجمة بمساعدة الحاسب الالكتروني .

9 ـ الترجمة الفورية ، وآخر الطرق في ترجمة الحوار بالافلام .

10 ـ بنوك المصطلحات : المعجمية والتوثيق في خدمة المترجمين اليوم وغدا .

11 ـ آخر التطورات في وسائل الاعلام .

12 ـ تقويم الترجمة ، ووظائف مجلات اتحادات المترجمين .

وقد شارك في أعمال هذا المؤتمر الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط ببحث عنوانه ( التعريب والترجمة في الوطن العربي : أهدافهما ومشكلاتهما ) .

## المانيا الغربية :

❋ التقى في المانيا الاتحادية أكاديميون ووزراء وسفراء يمثلون أحد عشر بلدا عربيا ليتدارسوا موضوع انشاء معهد الدراسات العربية والاسلامية في فرانكفورت ، سيكلف هذا المعهد مليون مارك ألماني ، دفعت منه دولة الكويت كمساهمة أولى مبلغ ستة ملايين مارك لتجديد احد المباني وتحويلها الى مقر للمعهد المذكور .

# الأستاذ عبد الكبير الفاسي في ذمة الله

التحق بالرفيق الاعلى الاستاذ السفير السيد عبد الكبير الفاسي ، وقد خلف وراءه رحمه الله أصداء لا تنقطع من الاسى والالم والحزن .

وبهذه المناسبة اصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية البلاغ التالي :

« منذ أيام قليلة التحق بالرفيق الاعلى أديب من أدباء المغرب الكبار ومثقف واسع المعرفة ، ومفكر متوقد الذهن ، نافذ البصر ، صائب الراي ومناضل تجرع مرارة الاستعمار ، ذلك الاديب المثقف المفكر والمكافح الذي اخلص واحسن البلاء هو المرحوم عبد الكبير الفاسي الفهري الذي وافاه الاجل المحتوم بعد عمر حافل بانفس وافضل ما تمتلىء به الاعمار ، فلم يكن الفقيد اديبا عالما ومفكرا فحسب وانما كان من المثقفين الذين يلتهمون كل قديم وجديد من عصارة القلوب والعقول ويظهرون القراء بقلم حاضر لا يسام ولا يكل ، وتبيين لا يستغلق ولا يستبهم ، على ما يلابسهم من احساسات ويتوافر عندهم من آراء .

ولقد انطوى العدد الكثير من الصحف والمجلات ما تناوله الفقيد من شؤون مختلفة وطرقه من ابواب متعددة ، ولا مراء في ان ما صرف اليه العناية من مواضيع وكد فيه الذهن من افكار ووقف عليه القلم من قضايا ، كل هذا جدير بان يصان من الضياع ، ويحمى من التفرق والشتات ويبرز للمثقفين ذخيرة مجموعة بين دفتين خليقة بان يفيد منها الباحثون والدارسون .

وقد استقر عزم وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية على ان تجمع ما تفرق من هذه الذخيرة وتسلك ما انتثر منها في نظام .

وحرصا من هذه الوزارة على أن يتسم عملها هذا بسمة الاحاطة فانها تهيب بجميع الذين واتاهم الحظ فتيسرت لهم المراجع والمظان ان يمدوها فيما عقدته من نية واتجهت اليه من قصد ويدلوها على ما خلف الفقيد رحمه الله من جم الآثار وقيمها » .

رحم الله الاستاذ عبد الكبير الفاسي واسكنه فسيح جناته وجزاه عما خدم به الاسلام وثقافته خير الجزاء . وانا لله وانا اليه راجعون .

## مقالات الاستاذ عبد الكبير الفاسي المنشورة في ( دعوة الحق )

| المقال | العدد | السنة | الصفحة |
|---|---|---|---|
| 1 ـ لا غنى لنا عن المقدسات | 2 | 2 | 13 |
| 2 ـ خواطر حول ابن الخطيب السلماني | 7 | 2 | 32 |
| 3 ـ مع المرحوم الدكتور منصور فهمي : المدينة الفاضلة | 9 | 2 | 21 |
| 4 ـ في ذمة الله والتاريخ : مؤلف الكتاب : ( الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام ) : السيد عباس ابن ابراهيم المراكشي | 10 | 2 | 46 |
| 5 ـ أدب الحيرة | 1 | 3 | 32 |
| 6 ـ علاقات روسيا بالمغرب | 4 | 3 | 22 |
| 7 ـ الصحراء المغربية الواقعة تحت الاستعمار الاسباني | 10 | 16 | 57 |

# فهرس العدد 3 - السنة 22

صفحة




مطبعة فضالة ـ المحمدية

رقم الايداع القانوني 3 / 1981







## من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية






# أعداد السنة 21 من مجلة "دعوة الحق"

























